عبد العزيز بن علي الحربي

#28



ذَاتُ الأَكْمَامْ

8.10.2018

مقامات أدبيَّة

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

د. عبد العزيز بن علي الحربي



ذَاتُ الأَكْمَامْ

مقامـات أدبيـة

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحربي، عبد العزيز علي

ذات الأكمام / عبد العزيز الحربي.- ١٤٣٣هـ

٣٠٨ ص؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٢- ٠٦٧٥ -٠١- ٦٠٣ - ٩٧٨

١- المقالات العربية أ. العنوان

ديوي ٠٨١ ١٤٣٣/ ٧٤٢٤

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٧٤٢٤

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠١-٠٦٧٥-٢

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى إخواني وزملائي المجمعيّين (أعضاء مجمع اللغة العربيّة على الشّبكة العالميّة) حماة اللّغة وحُرّاس العربيّة ..

إلى رِفاق الدّراسة أيام النّشأة الأولى، وإلى الصّدَقاء النّبلاء وغيرهم (من الذين أوحت إليَّ ذِكراهُم طائفًا من الخيال، وحقائق ممّا استودعَه البال) ..

إليهم جميعًا أُهدي «ذات الأكمام» فمن هزّها إليه بيده ولم يسَّاقطْ عليه من رُطبها، على قوّته وأيْده، فلن يعدَم خيرًا .. من خُوْصِها وسعَفِها وجريدها .. وإنّما هي مَثَلهُ، كلّ تلك القاماتْ، خيرٌ ومنافِع في كلٍّ المقامات ..

أبو محمد

مقدمة

أحمدك اللّهمّ حمدًا لا منتهى له، وأعوذ بك من شرور النّفس والجهالة. وأسبِّح بحمدك حين أقومْ، ومن اللّيل وإدبار النّجـومْ. لك الحمدُ كلّهْ، وبيدك الخيرُ كلّهْ. أحمدك .. أنتَ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ٤﴾ . وأشكرك .. أنتَ الربُّ ﴿ٱلْأَكْرَمُ ٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ٥﴾. وأصلي وأسلّم على أفصح مُعلِّم، وأبلغ متكلِّم. من زيّن بكلامـه لغة الضَّادْ، واستعذب بيانه المرتوي والصَّادْ[1]. وتقاصر لجـلال بلاغته الأواخر والأوائـلْ، وخضـع عنـد مقامـه سـحبانُ وائـلْ. وصلّى الله على آله وأزواجهْ، ومـن مضـى علـى منهاجِـهْ .. أمّـا بعد؛

فاللّغة العربيَّة هي الجناحُ المُحلِّقْ، والسَّناءُ المتألِّقْ، في سماء الخِطـاب والمنطِـقْ. مـا اسـتجنح[2] بقوادمهـا[3] طالِـبْ،

(١) الظمآن، وحذفت الياء للفاصلة، كقوله تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ٩﴾ [الفجر].

(٢) اتخذ جناحها مركبًا.

(٣) ريش الطائر المُقدّم.

ولا استمسك بخوافيها[1] مُطالِبْ، إلاّ نال مرادَه والمطالِبْ.

أجل .. وكانت سناءه وسَناه[2]، ووَفره[3] وغِناهْ، وجناهُ المتسوي إناه[4]. وجوازه يومَ ظعنِهِ[5] وإقامتِهْ، الماضي به إلى تحقيق إمامتِهْ. وإنّ الثِّقةَ به لأكبرْ، وأولى وأجدَرْ. من فقيه لا فقهَ له في اللِّسانْ، ولا رسوخَ له في البيانْ. وكيف يوثقُ بمن أعرضَ ونأى[6]، وصرف فؤادَه عمّا رأى. من جمال العربية الباهِرْ، ومنطقها السّاحِرْ، وبديعها الآسِرْ. أفلا ينظرون إلى علماء المِلَّةْ، من الصَّحابة الأجِلَّةْ، ومَن بعدهم من الأهِلَّةْ. كيف أوَوا إلى رُكنها الشَّديدْ، واستعذبوا منطقها السَّديدْ. وإلى الإمام الرئيس، محمد بن إدريسْ. وإلى جبال التَّفسيرْ، كمحمد بن جريرْ. والقاسم بن سلاَّمْ، وابن قُتيْبةَ الإمامْ. وغيرهم من الحُذَّاقْ، في كلِّ الآفاقْ ؟

(١) ريش الطائر من الخلف.

(٢) رفعته ونوره.

(٣) ماله الكثير.

(٤) نُضجُه.

(٥) سفره.

(٦) بعد.

قال أبو العينين[١]:

يجب على كلِّ ذي عينينْ، من عقلاءِ الـثَّقلينْ. أن يعـرف مـن العربية طَرَفًا، وأن يعلوَ منـها شَـرَفًا[٢]. وعلـى طالـب العلـم أن يغوص في بحرها الزّخارْ، ويستقي من سَيلها الجرّارْ. وعلى مـن استشرفَ إلى الاجتهادْ، أن يَسْبَحَ في محيطها الهَادْ. كـيلا يَضِـلَّ بجهله العبادْ، ومن يُضْلِلِ اللهُ فما لـه مـن هـادْ. إنّـه مـن لم يُلـمَّ بالعربية لا ثقةَ بعلمِهْ، ولا بكتابته ورسْمِهْ.

وما هذه المقامات الأدبيّةْ، والسَّـجعات النثريّـةْ. إلاّ لـونٌ مـن ألوان طيفها اللّماعْ، ونغمٌ تلذُّ له الأسماعْ، وأغصانٌ ترقص على الإيقاعْ .. أنشأتها لأهل العلوم، وأرباب الفهوم. وأودعـتُ فيهـا من العلم فنونَهْ، وجوهره ومكنونَهْ. وعلَّقتُ على نحرها دُررًا من الأدبْ، ولآلئ من كـلام العـربْ. وجمعـتُ فيهـا بـين الحقيقـة والخيالْ، وبين التّفصيل والإجمـالْ، والحِكـم والأمثـالْ. وبـين

(١) هذه كُنيتي في هذه «المقامات» وهي صادقة علـى كـلّ امـرئ .. وسـتأتي روايته عن «أبي إسحاق» كنية رجلٍ من الأصـحاب، غـير معـيّن .. وأمّـا الحشْكظيّ، فهو بطل أسمـار «المقامـات» العلميّـة، وحروفـه ترمـز إلى المذاهب الفقهية، الحاء للأحناف والحنابلة، والشين للشّافعيّ، والكاف لمالك، والظاء للظاهرية، والياء لغيرهم .. والمراد: أنه يجمع المـذاهب كلّها، ولا يتعصّبُ لأحد منها، ولا من غيرها.

(٢) مكانًا عاليًا.

القول الفصلْ، والكلام الهزلْ. وأشربتها أطرافًا مـن المتـونْ، في كثير من الفنونْ. ليكون حافظُها نابغةَ أقرانه إذا رغِبْ، وابنَ دُريدٍ إذا طَرِبْ. وأبا عثمان الجاحظ إذا كتَبْ، وواصِـلَ بـن عطـاءٍ إذا خطَبْ.

وأحمدُ الله على توفيقهِ ونفعِهْ، وأسأله أن يباركَ فيما رقمتُ[1] وفي جمعِهْ، وأن يبارك في ثمرهِ إذا أثمرَ وينْعِهْ[2].

واسمحـوا لي أن أقـدِّمَ التحيّـةَ المسـكيَّةْ، والتقـديرةَ الزّكيّـةْ. لطائفةٍ من كتَبَةِ المقاماتْ، ممّن قضى وماتْ.

السّلامُ عليكَ يا بديْعَ الزَّمـانْ، وفـتى هَمَـذانْ. وأخـا البديهـةِ والإبـداعْ، ورقيـق الألفـاظ والأسْجاعْ. كفـاكَ فخـراً أن تكـون للحريريِّ قُدْوَةْ، ويكـون إنشـاؤكَ ليومِـهِ غُـدْوَةْ. لقـد أصْـدَرْتَ فكنتَ عُذيقَ[3] البيانْ، وأوردتَ فوافيتَ جُذيلَ[4] التِّبيانْ. وسننتَ لأهل اليراعَةِ[5] سُنَّةْ، فاتّخذوا أيمانهم جُنّةْ[6]، وبَرَوا من أقلامِهم الأسِنَّةْ[7]. رحمكَ اللهُ يا بديعْ، يا صاحب البيان والبديعْ.

(١) كتبت.
(٢) نضجه واستوائه.
(٣) تصغير عذَق، وهو النخلة.
(٤) تصغير الجَذْل بإسكان الذّال، وهو: أصل الشجرة المقطوع.
(٥) القلم.
(٦) وقاية، أي: اتخذوا أيديهم وقاية بما يكتبونه.
(٧) جمع سنان، وهو الرمح.

وسلامٌ على صاحب الحَريرْ، وذي البيان والتّحريرْ. مقاماتك في مكتبتي ليلايْ، وعَفرائي ولبُنايْ. لا تمنعني ممّا أريدْ، وهي أقربُ إليَّ من حبل الوَريدْ. وقد قلتُ فيها وفيكْ، لما كتَبَهُ بنانُكَ من فِيكْ. :

يُفَجِّرُ معنى الشَّاردات[1] خِلالها
بحوراً عِذاباً لا تُكدِّرها الدِّلا[2]

سألتُ أساطينُ البلاغةِ هل رأوا
مثيلاً لها في الطبعِ قال الجميعُ: لاَ

وسلامٌ على عالِمِ المئةِ التَّاسِعَةْ[3]، ورَحِمهُ اللهُ رحمةً واسِعَةْ. أفدتَ العالم بتصانيفِكْ، ونفعتَهم بتواليفكْ. ولمقاماتِكَ نوعُ تميّزْ، بلا تزيُّد ولا تحيّزْ.

وكنتُ أرجو أن يكشف اللهُ الرَّينْ[4]، عن صاحب «مجمع البحرينْ». فإنّه قد أحسن وأجادْ، وتشبَّه بالحريريِّ فأفادْ. ولغيرهم ممّن سَبَقْ، تحيّة مِسْكٍ وعَبَقْ[5].

(١) المعاني المقتنصة.
(٢) جمع دَلو، أصلها: الدِّلاء.
(٣) الإمام السيوطيّ (ت ٩١١هـ).
(٤) الغشاوة.
(٥) رائحة زكية.

لعلّ ما سَطَّرتُه باليمينْ، يجمعني بأصحابِ اليمينْ. مع تلك القاماتْ، بعالي المقاماتْ. بعرصات[1] القيامةْ، في دار المُقَامَةْ. آمين آمين. ربّ العالمينْ.

وكتبه

عبد العزيز بن علي الحربي

(١) جمع عرصة: المكان المستوي.

المَقامَة الفَارانيّة[1]

قال أبو العينين:

بـدا لي عـامَ أوَّلْ، أن أتوقَّـل[2] وأتجـوَّلْ. في ضَـواحي مكَّـةَ وشِعَابِها، وأجْزَاع[3] أوديتها ورِحابها، وفي جَرْوِلِها وحارة بابها. فألْوَيْتُ[4] إلى بَيْتِ أبي اليُسْرْ، صَديقِ العُمُرْ، في العُسْرِ والْيُسْـرْ. عَنْ مَوعِدَةٍ وَعَدَها إيَّايْ، بِداراً[5] منه بادئ الرَّاي[6]. وكان بِبِطاحِ مَكَّةَ خَبيرَا، وبجُـدَدِها[7] بصـيرَا. فقيـل لي: ابْتَكِـرِ[8] الغَـدَاةَ إلى المَسْجد الحَرَامْ، ولَعَلَّكَ تجِدُه في مُصَلَّى المَقَامْ. فَلَقِيتُه عِنْدَ باب السَّلامْ، فحيَّا بالسَّلامْ. وقال: ما أخْلَفْنَا مَوعَـدِك بمَلكِنـا، ولكنَّـا

(١) «فاران» جبالٌ بمكة والحجاز، جاء ذكرها في التّوراة، فيها البشارة بالنبيٍّ ﷺ.

(٢) يقال: توقَّل في الجبل: إذا تَصعَّد فيه.

(٣) الجِزع: وسط الوادي، وقيل: منتهاه، وقيل: جانبه.

(٤) عرَّجتُ.

(٥) مبادرةً منه.

(٦) أي: بلا تفكير ولا تردُّد، وتقرأ الفاصلة بإبدال الهمزة ألفًا لموافقة السَّجع.

(٧) طرائقها.

(٨) خرج مبكرًا، يقال: بكَر وبكَّر، وباكر، وابتكر، وأبكر.

حُمِّلنا بسَدْكنا[١]. وما ولِع به الفؤادْ، في هذا الوادْ. والشَّغَفُ ببَيْت الله، أشدُّ مِنْ شغَف اللاَّهْ[٢]، برَشَإٍ[٣] تيَّاهْ. فَلَمَّا دَنونا مِنْ جَبَل خَنْدَمَةْ[٤]، قال: أتَدْري أسْمَاءً مكَّةَ المُكَرَّمَةْ؟ قلتُ: لا أدري، فأوقِدْ لي فِكْري. فإنِّي لا أعرفُ منها إلاَّ مكَّةْ، وأمَّ القُرَى وبكَّةْ. والبلدَ ومَعادْ[٥]، والبَلْدَةَ والوَادْ. وجَميعُها في الذِّكرْ، يا أبا اليُسْرْ. فقال منشدًا:

لأُمِّ القُرى أسْما: رَتاجٌ وقادِسُ
وكُوثى وأمُّ الرُّحْمِ بَرَّةُ والعَذْرَا
ورُحْمٌ عريشٌ حُرمةٌ وعَرَوضُها
وحاطمةٌ رأسٌ وعرشٌ بها أحْرَى
ومُعْطِشةٌ نسَّاسَة وسَبُوحَةٌ
والاِسمُ الذي قد جاء في أوَّلِ الإسرا[٦]

(١) سدِك بالشيء: لزمه، سَدكًا وسَدْكًا، أي: بالتزامنا المُكْثَ في مُصْلاَّنا.
(٢) اللاَّه: اللاَّهي، وحذفُ الياء جائز.
(٣) الرَّشَأُ: الغزال الصَّغير.
(٤) سلسلة جبال، تبدأ من شعب عامر.
(٥) بلا ألف؛ لأنه على الحكاية، أو على لغة ربيعة في الوقف على المنصوب المنوَّن على الألف، بحذف الألف.
(٦) أي: المسجد الحرام.

تَزِيـدُ علـى لامٍ[١] وإنْ شِـئْتَ فلتعُـدْ

إلى كتُـب التَّـاريخِ والمـدْنِ والجُغْـرا[٢]

ثُمَّ قال: اليوم سَوْف تَرَى، مَساجد أمِّ القُرَى. التي عُمِـرَتْ في الدُّهور الخاليةْ، في كلِّ ناحيةْ، فانطلِقْ ورائيَهْ. هذا مسجد الجِـنِّ والحَرَسْ، وسُمِّيَ مسجدَ البيعةِ وانْدَرَسْ[٣]. ومِـنْ دُونـه مسـجد الشَّجَرَةْ، والأزرقي ذَكَرَهْ[٤]. والذي عِنْـدَ تِلْـكَ الوَلِيْجَـةْ[٥]، هـو مسجد خَدِيجَةْ. وكـان في شـرق المَسْـعَى، مسـجد دار الأرقـم الوُسْعَى[٦]. ومسجد أبي بكر الصِّدِّيقْ، في المِسْفَلَةِ أوَّل الطَّريـقْ. وثَمَّ مسجد المَعْلاةْ، تُقام فيه الصَّلاةْ[٧]. قلـتُ: مـا أرْوَعَـكَ مِـنْ عالمٍ أفِقْ[٨]، وحَاذِقٍ لَبِقْ! قال: انطلِقْ .. انطلِقْ. قلـتُ: إلى أيـنَ بِنَا؟ قال: إلى مِنَى.

---

(١) أي: تزيد على ثلاثين، واللام في حساب (أبجد) بثلاثين.

(٢) أي: الجغرافيا.

(٣) أي: سُمِّي أيضًا بمسجد البيعة، ولكن هذا الاسم ذهب وامَّحى.

(٤) ذكره في كتابه «أخبار مكة».

(٥) المدخل.

(٦) الواسعة، صفة لـ (دار).

(٧) أي: لا يزال باقيًا إلى اليوم؛ لأنَّ بعض ما ذُكِر قـد انـدثر وهُـدم لتوسـعة الحرم.

(٨) بلغ الغاية في العلم.

بهــا مَســجدُ الخيــفِ الــذي تَعْرِفُونَــه
يَمينًا وأقصــاها بِهــا مَسْـجِدِ الكَـبْشِ[1]
وإنَّ بِهَــا لِلْمُرسَــلاتِ[2] لَمَسْــجِدًا
مُجَاوِرَ خَيـفٍ عَـنْ يَمِينِـكَ إذ تَمْشِـي

وفي أطرافهـا[3] مسـاجدْ، مرفوعـةٌ لكـل سـاجدْ. كمسـجدِ عُرَنَةْ[4]، ومسجد جِعْرَانَةْ[5]. وهو في الشَّرائعْ، ومكانُـه ذائـعٌ، غيرُ ضائعْ. ومسجد التَّنعيمِ، على الصِّراط المستقيمْ. هذه طائفـةٌ منها، والحديث عنها لا يُنهى.

وانظر يا أبا العينين، إلى الأخْشَبَينْ. وإلى سائر الجبالْ، وهـذه القِـلالْ. كيـف نُصِـبَت علـى الأرضْ، وكيـف سُلسِـلَ بعضُـها بِبَعْضْ!!

وفَارَانُ[6] مَكَّة مألوفةْ، وفي كُتُبِ التَّـواريخِ مَعْرُوفَـةْ. واسْـتَمِعْ إلى نِظامي، وكُنْ مِنْ أمامي.

---

(١) يسار الذّاهب إلى عرفة قبل (ثبير).
(٢) مسجد المرسلات، معالم مكة للبلادي (٢٧٦)، نقله عن ابن ظُهيرة.
(٣) أي: في أطراف مكة.
(٤) بعرفة.
(٥) بالشّرائع، ومنه أحرم النبيُّ ﷺ بالعمرة.
(٦) أي: جبالها.

جِبَـــالُ مَكَّـــة: ثـــبيرُ الأثْبِـــرَة[(١)]

والأخشـــبانِ[(٢)] وحِـــراءٌ[(٣)] فـــاذْكُرَهْ

وأظلَـــمٌ[(٤)] ثم أُلالٌ[(٥)] وكُســـابْ[(٦)]

سَـبْعُ البنـاتِ[(٧)] لَبنَـانِ[(٨)] وغُـرابْ[(٩)]

وجبـل الحَصْـحَاصِ[(١٠)] والسُّـودانِ

والهندِ[(١١)] كَبْكَبٍ[(١٢)] وثـورٍ[(١٣)] حـاني

---

(١) الأثبرة: جبالٌ، وثبير الأثبرة: أكبرها وهو مشرفٌ على منى، كان أهل الجاهلية لا يفيضون من المزدلفة إلاّ بعد طلوع الشمس وارتفاعها، ويقولون: أَشْرِقْ ثبير، كيما نُغير.

(٢) أشهر الأقوال: أنهما قُعَيقعان وأبو قبيس.

(٣) يُسمّى اليوم: جبل النور، وفيه الغارُ الذي نزل فيه الوحي.

(٤) جبلٌ يشرف على الجعرانة لهذيل.

(٥) كغُراب، جبل عرفة.

(٦) جبلٌ مشرفٌ على وادي عُرنة.

(٧) جبلٌ مشهورٌ في مكّة، ليس بعيدًا عن المسجد الحرام، قريب من المصافي، لم أجد علّة تسميته بهذا الاسم، ولا متى سُمِّي به.

(٨) جبلان قريبان من عُرنة.

(٩) جبلٌ معروفٌ اليوم، غرب مكة، والأغربة جبال كثيرة.

(١٠) الجبل الذي يُشرف على الزَّاهر، من جهة الشرق.

(١١) جزء من جبل قعيقعان، وكذلك جبل سودان.

(١٢) جبلٌ ضخمٌ يشرف على المُغمَّس.

(١٣) جبل معروفٌ، قريبٌ من مستشفى النّور اليوم، وفيه الغارُ المذكورُ في القرآن في شأن الهجرة الذي اختبأ فيه النبيّ ﷺ وصاحبه أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإلى اللِّقاءة[1] يا أبا العينينْ، يوم الأَحَدِ أو الاثْـنَينْ. لِنَهـيمَ في كُلِّ وادْ، في أَشْـرف الـبلادْ. وأريـكَ الشِّـعافَ[2] والشِّـعابَ[3]، وأوصيكَ بالصَّبر على الصِّعابْ. واللهُ يُضِلُّ مَـنْ يشـاءْ، ويُصـيبُ بِعَذابه من أساءْ. ويهدي إليه مَنْ أنابْ، إليه أدْعُـو وإليـه متـابْ، وإليه المَرْجِعِ والمآبْ.

(١) اللِّقاءة واللِّقاء سواء.
(٢) الشِّعاف: جمعُ شَعَفة، والشَّعَفَةُ من كلّ شيءٍ أعلاه.
(٣) جمع شِعْب: ما بين الجبلين، والطَّريق.

المَقامَة الحَرْفيّة

قال أبو العينين:

جَمَعَ القرآنَ أبو بكرٍ الصِّديقْ، وجَمَعَ القِراءات عُثْمانُ[١] الوَفيقْ[٢]. واجْتَهَدَ مُجاهِدٌ[٣] فسَبَّعَ[٤] وبَنَى، وجاء الدَّانيُّ[٥] فأدنى ودَنَا. وصَنَّفَ كتابَ «التَّيسيرْ»[٦]، الذي نظمَهُ العلاَّمةُ السِّفْسِيرْ[٧]، الشَّاطبيُّ الكَبيرْ[٨]. فسارتْ بأرَجِهِ[٩] الرُّكْبَانْ. وحَفظَه الشِّيبُ والولدانْ. وقطعَ إلى النَّاس الصَّحاصِح[١٠]

---

(١) ابن عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) كالرَّفيق، وزنًا ومعنًى.
(٣) أحمد بن موسى التميميّ، أبو بكر ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ).
(٤) في كتابه «السّبعة»، جمع فيه قراءات القراء السبعة (نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي).
(٥) أبو عمرو الدّاني (ت ٤٤٤هـ).
(٦) «التيسير في القراءات السَّبع»، وهو أصل الشّاطبية.
(٧) العبقريّ الحاذق بصناعته.
(٨) أبو محمد القاسم بن فيرُّهُ الرعيني الأندلسي (ت ٥٩٠هـ)، ومن الناس من يخلط بينه وبين أبي إسحاق الشّاطبي، صاحب «الموافقات» (ت ٧٩٠هـ).
(٩) رائحته الطيبة.
(١٠) الصَّحْصح: ما استوى من الأرض.

والتَّنـائِفْ[1]، والفَدَافِـدَ والنَّفـانفْ[2]. والأحـزَّةَ[3] والمفـاوزْ[4]، والأمَـاعِزِ[5] والعَشَـاوزْ[6]. قـال فيـه الإمَـامُ النَّبيْـلْ، مِـنْ بَحْـرِ الطَّويلْ. :

وسَمَّيتها حِرْزَ الأماني تَيَمُّنًا ووجْهَ التَّهاني فَاهْنِه مُتَقَبَّلاَ

وتَوَالى قُرَّاء السَّبع والعَشْرْ، إلى أن جـاء صـاحبُ «النَّشْـرْ»[7]. فجَمَـعَ ونَقَّـحْ، وحـرَّرَ وصـحَّحْ. ونَجَـحَ وأنْجَـحْ، ووفَّـى وما بلْدَحْ[8]. واختْيرَ لكُلِّ بدرٍ نَجْمَانْ، قالُونُ وعُثْمَـانْ[9]. وقُنْبُـلُ والبَزِّي[10]، والدُّوريُّ والسُّوسيّ[11]. وهشـامٌ وابـن ذكـوانْ[12]،

---

(١) جمع تنوفة: الأرض الواسعة.
(٢) جمع نفنف: ما بين الجبلين.
(٣) جمع حَزيز: المكان الغليظ المنقاد.
(٤) جمع مفازة.
(٥) يقال: مكان أمعَز: إذا صُلبًا.
(٦) جمع عشْوَز: الأرض الصُّلبة.
(٧) محمد بن محمد بن محمد ابن الجزريّ (ت ٨٣٣هـ).
(٨) بلدح: ضرب بنفسه الأرض، ووعد ولم ينجز.
(٩) هما راويا نافع، وعثمان هو ورش.
(١٠) راويا ابن كثير.
(١١) راويا أبي عمرو البصري.
(١٢) راويا ابن عامر.

وشُعْبةُ وحَفْصُ بن سُليمانْ[١]. وخلاَّد مع خَلَفْ[٢]، واللَّيْثُ والدُّوري الذي سَلَفْ[٣]. فنافعٌ يَجْمَع اللُّغاتْ، وابنُ كثيرٍ يَصِل الميمَاتْ[٤]. وأبو عَمْرٍو توسَّط في الاختيارْ[٥]، وقرأ ابنُ عامرٍ بالآثارْ. وتوسَّط عاصمٌ في المُدُودْ، وميلُه إلى الإمالةِ مَحْدُودْ[٦]. وما اجْتَمعَ حَمْزةُ والهمزةُ قطْ[٧]، إلاَّ في الوَصْلِ فَقَطْ. وصاحِبُ السِّربالْ[٨]، إلى الإمالةِ ميَّالْ. والجَميعُ أحاطَ به الوَلا، إلاَّ ابن عامرٍ وابن العَلا[٩].

---

(١) راويا عاصم بن أبي النُّجود.

(٢) خلفٌ وخلاد هما راويا حمزة بن حبيب الزّيات.

(٣) أبو الحارث اللّيث، والدُّوريُّ - وهو راوي أبي عمرو كما تقدّم -: هما راويا الكسائي.

(٤) يقرأ بِصِلَة ميم الجَمع في جميع القرآن.

(٥) وكانت قراءة أبي عمرو هي الشَّائعة في العالمِ، ثم سار النَّاس بعد ذلك على قراءة عاصم من رواية حفص. شيءٌ أراده الله تعالى، واختاره. وتتميَّز قراءته بما لا يتميز غيرها. وقد طُعِن في حفص أشدَّ طعن، ولكن الله سبحانه أخبر أنه سيحفظ هذا القرآن، فهو محفوظٌ، سواء رواه المجروح في عدالته أم المعدّل، بل إن حفظه بمن تُكلِّم في عدالته أشدُّ وأظهر.

(٦) أما من جهة رواية شعبة فالإمالة في مواضع محدودة، وأما من رواية حفص فليس له إلا إمالة ﴿مَجْرِٰىهَا﴾.

(٧) ولهذا قيل: إذا قرأت لحمزة فلا تقفنَّ له على همزة.

(٨) هو الكسائي الذي قال فيه الشّاطبي:

وأمّا عليٌّ فالكسائيُّ نعته   لما كان في الإحْرام فيه تَسَرْبَلاَ

(٩) كما قال الشّاطبي:

أبو عمرهم واليحصبيُّ ابن عامر   صَريح وباقيهم أحاط به الوَلا

وصِحَّةُ الإسنادِ، وَجْهُ النَّحوِ والرَّسمُ ركنٌ للصِّحاحِ يَحْوِي

وحار أُولُو الأذْهَانْ، في حديث «أُنْزِلَ القُرآنْ». واخْتَلَفُوا في معناه اخْتِلافَا، طَويلاً سِرْنَافَا[1]. وانْسَلَخَ من الصَّوابِ وما رَسَخْ، من قال: هي الحَلالُ والحَرامُ إلَخْ. وأبْعَدَ مَنْ قالْ: هِي قِرَاءة السَّبعة الرِّجالْ. والأقربُ أيُّها الجَمْعْ، أنَّها لُغَاتٌ سَبْعْ.

وقَصْرُ الإمامِ حَفْصْ، لم يَرِدْ فيه نَصٌّ[2]. وجاء من طريق الطَّيِّبَةْ، المَنْظُومة المُهَذَّبةْ. وضُمَّ إلى السَّبعةِ خَلَفْ، أبو جعفر ويعقوبُ وخلفْ. وقد روى الجَمَاعَةُ عَنْ عَاصِمٍ[3]، وشُعْبةٍ[4] الصُّلادِمِ[5]. وخَرَّجوا لابن كثيرْ، وما هُو بِصَاحِبِ التَّفسير[6]. وإليكَ مِنَ النَّظْمْ، ما يَجْبُرُ العَظْمْ:

المَكِّ والشَّاميُّ قالا: قالَ

سُبْحَانَ ربِّي عَزَّ وتَعَالى!![7]

(١) شديد الطول.

(٢) أي: في «الحرز» وأصله.

(٣) أي روى له أصحاب الكتب الستة وأحمد.

(٤) وكذلك شعبة روى له السبعة.

(٥) الصُّلادِمِ: الأسد، والصلب.

(٦) عبد الله بن كثير المكي (ت ١٢٠هـ)، وأما صاحب التفسير فمتأخر واسمه: إسماعيل (ت ٧٧٤هـ).

(٧) أي: قرآ قول الله سبحانه: ﴿قل سبحان ربي﴾، ﴿قال سبحان ربي﴾.

كِلاَهُمَـــا سُـــمِّي عَبْـــدَ اللهِ

ذَاكَ صَـدُوقٌ[١]، وهـو قَـدْ يُضَـاهِي

حَمْـزَةَ[٢] نافعًـا[٣] وعَاصِـمًا، وَذَا

مُـــوَهَّمٌ[٤]، وثِقَـــةُ شَـــامٍ[٥]، كـــذا

هِشَامُهُم[٦]، وخَلَفٌ[٧]، وشَـيْبَةْ[٨]

وَصَالِحٌ[٩] وابْنُ العَلا[١٠]، وشُعْبَةْ[١١]

---

(١) أي: ابن كثير، قال عنه ابن حجر: صدوقٌ.

(٢) حمزة بن حبيب الزّيات (ت ١٥٦هـ).

(٣) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي بالولاء المدني (ت ١٦٩هـ).

(٤) عاصم بن أبي النَّجود الكوفي (ت ١٢٧هـ)، كان ثقة في القراءات، صدوقًا في الحديث، قال الدّارقطني: في حفظه شيءٌ.

(٥) عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي (ت ١١٨هـ)، وثَّقه ابن حجر.

(٦) هشام بن عمار الدمشقي (ت ٢٤٥هـ).

(٧) خلف بن هشام القارئ (ت ٢٢٩هـ).

(٨) شيبة بن نَصاح (ت ١٣٠هـ).

(٩) صالح بن زياد السُّوسي الرّقي (ت ٢٦١هـ).

(١٠) زبان بن عمار التميمي، أبو عمرو ابن العلاء البصري (ت ١٥٤هـ).

(١١) أبو بكر بن عياش الأسدي الكوفي (ت ١٩٣هـ).

والبَزِّ عاش (يَـلْ)[1] مِـنَ الأعْـوَامِ
مُؤَذِنًّــــا بِالمَسْـــــجِدِ الحَـــــرَامِ
وشَــــيْبَةٌ وثَّقَــــهُ نَجْــــلُ نسَــــأْ
لَــيْسَ لَــهُ في سِــفْرِه غَــيرُ نَبَــأْ[2]

(١) أي: عاش البزّي أحمد بن محمد (ت ٢٥٠هـ) أربعين عامًا مؤذنًا بالمسجد الحرام.

(٢) أي: أنّ شيبة بن نصاح وثقه النسائيّ، وأخرج له حديثًا واحدًا في الطهارة، باب صفة الوضوء (١/٦٨؛ ح ٩٥)، من طريق: ابن جريج، حدثني شيبة: أنّ محمد بن علي أخبره، قال: أخبرني أبي عليٌّ: أنّ الحسين بن عليٍّ قال: دعاني أبي عليٌّ بوَضوء، فقرَّبته له، فبدأ فغسل كفيه ثلاث مرات قبل أن يدخلهما في وضوئه، ثم مضمض ثلاثًا، واستنثر ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنى إلى المرفق ثلاثًا، ثم اليسرى كذلك، ثم مسح برأسه مسحة واحدة، ثم غسل رجله اليمنى إلى الكعبين ثلاثًا، ثم اليسرى كذلك، ثم قام قائمًا فقال: ناولني. فناولته الإناء الذي فيه فضلُ وضوئه، فشرب من فضل وضوئه قائمًا، فعجبتُ، فلما رآني قال: (لا تعجبْ، فإني رأيتُ أباك النَّبيَّ ﷺ يصنع مثلَ ما رأيتني صنعتُ - يقول لوضوئه هذا - وشرب فضل وضوئه قائمًا).

والحديث أخرجه أبو داود معلقًا (١/٢٩)، وصححه الألبانيّ (صحيح سنن النسائي: ح ٩٥).

المَقَامَة التأويلية

(في علم التفسير)

قال أبو العينين:

الفَسْرُ: البَيَانْ، لَدَى عُلَمَاءِ اللِّسانْ. والتَّفْسيرُ: كالتَّأويلِ، لَدَى عُلَمَاءِ التَّنْزِيلْ. وقِيلَ: التَّفسيرُ أعَمّ، وهو الأتمّ(١). وإليه مالَ الأصْفَهَاني، في كِتابِه المَعَاني(٢). والتَّرْجَمَةُ نوعانْ: مَبَانٍ ومَعَانْ(٣). والأُولى مُتَعَذِّرةْ، والثَّانيةُ مُفسَّرَةْ. والتفسيرُ: بالكتابِ والحِكمَةْ(٤)، وبكلام العَرَب وسَلَفِ الأُمَّةْ(٥).

---

(١) لأنّ التأويل يكون في المعاني، كتأويل الرُّؤيا، والتفسير يستعمل فيها وفي غيرها. ومن أهل العلم من يفرِّق بينهما فيقول: التفسير يكون في الرِّواية، والتأويل بالدِّراية.

(٢) الرَّاغب الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسين بن محمد، صاحب «المفردات» في معاني القرآن (ت ٥٠٢هـ).

(٣) أي: ترجمة حرفية، وترجمة للمعاني، وهي ممكنة؛ لأنها كالتفسير.

(٤) السُّنة.

(٥) أي: التفسير على أربعة أنواع: تفسير القرآن بالقرآن، وبالسُّنَّة، وبِكَلام العرب، وبِكَلام السَّلف.

وأكْثَرُهُم تفسيراً: الحِبْرُ[١] وعليٌّ، والعُمَرانِ وأُبَـيٌّ[٢]. وأنسٌ وزَيْدٌ[٣]، والعَبَادِلَةُ وابْنُ أمِّ عَبْدٍ[٤]. وجابرٌ والأشْعَريُّ[٥]، وعائشةُ زوج النَّبيِّ.

والرِّواياتُ عَنِ الحِبْرِ كثيرةٌ، وطَرِيـقُ مُعَاوِيَـةَ بـن صـالح هـي الشَّهيرَةُ[٦]، وطَرِيقُ ابن إسحاقَ صاحبُ السِّيرَةِ[٧]. وأحسنُ منـها طريقُ قيس بن مُسْلِمِ الكوفيِّ[٨]، وضَعَّفُوا طريقَ عَطِيَّةَ العوفيِّ[٩].

---

(١) بكسر الحاء وفتحها، والأول أفصح، والثـاني أشـهر، والمـراد بـه: ابـن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) أبي بن كعب، والعمران: أبو بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

(٣) أنسٌ وزيدٌ: أنس بن مالك، وزيد بن ثابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٤) عبد الله بن مسعود. والعبادلة: عبد الله بن عمر، وعبد الله بـن عمـرو بـن العاص، وعبد الله بن عباس - وقـد مـرّ ذِكْـره -، وعبـد الله بـن الـزُّبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

(٥) أبو موسى الأشعريّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٦) طرق التفسير عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: طريق معاوية بن صالح، عن علـيٍّ ابن أبي طلحة، عنه.

(٧) طريق محمد بن إسحاق صاحب السِّيرة: عن محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عنه.

(٨) طريق قيس بن مسلم الكوفيّ، عن عطاء بن السَّائب، عن سعيد بن جبير، عنه، أحسنُ من طريق ابن إسحاق.

(٩) وأمّا طريق عطية العوفيّ فطريقٌ جائر.

وطريقُ الضَّحَّاك؛ لأنها مُنقطعة[١]، وطريق مُقَاتِلٍ وهي مُنْصَدِعَة[٢].

وأمَّا ابْنُ مَسْعُود بن غافِلْ، فطَرِيقُ الأعْمَشِ عَنْ أبي الضُّحَى وعَنْ أبي وائلْ[٣]. وطريقُ مُجاهِدٍ عن أبي مَعْمَرْ[٤]، والجَمِيعُ مُعْتَبَرْ. وطريقُ السُّدِّيِّ عن مُرَّةْ، واهٍ بالمرَّةْ[٥]. ولا تكُ في شوقْ، إلى طريق أبي رَوْقْ[٦].

وأمّا أُبيّ فَمِنْ طريق أبي جَعْفَرٍ عَنِ الرَّبيعْ، وهو إسنادٌ غيرُ وَضِيعْ[٧]، بخِلافِ طريقِ وكَيعْ. عن حَفيد عقيلْ، إذِ الكلامُ عنه غير قليلْ[٨].

---

(١) وكذلك الضّحاك بن مزاحم طريقة منقطعة.

(٢) ومثلها طريق مقاتل بن سليمان، فقد كذّبه غيرُ واحد.

(٣) من أصحِّ الطرق عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طريق الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عنه.
وكذلك: طريق الأعمش، عن أبي وائل، عنه، يوردها البخاريّ في صحيحه.

(٤) طريق مجاهد عن أبي معمر، عنه. يوردها البخاريّ في صحيحه أيضًا.

(٥) طريقُ السُّدِّيِّ الكبير، عن مُرَّة الهمدانيّ، عنه. وهي طريق ضعيفة، يوردها الحاكم.

(٦) طريق أبي روق: عن الضّحاكِ، عنه. منقطعة.

(٧) طريق أبي جعفر الرازيّ، عن الرّبيع بن أنس، عن أبي العالية، عنه. لا بأسَ بها.

(٨) وكيعٌ، عن سفيان، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الطفيل بن أُبَيٍّ ابن كعب، عنه. وهي دون الأولى.

والمَشْهُورُ بالتَّفسِير في بَلَدِ القِبْلَةْ: البَحْرُ وعَطَاءٌ وعِكْرِمَةُ قَبْلَـهْ.
وطاوُوسُ المَوْلَى، وكُلُّهُم كان مَوْلَى[١].

وفي مدينة النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زيدُ بن أسلَمْ. وأبُو العَالِيَةْ:
ذُو المَنَاقِبِ العَالِيَةْ. وأمَّا ابْنُ مَسعودْ، في العِرَاقِ المَنْكُودْ[٢].
فالأسودُ ومَسْروقْ، وعلقمةُ الصَّدوقْ. وعامرٌ الشَّعبيّْ، والحسنُ
البصريّْ، وقتادةُ السَّدُوسيّْ.

وأوَّلُ قَابِسٍ قَبَسْ، مالكُ بْنُ أنسْ[٣]. ولابْنِ جُبَيْرٍ قَبْلَهُ
صَحيفَةْ، مفقودةٌ لا معروفَةْ[٤]. ومِنْ أوَّلِ مَنْ صَنَّفَ في التفسيرْ:
أبو عُبَيْدَةَ[٥] السِّفْسِيرْ[٦]. وكذا الفَرَّاءُ الخطيرْ[٧]، وبَعْدَ ذَلِك ابنُ
جَريرْ. ثُمَّ التَّفْسير يَكُون بمَنْقُول الرِّوايةْ، وبمَعْقُول الدِّرايَةْ. وكَثُر
في الأوَّلِ الأقاوِيلْ، وخَبَرُ بني إسْرائيلْ. وأقْطَابُه: عبدُ الله بن

(١) كلهم كانوا من الموالي: عطاء، وعكرمة، وطاووس رحمهم الله.
(٢) الممنوع من حقّه.
(٣) أوّل من وضعه، بمعنى: جمع بعض رواياته.
(٤) صحيفة في التفسير كتبها سعيد بن جبير التابعي المشهور، بأمر عبد الملك ابن مروان (ت ٨٦هـ).
(٥) أبو عبيدة: مَعْمَرُ بن المُثَنَّى (ت ٢٠٩هـ).
(٦) القيّم بالأمر المصلح له، والرَّجل الظريف العبقريّ، الحاذق بصنعته. وأخطأ «المعجم الوسيط» إذ جعل معاني السِّفسير: معاني للسّفير.
(٧) الفرَّاء: يحيى بن زياد الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ)، صاحب كتاب «معاني القرآن».

سَلامْ، وابْنُ جُرَيجِ الإمامْ[١]. وسَيِّد الأحْبَارِ كَعبْ[٢]، وكَذَلِك وَهْبْ[٣].

ومِنْ خَيْرِ التَّفاسيرْ: «جامع البيان» لابن جريرْ، و«تفسير القرآن» لابن كثيرْ. وكذلك «فتح القديرْ»، وكتاب «زاد المسيرْ». وكُلُّها جَامِعَة بَيْن المَنْقُولْ، وصَريحِ المَعْقُولْ[٤]. ومِنَ التَّفْسِير بالمَأثورْ: ابن أبي حاتمٍ و«الدُّرُّ المَنْثُورْ».

ومِنْ تَفَاسير الرَّأْي السَّندَريّْ[٥]، تفسير الزَّمخشريّْ. وكذلك حَوَاشِيهِ العِذَابْ، كـ «حاشية الشِّهَابْ»[٦]. ومِنْ تَفَاسيرِ الأحْكامْ: كِتَابُ القُرْطبيِّ الإمامْ. وفي التَّناسُبِ والتَّداعيْ: تفسير البِقَاعي[٧]. وفي القِرَاءَاتِ وإعْرَاب القرآنْ، تفسير أبي حَيَّانْ[٨].

---

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠هـ، أو بعدها).

(٢) كعب الأحبار (ت ٣٢هـ).

(٣) وهب بن مُنبّه (ت ١١٤هـ).

(٤) «فتح القدير» للشوكاني، و«زاد المسير» لابن الجوزيّ، وكلُّ التَّفاسير الأربعة من الكتب التي جمعت بين الدِّراية والرِّواية.

(٥) السَّندري: له معانٍ؛ منها: الجيّد، والرَّديء (ضد)، والجريء، ومِكْيال ضخم.

(٦) «حاشية الشهاب على البيضاويّ»، و«تفسير البيضاويّ» خلاصة لما في «الكشاف»، وقد اطَّرح آراء المعتزلة، وذَكَر آراء الأشاعرة مكانها، وعليه أكثر من مئتي حاشية!

(٧) المسمّى «نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر».

(٨) المسّمى بـ «البحر المحيط».

وفي الجَدَلِ وإيرَادِ الرَّيبْ، «مَفَاتِيحُ الغَيْـبْ»[1]. وفي عَجَائـب الكَونِ الباهِرْ، تفسير «الجَواهِرْ»[2].

ومِنْ أعْلاَهَا في البَيَانِ الظَّاهِرْ: تَفْسِيرُ الطَّـاهِرْ[3]. ومِـنْ أغْلاَهـا عِنْـدَ أُولِي الألبَـابْ: تفسِـيرُ «اللُّبَـابْ»[4]. و«رُوحُ المَعَـاني، في تَفْسِير القُرْآن والسَّبْعِ المَثَاني»[5]، وتفسيرُ «المنارْ»[6]، و«أضْـوَاءِ البيانِ» لابن المُختار[7].

وفي المُخْتَصَرَاتِ: تَفْسِيرُ الإمَامَينْ، المَعْـرُوفَيْنِ بـالجَلاَلَين[8]. وتفسيرُ السَّعدِي[9]، وابـن جُـزَيٍّ الكَلْـبي[10]، و«وجـهُ النَّهَـارِ» للحَرْبي.

---

(١) للفخر الرّازيّ (ت ٦٠٦هـ).

(٢) مصنّفه: طنطاوي جوهريّ (ت ١٣٨٥هـ).

(٣) الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، وتفسيره: «التحرير والتنوير».

(٤) «اللّباب في علوم الكتاب» لابن عادل الحنبلي (توفي بعد ٨٠٠هـ)، وهو منتزعٌ من ابن كثير والدّرّ المصون.

(٥) للآلوسي الكبير: محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ).

(٦) لرشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ).

(٧) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ).

(٨) تفسير الجلالين: الجلال المحلّي، وقد فسَّر نصف القرآن: من الكهف إلى آخر القرآن مع سورة الفاتحة، والباقي فسَّره جلالُ الدِّين السُّيوطي.

(٩) المسمّى «تيسير الكريم المنّان في تفسير كلام الرحمن» للشيخ عبد الرحمن ابن ناصر السّعدي (ت ١٣٧٦هـ).

(١٠) المعروف بـ«التسهيل لعلوم التنزيل»، وابن جُزي: محمد بن أحمد الكلبيّ الغرناطي المالكي (ت ٧٤١هـ).

وإنَّ أصْفَاهَا وأنْقَاهَا، وأَوْسَطَهَا وأتْقَاهَا: تَفْسيرُ أبي الفِدَا[1]، فاجْعَلْهُ لك رِدَا، وصَدِّقْنِي لَكَ الفِدَا!.

واعْلَمْ أنَّه لا يُغْني سِفْرٌ عَن سِفْرْ[2]!! وإنَّمَا هي لآلئُ في بَحْرْ. وعُقودٌ مِنْ نُورْ، عَلَى نُحُورِ الحُورْ، وإلى الله تُرجعُ الأمورْ.

(١) أبو الفداء ابن كثير، تفسيره أصفى التفاسير، وأنقاها من شوائب الإسرائليات والأقوال المنكرة، وهو فيَّاض بنور الآثار، فلا تعدل عنه أيها الطالب. وهو كتابٌ سهل القِطَاف بحمد لله، ولا تَظُنَّنَّ أن طلب العلم في الكتب العسِرة أولى وأنفع!

(٢) أي: لا يغني تفسير عن تفسير.

المَقامَة التّفْسِيريّة

(من أول الفاتحة إلى آخر الحجر)

قال أبو العينين:

لقيتُ عالمًا من علماء الإسلامْ، لدى باب السَّلامْ. يُشارُ إليه بالبَنانْ، في علم التَّفسير والبَيانْ. فلمّا قضى صلاتَهْ وتسبيحَهْ. جَنَحَ إلى عَرْصَةٍ فسيحَةْ، واقْتَعَدَ قِعْدَةً مُريحَةْ، ثمّ قال بعبارةٍ فصيحَةْ. الحمدُ لله حقّ حمدِهْ، وتباركَ الذي نزَّلَ الفُرقانَ على عبْدِهْ. اللّهمّ يسّرْ لي في هذه السَّاعَةْ، أن أسرُدَ لهذه الجَماعَةْ. مجمل غريب التَّنزيلْ، بين الإجمال والتَّفصيلْ. فَلَهَجَ بِلُغةٍ واضِحَةْ، مبتدئًا بسورةِ

الفَاتِحَةْ

﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾: هو الثَّناءْ، و﴿ٱلدِّينِ﴾: هو الجزاءْ. والضَّالونَ: الخارجونَ عن طريق الخِيَرَةْ، كالنَّصارى وأصحاب

البقرَةْ

الله أعلمُ بما يريدْ، بِمُقطَّعاتِ القرآنِ المجيدْ. والرِّزقُ: عطاءُ، والغِشاوَةُ: غِطاءْ. ومعنى ﴿يَعۡمَهُونَ﴾، يترددون. والصَّيِّبُ: المطرُ

الغَزير، والتَّقديسُ: هو التَّطهيرُ، والرَّغدُ: الكَـثير. ﴿وَٱلْفُرْقَانَ﴾: الفـارقْ، والبـارئ: الخَـالِقْ. والسُّـمانى: هـو السَّـلوَى، وأمّـا ﴿ٱلْمَنَّ﴾: فحلـوَى. والـرِّجس: العـذابُ الحاضِـرْ. و﴿ٱلذِّلَّةُ﴾: الصَّغارْ، والفارضُ: مُسِنَّةُ الأبقارْ. والفاقِعْ: النَّاصِـعْ، والتَّـدارءُ: التَّدافعْ. والوَشيُ كالشِّيَةِ، في جلدِ الماشيَةْ، والغُلْفُ: في أغطيَةْ. والخَلاقُ: النَّصيبْ، في اليومِ العَصيبْ.

وقوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أيْ قِبلةُ اللهِ بلا اشتباهِ

والبديعُ: المُبْدِعْ، والمثابةُ: المَرجِعْ. والعـاكِفُ: هـو المقـيمْ، والحنيفُ: على مِلَّةِ إبراهيمْ. ومعنى سَفِهْ، جَهِلَ وتَفِهْ. والصِّـبْغَةُ: المِلَّةُ المَنيعَةْ، كالشّرعِ والشَّريعَةْ. والحسرةُ: أشَدُّ النَّدامَةْ، في يومِ القيامَةْ. و﴿يَنْعِقُ﴾: كيصيحْ، علـى القـول الصّـحيحْ. والبأسـاء: الفَقْرْ، والضَّراءُ: الضُّرّ، والبـأسُ: قتـالُ أهـلِ الكُفْـرْ. والجنَـفُ: الجورُ والميلْ، والخيطـان: النَّهـارُ واللّيـلْ. والرَّفـثُ: الجِمـاعْ، وحُكي فيه الإجماعْ. ويَشري: يبيعْ، والمهاد: كفـراش الرَّضـيعْ. والمَيْسـرُ: القِمَـارْ، والقُـرُوءُ: الأطْهـارْ. والتَّـربُّصُ: الانتظـارْ، والإكنانُ: الإضْـمارْ. والخُلَّـةُ: الحُـبُّ اللّطيـفْ، والسِّـنَةُ: النَّـومُ الخَفيـفْ. والقيّـومُ: القـائمْ، وهـو الـدَّائمْ. والإنشـازُ: الرّفـعْ، والصَّورُ: الجمعْ والضَّمّْ، والصَّـلدُ: الأملـسُ الأصـمّْ. والوابـل: المطـرُ إذا غَـزُرْ، والطَّـلُّ: إذا نَـزُرْ. والـرِّيحُ: هـو الإعصـارْ، والأثقالُ: الآصارْ. والسِّيدُ: مولى الإنسانْ، وسيأتي في

آل عِمْرَانْ

الدَّأْبُ: ما يُعتادْ، والمُسَوَّمَةُ: ما يُعلَّمُ مِن الجيادْ. والمحرَّرُ: العتيقْ، والسَّيِّدُ: الكريمُ لدى فريقْ، والحَصُورُ: من لا يطيقْ. والعاقِرُ: كالعقيمِ من الرِّجالْ، ومن ذواتِ الحِجالْ. والحواريُّونَ: من يصطفيهم الأنبياءْ، والرَّبانيّونَ: العلماءُ الحُلماءْ. والأكْمَهُ: من يولَدُ مِن العميانْ، والابتهال: هو الالْتِعانْ. والحبلُ: العَهْدُ والذِّمَّةْ، في تفسير الأئمةْ. ويألُو: يُقصِّرْ، والبردُ: معنى الصِّرّْ. والبِطانَةُ: الدُّخلاءْ، والخَبالُ: الإفسادُ في الخلاءْ، والعَنَتُ: المشَقَّةُ والبلاءْ. والقَرْحْ، كالجَرْحْ. وَالغِلُّ: خيانةُ العبادْ، والزَّحْزَحَةُ: الإبعادْ. والمرابطَةُ: الاستعدادُ صباحَ مساءْ، وهو للرِّجالِ و

النِّساءْ

الرَّقيبُ: الحافِظْ، أيّها الحافِظْ. والحَوْبُ: الوَحشةُ والإثْمْ، وفيه الفتحُ والضَّمّْ. والعَولُ: الجورْ، والصَّدقاتُ: المهُورْ. والإفضاءُ: المجامعَةْ، والطّولُ: السَّعَةْ. والعَنَتُ: الضَّرَرْ، ﴿والصاحبِ بالجَنبِ﴾: الرَّفيقُ في السَفَرْ. وذو القُربَى: القَريبْ، والجُنُبُ: الغَريبْ. والفتيلُ: بشِقٍّ نواة التّمرَةْ. والنَّقيرُ: النُّقْرَةْ، والقِطْمِرُ: القِشرَةْ. والكفيلُ: النَّصيبْ، والمقيتُ: الرَّقيبْ.

والمراغمُ: السَّعَةُ والمذهبْ، والموقوتُ: المفـروض المُوجَـبْ. واللَّيُّ: ميل الحاكمِ والشُّهُودْ، في الشَّهادَةِ و

العُقُودْ [1]

العَقْـدُ: هـو العَهْـدْ، والأَمُّ: القَصْـدْ. والحُـرُمُ: المُحْرِمـونْ، والشَّنَآنْ: البغضُ بالفتح والسُّكونْ[2]. والموقوذةُ: المضروبة بنحو الفَاسْ، والنَّطيحةُ: المنطوحة بـالرّاسْ. والمُترَدِّيَـةُ: الواقِعَـةُ مـن أعلـى، والأزلامُ: الأقـداحُ كـالمُعَلَّى. والنُّصُـبُ: الحِجَـارْ، والمَخْمَصَةُ: الجوعُ والسُّعَارْ، والجـوارحُ الأطيـارْ. والأخـدانُ: الأصـدقاءُ، والنُّقبـاءُ: الأُمَنـاءْ. وأغرينـا، سَـلَّطْنا. والتَّوسُّـلْ:، التَّوصُّلْ. والمُهَيمِنُ: الشّاهِدُ علـى الحقيقـة. والشِّـرعَةُ: الشَّـريعةُ والطَّريقَةْ. والدائرةُ في المكروهْ، لا من جميع الوُجُوهْ. والبَحيرَةُ: المشقوقة الأذْنْ، والسَّائبةُ: المسيَّبةُ من البُدْنْ. والوَصيلةُ: ما لهـا أنثى وذَكَرْ، والحامْ: البَعيرُ إذا كَبِرْ. وكلّها من

الأنعامْ

المِدْرارْ، المِغْزارْ. والوقرْ: الثِّقلُ في الآذانْ، والنَّأيُ: البُعدُ عن القُرآنْ. والإبـلاسْ، تسـليم الـنَّفسِ واليـاسْ. والـدَّابِرْ، الآخِـرْ.

(١) تُسمّى المائدة: العقود أيضًا.

(٢) بفتح النُّون، وسكونها.

والبُزُوغُ: ضدُّ الأفولْ، يا ذوي العُقـولْ. والغمَـرَاتُ: السَّـكَرَاتْ. والحُسْبانُ: تُحْسَبُ به الأوقاتْ. والبَينُ: الوَصْـلْ، ويطلـق علـى الفَصْلْ. والمُستَودَعُ في أصلابِ الـذُّكْرانْ، والمُسـتَقِرُّ في أرحـام النِّسْوَانْ. والقِنْوَانُ: الأعْـذاقْ، والخَـرْقُ: الاخـتلاقْ. والصَّـغارُ: المهانَة والذُّلّ، والمكانـة: الناحيـةُ لـدى الجُـلّ. والحَمُولَـةُ مـن الأنعـامِ: الكِبـارْ، والفَـرْشُ: للصِّـغارْ. والفقـرُ: هـو الإمـلاقْ، والشِّيَعُ: الفِرَقُ عن شقاق. وسببُها الهوى والاختلافْ، والتَّعصُبُ

لِلأَعْرَافْ

الذَّأْمُ: أقصى الذَّمّْ، والثُّقْبُ: هو السَّـمّْ، وفيـه الفـتحُ والكسـرُ والضَّمّْ. و﴿يخصفان﴾، يلزقان. والرِّيشُ: العينُ والمالْ، وقيـل: الزِّينـةُ والجمـالْ. و﴿الغـابرين﴾: البـاقِينْ، وقيـل: الـذّاهبينْ. و﴿عَفَوا﴾: كَثُروا، وأرجئوا وأخِّـروا. والسِّـنينُ: الجَـدْبُ وضِـدُّ السَّعَةْ، والحَسَـنةُ: النِّعمـةُ والدَّعَـةْ. ومُتَبَّـرٌ: هالِـكْ، والعُـرُوشُ هنالِكْ. والأسَفُ: الغَضَبْ، والخوفُ: هو الرَّهَبْ. والسِّبطُ: ولدُ الوُلْـدْ، والإصْـرُ: هـو العَهْـدْ. والشُّـرَّعُ: الظّـاهرةُ، والعُـذْرَةُ كالمَعْذِرَةْ. والبَئـيسُ: الشَّـديدْ، وهـو وعيـدٌ شـديدْ. والانفجـارُ كالانبجاسْ، والخَلْفُ: الطَّالِحُ من النَّـاسْ. والظُّلَّـةُ: السَّحابةُ لا تنقشِعْ، ونتق الجبلُ: إذا قُلِـعْ. وأخْلَـدْ بمعـنى: ركـنْ، في قـول الحسنْ. ويُجلِّيها: يُظْهِرها للنَّاسْ، والحَفِيُّ: العالم في قـول ابـن

عباس. والطّائف: اللَّمَمّ في لغة العربْ، وزعم مجاهد أنّه الغَضَبْ. والأصِيلُ: واحدُ الآصَالْ، على زِنَةِ

الأنفالْ

وهي الغنائمُ في قول البحرِ والضّحاكْ، والوَجَلُ: الخوفُ من الهَلاكْ. والشَّوكةُ: السِّلاحْ، ومنه: شاكي السِّلاحْ. والأمَنَةُ: الأمانْ، والأطرافُ: البَنَانْ، والمخرَجُ: هو الفُرقانْ. وهو النَّصرُ عند فريقْ، والمُكاءُ: الصَّفيرُ على التَّحقيقْ، والتَّصدية: التصَّفيقْ. وريحُكُمْ: دَولتُكُمْ، وقيلَ: شِدَّتُكُمْ. والعُدْوَةُ: جهَةُ الوادْ، والبَطَرَ: الفخرُ على العبادْ. والنُّكوصُ: الرُّجوع إلى القَهْقَرَى، والتَّشريدُ: التَّنكيلُ بين الوَرَى. ووِلايةُ الكافرينِ بالنَّصرِ والمحبّةْ، وذلك جُرمٌ لا ينزع إلاّ

بالتوبة

لا بَسْمَلَةَ عندَ علماءِ القِراءَةْ، في أوّل سورةِ ﴿بَرَآءَةٌ﴾. والأذانُ: الإعلامْ، أيُّها الأعلامْ. والإلُّ: العَهْدُ ذو الأيْدْ، في قَوْلِ ابن زَيْد[1]. وكذلك معنى الذِّمَّةْ، في قَولِ حَبْرِ الأُمَّةْ[2]. والوَليجَةْ: البِطَانَةَ، وَالسُّكُونُ: مَعْنى السَّكِيْنَةْ. و﴿ٱلنَّسِيٓءُ﴾ في

(١) جابر بن زيد الأزديّ، من تلاميذ ابن عباس (ت ٩٥هـ).

(٢) عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (ت ٦٨هـ).

الشُّهُورِ، هُـوَ التَّـأخِيْرُ وَ﴿ٱلشُّقَّةُ﴾: السَّـفَرْ، كمـا قـال الأكثَـرْ. والإيْضاع: الإسـراعُ في السَّـيْرْ، والمَغـارة: كَـالغَورِ في عَيْـر[1]. و﴿يَجْمَحُونَ﴾: يُسْـــرِعُونْ، و﴿ٱلْمُعَذِّرُونَ﴾: المُعْتَـــذِرُونْ. و﴿ٱلْخَوَالِفِ﴾: النِّساءُ والصِّبْيان، وأهْلُ الأعْذَارِ مِنَ الشِّيخان[2]. والـ ﴿مُرْجَئُونْ﴾: المُؤَخَّرونْ. وقُـرِئ بِحَـذْفِ الهَمْـزَةْ، لِحَفْـصٍ ونافعٍ والكِسَائيِّ وحَمْـزَةْ. والإرصَـادُ: الارتِقَـابْ، في قَـوْلِ ابْـنِ الأعْـرابْ. ومعـنى ﴿شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾: شَـفيرٌ مُجْتَـرفٌ مُنْهـارْ. والسَّائحُ: الصَّائمُ بِلُغَةِ هُذَيْلْ، وقيل: طالِبُ العِلْم وهُوَ قُوَيْـل[3]. وقيل: هو الغَازي المُجاهِـدْ، وقيـل: السَّـائرُ في الفَدَافِـد[4]. واوُ ﴿وَٱلنَّاهُونَ﴾: واوُ الثَّمانيَـةْ[5]، وفيـه أقـوالٌ ثانيَـةْ. وقيـل: زائدَةْ، قلنا: ما الفائـدَةْ؟ والأوَّاهُ: الـدُّعاءُ بِالعِبْريَّـةْ، أو: الـرَّحيمُ بالحَبَشيَةْ. ومعنى ﴿خُلِّفُواْ﴾: أُخِّروا عَنْ تَوبَةِ ذي الجَلاَلْ، وهُم: مُرَارَةٌ وكَعْبٌ وهِلاَلْ[6]. والنَّصَب: ما يُتْعِبُ الأنْفُـسْ، والغِلْظَـة: الشِّدَّةُ وما لا

(١) في جبل.

(٢) الشُّيوخ.

(٣) قولٌ ضعيفٌ.

(٤) في الصحارى.

(٥) واو الثمانية تعطف العدد ثمانية أو ما في معناه، بالواو دون ما قبله.

(٦) مُرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويُرمز لهم بـ (مكّه).

يُونس[1]

﴿قَدَمَ صِدْقٍ﴾: عمـلٌ صـالِحْ، في روايـة أبي صـالِحْ. و﴿ٱلْحَصِيدِ﴾: المَحْصُودْ. والنَّظر هو: الزِّيادَةْ، في قول البَحْر وقتادَةْ. وزَيَّلنا: فَرَّقنا. و﴿تَبْلُوا۟﴾: تَذُوق وتَخْتَبرْ، والإفاضَة فيه: الإكْثار من الهَذَرْ. والسُّلطان: الحُجَّةْ، والغُمَّةُ: كَالدُّلْجَةْ. و﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ هم أصحاب الرَّسِّ وَثَمُوْدْ، ومَنْ قَصَّهم في سُورَةِ

هُوْدْ

الأُمَّةُ: الحِينْ، ويأتي بمعنى: الدِّينْ. وبمعنى: الجامِعْ، والإخباتُ: الإنابةُ والتَّواضُعْ. وبادئ: أوَّل الرَّأي. ﴿وَغِيضَ﴾، أي: نقص إذْ نَزَل، و﴿ٱلْجُودِيِّ﴾: اسمُ جبَلْ. والمَجيدُ: الكَريم الماجِدْ، والعنيدُ: العَنُود كَالعَانِدِ والمُعانِدْ. و﴿مُّنِيبٌ﴾: مِن أناب، أي: رَجعْ، و﴿ٱلرَّوْعُ﴾: الفَزَعْ. و﴿يُهْرَعُونَ﴾: يُسْرِعون في رِعْدَةْ، ويومٌ عصيبٌ: ذو شِدَّةْ. و﴿سِجِّيلٍ﴾: طِينٌ بِحَجَرْ، و﴿مُّسَوَّمَةً﴾: مُعَلَّمةٌ لمَنْ فَجَرْ. ومَدْيَن: رَجُلٌ وقيل: بَلَدْ،

(١) أي: ما لا يؤنس، وفيه إشارة إلى سورة «يونس».

والرِّفْدُ: العَوْنُ والمَدَدْ. و﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾: الطَّاعَةْ، والزُّلَفُ: السَّاعَةُ بعد السَّاعَةْ. والتَّبييت: الإهْلاكُ كالإتْرافْ، وفيه وفي الاسْتِثْناءات الثَّلاثِ خِلافْ[1]. وكثيرٌ لم يُنصِفْ، وذاك ممّا

يُوسفْ[2]

﴿يَرۡتَعۡ﴾: كَنَلْهُوْ، و﴿مَثۡوَىٰهُ﴾: مَنزِلُهْ. والبَخْسُ: هو النُّقصانْ، و﴿هَيۡتَ﴾ كتَعَالْ بلُغَةِ حَوْرَانْ. والأشُدُّ: استكمال القُوَى، والشّغف: الوَجْدُ والجَوَى. أو: هو وُصُول الحُبّْ، إلى شِغَاف القَلْبْ. وأمّا ﴿تُحۡصِنُونَ﴾، فمعناه: تُحْرِزُونْ. والضِّغْثُ: مِلءُ اليدِ مَنَ الحَشيشِ وما أشبهَ ذلِكْ، و﴿حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾، تَبَيَّنْ ما هُنالِكْ. والمِيرَةُ: جلبُ الطَّعامِ وميمُه مَكْسُورْ، والصُّوَاعُ: إناءٌ يُسْقى بِهِ كما قال ابْنُ مَنْظُورْ. و﴿ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ﴾: يَئِسُوا. و﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗا﴾: اِعْتزَلُوا يَتَنَاجَونْ. و﴿تُفَنِّدُونِ﴾: تُحَمِّقُونَ وتَسَفِّهُونْ. و﴿تَفۡتَؤُاْ﴾: تَزالْ، والحَرَضُ الذي أذابَهُ الحُزْنْ والبَلْبالْ[3]. والمُزْجَاةُ: الرَّديئةُ المَدْفُوعَةْ، وقيل: المَسُوقة

(١) أعني: إلاّ ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ في الآيتين، والثّالثة: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧، ١٠٨، ١١٩].

(٢) أي: ممّا يؤسف، وفيه إشارة إلى السورة التي بعدها، وهي سورة «يوسف»، ويجوز في السّين الفتح والكسر والضمّ.

(٣) خواطر القلب.

المَدْفُوعَةُ[١]. والتَّثْرِيبُ: التَّعْيِيرُ، والعَرْش: السَّرِيْرُ. والبَصِيرَةُ: المَعْرِفة والرَّدْ، والغَاشِيَة: القَوَارِعُ

والرَّعْدْ [٢]

﴿ٱلْمَثُلَٰتُ﴾: العقُوباتْ. والسَّارب: الظَّاهر في النَّجاة أو الهَلَكَةْ، والمُعَقِّبات: المَلائكَةْ. و﴿شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾: شَديدُ العُقُوبَةِ والنَّكَالْ. والجَفَاء: ما يَقْذِفُه السَّيل من الزَّبَدْ، و﴿طُوبَىٰ﴾: شَجَرَة كَمَا وَرَدْ. ومعنى ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾: لَذَّتها في الأفْوَاهِ والغَلاصيم[٣]، كما جاءَ عَنْ[٤]

إبْرَاهِيمْ

أيَّامُ اللهِ: هي النِّعَمْ، وقيلَ: ما حَصَل فيها مِنْ نقَمْ. والصَّديدُ: ما يسيلُ من جسم أهل الوعيدْ، والكلمة الطَّيِّبةُ لفظة التّوحيدْ. والبَوَارْ: الهلاكُ والدَّمارْ. والمخالَّةُ معنى الخِلالْ، والأصفاد: هي الأغلالْ. والإهطاعْ، الإسراع. ومُقْنعي رءوسِهِمْ، رافعيها عن صُدُورِهِمْ. والقَطِرانْ: قارٌ ذو سَجْرْ، والألبابُ: النُّهَى

(١) الأولى بمعنى المرفوضة، والثانية بالعكس.
(٢) فيه إشارة إلى سورة «الرعد».
(٣) جمع غلصمة، وهو رأس الحلقوم.
(٤) إبراهيم: إبراهيم بن يزيد التيميّ (٩٦هـ).

والحِجْرْ

رُبَّ: حرفُ تقليلْ، ولِلتَّكثيرِ لدى قَلِيلْ. والتَّغْشِيَةُ: التَّسْكِيرْ. والمَوزُونُ: مُقَدَّرٌ مَعْلومْ، والرَّجيمُ: المَرْجُومْ. واللَّواقِحُ: ما يلقَحُ الشَّجَرْ، والمَسْنُونُ: المنتنُ بلغةِ حِمْيَرْ. واليابِسُ: معنى الصَّلْصَالْ، والحَمَأُ: طينٌ متغيِّرُ الحالْ. والقُنُوطُ: اليَاسْ، والتَّوسُّمُ: الفِراسةُ لدى ابن عباسْ. والسَّبْعُ المثاني: فاتحةُ الكِتابْ، وقيل: السَّبعةُ الأحْزابْ. وقال الضّحاكُ وابن كَيسانْ، جميع القُرآنْ. والموتُ: معنى اليقينْ، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

---

(١) وهذه فاتحة الفاتحة التي بدأنا بها مقامة التفسير، ردًّا للعجز على الصّدر.

المَقامَة التّجْويدِيَة

قال أبو العينين:

دَخَل أبو إسْحَاقْ، على بَعْضِ الرِّفَاقْ. وهُم يُتَمْتِمُون بِبَعْض أحكام القِراءَةْ، وأوْجُهِ الوَصْلِ في بَراءَةْ[١]. وبالمَخارج والصِّفَاتْ، والوَقْفِ والسَّكَتاتْ. والمَدِّ والتَّفْخيمْ، وأحكام النُّون والمِيْمْ. فأقْبَلُوا إليه يَزِفُّونْ[٢]، قالوا - وَهُم فَرِهُونْ[٣] -: مَرْحَبًا بِكَ السَّاعَةْ، يا أخا الجَماعَةْ. صَادَفْتَ مَحَلاً مُؤنسًا، ومَجْلِسًا مُقبِسًا[٤]. حدِّثنا في آيات التَّنزيلْ، ومَسَائِل التَّرْتيلْ. وأفِضْ عَلَيْنا مِنْ سَحائِب عِلْمِكْ، ومَليحِ نَظْمِكْ. وستَجِدُنا أسْمَعَ مِنْ سِمْعْ، يا زكِيَّ السَّمْعْ[٥]. فَلَمْ تكُنْ إلاَّ ثَوَانْ[٦]، حتَّى تكلَّم

(١) في سورة براءة، وفي وصل آخر الأنفال بها ثلاثة أوجه لدى القراء، وكلها بلا بسملة.

(٢) يسرعون.

(٣) فرحون.

(٤) أقبسه: أعطاه قبسًا. وأقبس فلاناً نارًا: طلبها له.

(٥) السِّمع بالكسر: الذِّكر الجميل، وهو أيضًا: ولد الذئب من الضبع، يضرب به المثل في السَّمع، فيقال: هو أسمع من سِمْع.

(٦) جمع ثانية. ويجوز في المنقوص المنكر الحذفُ والإثبات.

بِلا تَـوَانْ[١]. حَمِـدَ اللهَ وبَسْـمَلْ، وهَيْلَـلْ[٢] وحَسْـبَلْ[٣]. وقـال: لا جَرَمْ[٤]، أنَّكم استَسْمَنْتُم ذا وَرَمْ. وأحْسَنتُمُ الظَّنّْ، بِحِذْقي لهذا الفنّْ. فوَربِّ المَشَـارق والمَغَـاربْ، مـا أنـا إلاَّ طالـبٌ في بِحـار المَطالبْ، واقِفٌ على شَواطئ المَشَاربْ! غَير أنَّي سأُدْلي بِدَلْوِي في الـدِّلا[٥]، وحاشـا أن أقـولَ لَكُـم: لاَ. فَقَـدْ أُخِـذتْ عَلَيْنـا الأيْمَانْ، على عَدَمِ الكِتْمَانْ. غَير أنَّي سأُضَـمِّن ذلـك مـا عَـرَاني بِـالأمسْ، مِـنْ عِلَـلٍ ووَجْـس[٦]. وأشـرحُ لَكُـم حَـالي، وفُجْـأةَ اعْتِلالي. وتَقَلُّبَ بالي وبَلْبَالي[٧]، وتَحَوُّلَ عافيتي ومِثَالي[٨]. ومِمَّا زادَ في الاعْتِلالْ، أنَّني مُفَاضٌ[٩] مَالْ[١٠].

---

(١) تَعَبٌ وفتور.

(٢) قال: لا إله إلا الله.

(٣) قال: حسبي الله.

(٤) لا شكَّ.

(٥) بالقصر، أصله: الدِّلاء، جمع دلْـو، وتجمـع الـدَّلو علـى أدلٍ، ودِلاء، ودُلِيٍّ بكسر الدّال وضمّها، وكعَلَى.

(٦) فزع القلب.

(٧) الهمّ وشدة الوسواس.

(٨) المثال: صفة الشيء.

(٩) واسع البطن.

(١٠) سمين ضخم، أصله: مأل، بالهمز، ويجوز التخفيف.

وأُدْرِجُ ذلك في قِصَّةْ، في هذه الحِصَّةْ[1]. فَاشْرَأَبَّتِ[2] ساعتَها الأعْناقْ، وعَظُم الاشْتياقْ. فقال: أصَابَتْني عِلَّةْ، وأعوذُ باسم اللهْ[3]. اِهْتزَّ لها حَرفي، وتَحَرَّك منها لِسَاني وجَوفِي. وعَرَضَ لي جَفَافٌ في الحُلْقُومْ، والشَّفتَين والخَيْشُومْ[4]. فَلُذتُ إلى الله بِالرَّجَا، أن يَهَبني فَرَجَا، ويجعل لي مَخْرَجَا[5]. فَوَهَب لي سَبْعَةَ عشرْ[6]، وانْبَجس[7] الصَّوتُ وانْتَشَرْ. ودَوَّتِ[8] الحُرُوفْ، كَدَوِيِّ الخُذْرُوفْ[9]. وهي بِالتَّغْبيبْ[10]، عَلَى هذا التَّرتيبْ:

أَلا هبُّوا عَلى حَبرٍ غَزيرٍ

خَبيرٍ قَادرٍ، كَهْلٍ جَليلِ

---

(١) الجزء من الزمن.

(٢) امتدّت.

(٣) لا تنسجم السَّجعة إلاَّ بحذف ألف الجلالة بعد اللاَّم. ولا أختار لك أيها القارئ أن ترتكب مثل هذا لمثل هذا، ولتذهب السَّجعة إلى حيث ألقت رَحْلَها أُمُّ قَشعَم. ولن أغيِّر شيئًا في القافيتين.

(٤) الجوف والحلق واللِّسان والشفتان والخيشوم هي المخارج العامَّة لحروف الهجاء.

(٥) مخرجًا للحروف، ومَخْرجًا من كُلِّ ضيق.

(٦) وهي مخارج الحروف الخاصَّة، على القول المشهور.

(٧) انفجر.

(٨) صوَّتت.

(٩) شيءٌ يدوِّره الصَّبي بخيط فيسمع له دَويّ.

(١٠) ترك المبالغة.

شَــريف يَلْمَعــي(١) ضَــاءتْ لَدَيْــهِ

نُهًــى رَامَــتْ طِوَاعِيَــةَ الــدَّليلِ

تــلا صَــادا(٢) سُــحَيْرًا زَادَ ظِهْــرا

ذَنُوبًــا(٣) ثَــمَّ(٤) فِــي وَادٍ بِــمِيْلِ(٥)

بَعْدَ أنْ كُنْتُ لا أُظْهِـر غَيْـر المُظْهَـرَةْ، وهـي: «آه» وأربَـع في أُخرَةْ(٦). وقد أتى الأصحاب يَرْمُلُونْ(٧)، والله أعلم بما يَعْمَلُـونْ. وقـالوا: لَيُنبَـذَنَّ مُنْقَلَبَـا(٨)، ولـيُخفَينَّ مُنْقَلِبَـا. فَصِـرْتُ في تلـك

(١) لغة في الألمعي.

(٢) النحاس، ويطلق على الأسد والملك، ومن يرفع رأسه كِبرًا.

(٣) نصيبًا.

(٤) هناك.

(٥) الميل: مسافة معروفة، والمراد: أنه وادٍ واسع.
وهذه الأبيات اشتملت على جميع الحروف الهجائية مُرتَّبة ترتيبًا مخرجيًا، ابتداء من الحلق إلى الشَّفتين. وللحروف ترتيبان آخران، ترتيبيّ هجائيّ، ويقال له: ألف بائي، ومعجميّ. وترتيبٌ أبجديّ.

(٦) المراد الإظهار، وهي الألف والهاء، والأربع الأخر (العين والحاء، والغين والخاء).

(٧) حروف الإدغام السِّتَّة.

(٨) هذا مثال الإقلاب.

الآونَةْ، كَالمِيم السَّاكِنَةْ. مَرَّةً تُخفَى ومَـرَّةً تُظْهَـرْ، وطَـوْرًا تُـدَّغمُ وتُقْهَرْ. وتَذَكَّرْتُ وأنا مُجَشَّرْ[1]، قَولَ فَتَى زَمَخْشَرْ[2]:

وأخَّـــرَني دَهْـــريْ وقـــدَّم مَعْـــشَرًا
علـــى أنَّهـــم لا يَعْلَمُـــون وأعْـــلمُ
ومُـــذْ أفلـــح الجُهَّـــالُ أعلـــمُ أنَّنـــي
أنـــا المـــيمُ والأيـــامُ أفْلَـــحُ وأعْلَـــمُ[3]

ولما اطَّلَعَ الطَّبيبُ على ذاتي، ورأى حَالي وصِفَاتي[4]. جَهَـرَ بما أحَسَّ وما صَمَتْ، وحَثَّهُ شَخْصٌ فَسكَتْ[5]. وهَمَزَني بِشِدَّةْ، قال: قَطْبُكَ جُدَّةْ؟[6]

(١) المجشَّر: المعزَّب، وهو الذي أُبعد عن داره.
(٢) الزمخشري، صاحب التفسير. وكلّ ما ورد من الشعر والنظم في المقامات هو من قولي إذا لم أعزُه إلى أحد.
(٣) هذا البيتان يشتملان على لُغْز عَسِر، ويظهر لي معناه، وهو: أن الزَّمخشري يشبّه نفسه بحرف الميم التي لا يستطيع أن يلفظ بها من كان أفلح، وهو: مشقوق الشَّفة السُّفلى، أو: من كان أعلم، وهو: مشقوق الشَّفة العُليا. يشكو زمانه وأهله في ذكرهم للجاهلين، وترك الثناء على العالمين.
(٤) إشارة إلى صفات الحروف.
(٥) حَثَّهُ شخصٌ فَسكت: هي حروف الهمس.
(٦) قُطْبُك جدَّة: حروف الشدّة، وهي: ثمانية، تلك سَبعة، والثَّامن الهمز، وهو مضمَّن في لفظ (همزني)، ويجمع أيضًا في: أجد قطٍ بكت.

قلتُ في رَخَاوةْ: أجَلْ، وتَوَسَّط عَرْمَنَلْ[١]. وهو مُسْتَعْلٍ يَقِـظْ، وخُصَّ بِضَغْطٍ قِظْ[٢]. وقال: لا تَكُنْ في اسْتِفال وَضَـعَةْ، وأَطْبِـقْ ولا تفتح لأربعَةْ[٣]. وفِرَّ مِنْ لُبٍّ عند الإِذْلاَقْ[٤]، وأَصْـمِتْ عنـد البَوَاقْ. تلك عَشَرَة كامِلَةْ[٥]، ولي عَشْر صِفاتٍ آثِلَةْ[٦].

وأوْصَاني بِالمَدِّ، عند الهَمْزِ والرَّدِّ[٧]. وأن لا أُجاوزَ حَرَكَتينْ، عِنْدَ ذَهَابِ هَاتَيْنْ[٨]. وقال: المَدُّ لازمٌ مع السُّكُونْ[٩]، فإن كـان عارِضٌ فَلَكُم فيه ما تَخَيَّرُونْ[١٠]. وهو[١١] جائزٌ في الانْفِصَالْ[١٢]،

---

(١) عَرْمنل: حروف التوسط، وباقي الحـروف للرخـاوة، وتجمـع أيضًـا في «لِنْ عُمَر».
(٢) خُصَّ ضغطٍ قِظ: حروف الاستعلاء، والبقية للاستفال.
(٣) الأربعة للإطباق، وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء. والباقي للانفتاح.
(٤) حروف الإذلاق (فِرَّ مِنْ لُبٍّ)، والباقي للإصمات.
(٥) أعـني الصـفات، وهـي: الهمـس، والشـدّة، والاسـتعلاء، والإطبـاق، والإذلاق، وأضدادها.
(٦) متأصلة.
(٧) السكون.
(٨) أعني: الهمز والسكون.
(٩) إشارة إلى المدّ اللازم، وهو: أن يكون بعد حرف المدِّ سكون ثابت.
(١٠) لأن فيه المدّ والتوسط والقصر.
(١١) أي: المدّ.
(١٢) المدُّ المنفصل.

واجبٌ في الاتِّصَالْ. والوقوفُ كاملٌ عند التَّمَامْ، وكافٍ بين الكلامْ. وحَسَنٌ حِينَ لا مَلامْ[١]، وإلاَّ فهو ألِفٌ بعد لامْ[٢]. وإيّاكَ أن ترقِّقَ الفَخيمْ[٣]، أو تُفَخِّم الهَضيمْ[٤]!

ولم يَزَلْ يَتَدَرَّج في تَضْمينهْ، إلى حِينهْ. مِنْ تَلْمِيح إلى تَلْويحْ، ثُمَّ إلى تَصْريحْ. ثم أخَذَتْهُ سِنَةٌ[٥] في تِلك الحالْ، فلمَّا أفاقَ قالْ:

وقَلْقَلُوا قُطْبَ جَدٍ[٦] ورَقَّقوا
راءاتِ فِرْعَونَ ومَجْرى[٧] يَسْرِقُ[٨]
وفَخَّمُوا اللاَّمَ مِنَ اللَّهُمَّ
واللهِ عَن[٩] فَتْحٍ وحَرْفٍ ضُمَّا[١٠]

---

(١) أنواع الوقف الجائز (تامّ، وكاف، وحسن)، وللناس فيها تقسيمات مختلفة، وقلنا: الجائز؛ لأنه ليس في القرآن واجب.
(٢) أي: وقف قبيح، لأنه يشار إليه بـ (لا) في المصاحف.
(٣) المفخّم.
(٤) الرّقيق.
(٥) خفقة نعاس.
(٦) قطب جد: حروف القلقلة.
(٧) بالإمالة في ﴿مَجْرىٰهَا﴾.
(٨) وهي الرّاءات المكسورة، والسّاكن بعد كسر ليس بعدها حرف استعلاء مُتَّصل، والرّاء المُمالة، كراء ﴿مَجْرىٰهَا﴾.
(٩) عن بمعنى: بعد.
(١٠) هذا الفعل فعل ماض، وليس فعلَ أمر. وليس في القرآن ما يُفَخِّم من اللاّمات إلا لام الجلالة، ولام اللّهم، وأصلها اسم الجلالة أيضًا. ومن القُرّاء من يُفَخِّم بعض اللاّمات، وهو نافعٌ من رواية ورش، بضوابط.

ولامَ شَـمْـسٍ أدْغمـوا أمّـا القَمَـرْ
فَـأظْهَرُوا الـلاَّمَ لَـدَى أرْبَـعْ عَشَـرْ[١]

ثُمَّ أخَذَ يَقُولُ، وهو يَجُولُ:

ولا تَهْمِزُوا إبنًـا ولا امـرأةً ولا امْـ
ـرَءًا كان أو إثْنَين[٢] واسْمًا و(اَل) معًا
ولكنْ صِلُوها واقْطَعُوا غَيرَهَا ومَصْـ
ـدَرًا ذا رُبـاعيٍّ وفِعـلاً تربَّعَـا[٣]

---

(١) بإدغام العين في العين، وهي لغة فصيحة، قرأ بها أبو عمرو فيما ماثله في القرآن. والحروف التي تدغم فيها اللام الشمسية هي الحروف الأولى من كل كلمة في هذا البيت:

طِبْ ثم صِلْ رَحِمًا تَفُزْ ضِفْ ذا نِعَمْ   دَعْ سُوءَ ظنٍّ زُرْ شريفًا للكرم

وهي أربعة عشر حرفًا، والباقي - وهي أربعة عشر حرفًا أيضًا - حروف اللاَّم القمرية.

والبيت المذكور إذا قرئ بسكون الحاء في (رحما) كان البيت من الرجز، فإذا قرئ بكسر الحاء انقلب إلى بحر الكامل؛ لأن الرجز يتفق معه في «مستفعلن»، فإذا كان فيها «مُتَفاعِل» صار من الكامل، ولو كانت القصيدة ألف بيتٍ، كل تفعيلاتها «مستفعلن»، كان من الرجز، فإذا كان في واحد من أبياته «متفاعلن» انقلب من الرَّجز إلى الكامل.

(٢) بهمزة قطع للضرورة، وكذلك «ابنا» في صدر البيت.

(٣) أي الفعل الرباعي.

وعِنْدَ جُنْح الظَّلامْ، خَتَمَ الكلامْ. واسْتأذنَ للقيامْ، وألْقَى إلينا السَّلامْ، مُلوِّحًا بِالسِّلامْ[١]. ولم يَزَلِ الجَمْعْ، يُلْقُون السَّمْعْ، وأعْيُنهم تَفيضُ مِنَ الدَّمْعْ، ممَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقّْ، وهُم يَهُمُّون بِاللَّحْقْ[٢].

(١) بكسر السين: عظم ظهر الكفّ.
(٢) اللّحاق، يقال: لحِق به لَحْقًا ولَحاقًا.

المَقامَة الحَدِيثيّة

قال أبو العينين:

حدَّث أبو إسحاقَ في مجلس عامِرْ، وصحب سامِرْ. أحاديث الحُفَّاظْ، الكَيْسَى[1] الأيقاظْ. يساقطُ القولَ في كل مِضمَارْ. ويجنحُ إلى الحديث والأخبارْ. فلمّا سمع القومُ كلامَهْ، نثرَهُ ونظامَهْ. رغبوا أن لا يخرج الحديثْ، عن عُلومِ الحديثْ. واتّفق الأصحابْ، على أن تُمتِّعَ الألبابْ، بقصيدته في الألقابْ.

فتهلَّلَ وجهُهُ وأسْفَرْ، واستضحكَ واستبشَرْ. وقال: تاللهِ لقد خطر بالفُؤادْ، أن يُحرِّكَ بها الزِّنادْ، في هذا النَّادْ[2]. وإنّها لدى ذي العقلِ الرَّجيحْ،[3] والرأيِّ الصحيحْ، فائقة «غرامي صحيحْ»[4]. وتفوزُ بالرُّجْحانْ، على قصيدة الصَّبان[5]. وكلاهما

(١) جمع كيِّس كجيِّد: الظريف.

(٢) النَّادي، ويجوز حذف يائه.

(٣) الراجح.

(٤) قصيدة «غرامي صحيح» مطلعها:

غرامي صحيحٌ والرّجا فيك معضلُ   وحزني ودمعي مرسلٌ ومسلسلُ

وناظمها، هو: ابن فَرح، أحمد بن محمد بن فَرح الإشبيلي، توفي (سنة ٦٩٩هـ).

(٥) قصيدة الصّبان في ألقاب الحديث أولها: =

حازَ التَّفضيلْ، علـى الإجمـال لا التَّفصـيلْ. بالسَّـبْقِ والتَّـذليلْ، ويسـتوجبانِ الثنـاء الجميـلْ. واللهُ يقضـي بالهِبَـاتْ، والمـنحِ الصَّيِّباتْ[1]، والحسنات والطَّيِّباتْ. لي ولهما وللجميعْ، يـوم لا ينفعُ شفيعْ. إلاّ من أذن الله لَهْ، ورضـي مـا سـألَهْ. فـافتحوا لهـا القلوبَ والألبابْ، وأغلقوا النّوافِذَ والبابْ.

١- الحمـــد لله أمّـــا بعـــدُ: يـــا أملـــي

هل صحّ[2] قلبُكَ[3] بعد الضَّعفِ[4] والعِلَلِ[5]

٢- أم دلَّس الشيخُ[6] أم أبْهمْتَ[7] أم رُفِعَـتْ[8]

إليَّ واضـــطربت أخبـــارُكم[9] فَقُـــلِ

= صِلوا صحيح غرام صبره ضَعُفا ....

لمحمد الصّبّان، مطبوعة بمجموع مهمّات المتون.

(١) الكثيرات، والصيب: المطر.

(٢) إشارة إلى الصحيح.

(٣) المقلوب.

(٤) الضعيف.

(٥) إشارة إلى العلّة في الحديث.

(٦) تدليس الشّيوخ.

(٧) المبهم.

(٨) المرفوع.

(٩) المضطرب من الأخبار.

٣- إنّ الــذي بلّــغ[١] الموضــوع[٢] أوقــدَ في
قلــبي[٣] شــهابًا[٤] تعــدّاهُ إلى العضَــلِ[٥]

٤- وفي اتّصــالي[٦] يَــردُّ: الخــط[٧] منشــغلٌ
عــن الوِجــادةِ، والجَــوّالُ في فشَــلِ

٥- إنّــي لأسمــعُ مــا يُملــى وأقــرأ مــا
يُوصــى ويكتــبُ في الإعــلامِ[٨] في الــدّوَلِ

٦- لــو كــان قلبــكَ بالتقريــب مــن حجــرٍ
لغلَّــق الفــتح والتعليــقَ بالحُلَــلِ[٩]

---

(١) إشارة إلى البلاغات، كالتي في الموطأ.
(٢) الحديث الموضوع.
(٣) القلب في الحديث معروف.
(٤) إشارة إلى محمد ابن شهاب الزهري.
(٥) المعضل.
(٦) المتصل.
(٧) الخطّ ممّا يذكر في باب كتابة الحديث في المصطلح.
(٨) الوجادة، والسّماع، والإملاء، والإقراء، والوصية، والإعلام هي أنـواع التحمّل، وستأتي الإشارة إلى «الإجازة».
(٩) التقريـب لابـن حجـر، وكـذلك تغليـق التعليـق، والفـتح، وكلـها في الحديث.

٧- حمّلتني وأجزت[١] الهجر متصلاً
بحاكم صحَّح المشروطَ عن عجلِ[٢]

٨- كم واضعٍ خبراً للاحتسابِ تُقًى
أو التكسبِ والإفسادِ والجَدَلِ[٣]

٩- فزانَ عندك بل كرَّمتَ الكذوبَ وقد
أمسى يُبادرُ بالترغيب والوهَلِ[٤]

١٠- كم قدّموا الجرحَ للقاضي وما قبلت
ألفاظهم فيَّ إذ أجملوا عَذَلي[٥]

١١- فَأسندُوا المتنَ حتى لا يُرى أثرٌ[٦]
من الجروحِ من الإسنادِ للجبَلِ[٧]

(١) إشارة إلى التحمّل بالإجازة.

(٢) إشارة إلى الحاكم، وتساهله بالتّصحيح.

(٣) في البيت إشارة إلى أنواع الوضع في الحديث، إمّا للاحتساب، أو التّكسب، أو إفساد الدّين، أو المراء والجدل.

(٤) من أهل البدع - وهم الكرّاميّة - من جوّز الوضع للدِّين، كالتّرغيب والتّرهيب.

(٥) يُقدّم الجرحُ، ولا يقبل إذا كان مُجملاً.

(٦) المتن: متن الحديث، وأصله: الظّهر، والأثر يطلق على الحديث وعلى غيره.

(٧) يقال: فلان جبل في الحديث، أو في الحفظ.

١٢- وأوثقـوا ضـابطًا عـدلاً حليـف حِجًـا
جـمَّ المـروءَةِ للإخبـارِ عـن رجـلِ[1]

١٣- دعـا لبدعتـه بـل يسـتحلُّ فِـرًى
بـل ينصـر الزَّيـغَ بالمكـذوب والـدَّجَلِ[2]

١٤- إلاّ الـذي تـابَ إلاّ مـن روى كـذبًا
ونقـده الزَّيـفَ عنـد الصـيرفيِّ[3] جلـي[4]

١٥- وأرسـلوا[5] حيَّـة الـوادي[6] عليـه فمـا
بجسـمه شـعبةٌ[7] تَبْـرًا مِـن البَسَـلِ

١٦- وأشـربوه لـيحيى مـن معينـهمُ
ويوثـق الجـرحَ فـازددات جـروحُ علـي[8]

---

(١) في البيت بيان أوصاف الثِّقة من الرّواة.
(٢) في البيت بيان حكمهم على الرّاوي المبتدع.
(٣) انظر: قول الصيرفي في (تدريب الرّاوي ٢٨٠).
(٤) فيه استثناء: من تاب إلاّ أن يكون وضّاعًا.
(٥) إشارة إلى المرسل.
(٦) كان يُلقّب بذلك عليّ بن المديني.
(٧) أي: جزء من جسده، وشعبة بن الحجاج معروفٌ.
(٨) يحيى بن معين، إمام الجرح والتّعديل، والمعنى: أنهم أرادوا الاستعانة به، فكانوا كالمستجيرين من الرّمضاء من النّار، لتشدد ابن معين =

١٧- وصـــلته في بُخـــارى مســـلمًا ونســـا
وترمـــــذٍ وأبـــــو داوود لم يَصِـــــلِ[١]

١٨- حِبَّـــانِ كنّـــا وممّـــا زادنـــا ثقـــةً
إحســـانُ ظـــنٍّ بمجهـــولٍ وذي خطَـــلِ[٢]

١٩- يـــا ناقـــدًا ذهبًـــا والعـــدلُ في نســـإٍ
لم تُمـــضِ قولـــك بـــالميزانِ فاعتـــدلِ[٣]

٢٠- يـــا عـــاليَ القـــدرِ قـــرِّب للحبيـــبِ إمَـــا
مَّـــا كـــان ذا نســـبٍ قدِّمـــهُ للنُّـــزُلِ[٤]

٢١- أبـــو عَوانـــة مـــن مســـتخرجي كُـــتُبي
وفيَّ ضـــــعفٌ لعـــــلّ الله يغفـــــرُ لي[٥]

= فازدادت جروحه، و«عليّ» اسم لعدد من الرّواة منهم: عليّ بن زيد ابن جُدعان، ضعّفه ابن معين وغيره.

(١) المعنى واضحٌ من الألفاظ المذكورة في البيت، ومعنى «وأبو داود لم يصل» فيه إشارة إلى كتاب «المراسيل» له.

(٢)

(٣) الذهبيّ، النّقاد المؤرخ المشهور، من أشهر كتبه في الجرح «ميزان الاعتدال».

(٤) في البيت إشارة إلى العلوّ والنزول في الإسناد.

(٥) أبو عوانة، له «المستخرج على الصحيحين» .. وقد تضمنت القصيدة أنواعًا من البديع يطول شرحها.

فتعجَّب الجماعةْ، من هـذه البَراعـةْ. وقـالوا: إنَّ هـذا الشـيءٌ عُجـاب، وإنّـه لتبصـرةٌ لأولي الألبـابْ. إنّ العلـومَ إذا مُزِجـتْ بالعاطِفَةْ، لم تكن شاسِفَةْ[1]. وسَـدِكَت[2] بـالخِزانْ[3]، وعلقـت بالأذهانْ. ولم يزلِ الفرحُ والحُزنْ، همـا الغيـثَ والمُـزنْ. الّـذين يسقيان أجادبَ الحَوافظْ، ويَسُوقانِ جيشَ المواعِظْ. وقـد فهمنـا ما قصدتْ، وعلمنا ما أردتْ. تاللهِ لقد أقـررتَ العيـنينْ، يـا أبـا العينَينْ.

---

(١) قاحلة.

(٢) التصقت.

(٣) القلب.

المَقامَة النَحْويّة

قال أبو العينين:

شكَى إليَّ لِسَانُ العَرَبْ، في حُزْنٍ وحَرَبْ[1]. حتَّى سَمِعْتُ أنينَهْ، وحَنينَهُ وخَنينَهْ[2]. قال: إنَّني في هذا الزَّمان غَريبْ، كَعَابرِ سَبيلٍ كَئيبْ. يُعَذَّبُ أبنائي عُدْوانًا وحَيْفًا[3]، اسْمًا وفِعْلاً وحَرْفًا. تَلُوكني أضْراس اللاَّحنين بِظُلْمْ، بَنِينَ وبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمْ. فَيا الله اسْتَمِعُوا إلى شكَاتِهِمْ، وأشْفِقُوا على عُراتِهِم وحُفاتِهِمْ. قال قائلْ - وهو المعروف بالفاعِلْ. بعد أن شَمَّرَ وتَنَحْنَحْ، وحَمِدَ الله وسَبَّحْ -: دَعُوني أشْرَحْ لكُمْ أمْرِيْ، وما يَخْتَلِجُ في صَدْرِيْ. أنا دائمُ الرَّفْعْ، لا يُقْرَنُ بِفِعْلي تَثْنيةٌ ولا جَمْعْ[4]. إلاَّ على لُغَة «أكلوني البراغِيْثْ»، نَحْو: «يتعاقبونَ ..» الحَدِيْثْ[5]. ولا يتأخَّرُ

(١) الحرب: شدَّة الغضب.

(٢) صوت من الأنف، يكون عند البكاء.

(٣) ظلمًا.

(٤) هو الفاعل.

(٥) جزء من حديث مرفوع، وتمامه: «يتعاقبون فيكم ملائكة باللَّيل، وملائكة بالنَّهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم - وهو أعلم بهم -: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون». أخرجه البخاريّ (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).

عَامِلِي[١]، ولا يُخيِّب آمِلِي[٢]. وإنَّما يُتَيَّأُ[٣] فِعْلِي مَعَ ذَوَاتِ الأحْراحِ[٤]، وإذا عَادَ على اسْمٍ قَدْ راح[٥]. ويَجُوز مع غير هَذَين[٦]، ومَعَ جَمْعَيْن[٧]. ونحو: خافَ ربَّه عُمَرْ، وزانَ نَورُهُ الشَّجَرْ. الأوَّل شائِعْ، والثَّاني غَير ذائِع[٨].

ثُمَّ قامتِ المَفاعِيلْ، تَرْفَع عَقيرَتها[٩] بالعَويْلْ. نحن أُولاتُ النَّصْبْ، الواضِحَات اللَّحْبْ[١٠]. ومِثالُنا المُجْتَبى:

ضَرَبْتُ ضربًا خالِدًا يَوْمَ حبَا   والنِّيلَ خَوْفًا المَفَاعِيْلَ انْصِبَا[١١]

---

(١) لأنه لو تأخّر عامله صار الاسم مبتدأً.

(٢) أي: لا يخيب من أمّلني؛ لأن الفاعل من أيسر الأحكام التي يهتدى إليها.

(٣) يُتيَّأ، أي: يقرن بالتاء.

(٤) جمع (حِرْ)، وجمعه أحراح، وهو الفرج، والمعنى: أنه لا تجب التاء مع الفعل إلا إذا كان الفاعل مؤنثًا حقيقيًا.

(٥) وكذلك إذا كان ضميره يعود على اسم متقدم.

(٦) أي: ما عدا ذلك يجوز فيه حذف التاء وذكرها.

(٧) هما جمع التكسير، وجمع المؤنث السالم، يجوز فيها حذف التاء وذكرها.

(٨) هذا معنى قول ابن مالك:

وشاعَ نحوُ: خافَ ربَّه عمر   وشذَّ نحو زان نورُه الشَّجَرْ

(٩) صوتها.

(١٠) الطريق.

(١١) هذا البيت جمعتُ فيه المفاعيل الخمسة، وهي المفعول به، وله، وفيه، ومعه، والمطلق.

قال التَّمييز والحالْ: نحن مِثْلُكُنَّ في الحالْ[١]. وإنْ كُنَّا بِلاَ نَكِيرْ، مِنْ أولي التَّنْكِيرْ[٢].

فَخَرَجَ الاستثناءُ مِنَ الوِجَارْ[٣]، يقول: أنا لَكُمَا جَارْ. والنَّصْبُ حُكْمِيْ، والأصلُ في قَسْمِيْ[٤]. فلا مُؤاخَذَة فيما لا أمْلِكْ، نحو: لم أرَ سِوَى إبلِكْ[٥].

ثُمَّ جاء فَوْجٌ مُعْتَبَرْ، يَتَقَدَّمُهم المُبتدأ والخَبَرْ. مَرْفُوعي الرَّأسْ، بضَمَّةٍ كَالْفأسْ[٦]. فتقدَّمتْ عامِلَةٌ يُقال لها «كَانْ»، ولَهَا أخَوَاتٌ فَوْقَ ثَمَانْ[٧]. وقالت: أنا أنْصِبُ الخَبَرْ، وأرفعُ ما بَدَرْ[٨]. فأقبلَتْ «إنَّ» في صَرَّةْ[٩]، وقالت: أنا لَكِ ضَرَّةْ[١٠]. أعملُ

(١) أي: في النصب.
(٢) لأنهما نكرتان.
(٣) سِرب الضبع أو جُحره.
(٤) الأصل فيه النصب.
(٥) أي: إن جررت إحيانًا فهو خروجٌ عن الأصل لسبب.
(٦) أي: ضمّة واضحة ظاهرة.
(٧) وهي أمس، وصار، وظلّ، وبات، وأضحى، وأصبح، وليس، وما زال، وما برح، وما فتئ، وما انفك..
(٨) أي: ما سبق، وهو اسمها.
(٩) في صيحة.
(١٠) لأنها تعمل عكس ما تعمله «كان».

ما لم تَعْمَلِي[١]، ولَكِ عَمَلُكِ ولي عَمَلِيْ. قالت حُـرُوف الجَـرّْ، أقْسِمُ والقَسَمُ بَرّْ. أيَّتُها النَّاصِبَة والرَّافِعَةْ، إنِّي خَافِضَةٌ لا رَافِعَةْ[٢]. فلم تَكُ إلاَّ طَرْفَة عَيْنْ، وانْتِباهَة عَيْنْ. حتَّـى سُـمِع مَـنْ يُقَـارِعْ، ويُنْشِدُ في الاشْتِغالِ والتَّنازُعْ:

والسّـــابقَ انصـــبهُ أو ارفـــعْ واختـــرِ
ورَجِّحـــنْ في الاشـــتغالِ تظفَـــرِ[٣]

وأعْمِـــلِ المُهْمَـــلَ إنْ تنازعَـــا
فِعْلاَنِ، والبَصْريُّ: ذا، عِنْدِي: مَعَا[٤]

وفي عملِ اسمِ الفاعلِ والمشبِهْ، وفي «أفعلَ» المفضَّل بِهْ:

وأعْمِلِ اسْمَ فاعِلٍ والمُشْـبِهَا[٥]   وتِلْـوَ أفْعَـلَ انْصِـبَنَّهُ بِهَـا[٦]

وفي التَّوابعِ والبَدَلْ، بِلاَ مُوَارَبَةٍ أو جَدَلْ:

(١) من نصب الاسم.
(٢) ولا ناصبة.
(٣) هذا البيت – وما معه – من نظمي: «زبدة الألفية».
(٤) أختار أن كلاًّ من الفعلين عامل؛ لأن الإعمال أولى من الإهمال.
(٥) أي: الوصف المشبه اسم الفاعل.
(٦) المراد: ما يتلو أفعل التي للتعجب (ما أفعلَ !)

وتَابِعٌ (نَعْتٌ، وتَوْكِيدٌ، بَدَلْ عَطْفُ اتِّسَاقٍ أوْ بَيَانٍ) والبَدَلْ
كَزُرْهُ عَمْرًا خَالِدًا خُذْهُ اليَدَا واعكِسْ ودَعْهُ كِبْرَهُ لتُحْمَدَا[١]

فانتصبَ المُنادى منادِيا، وجاء بـ (يا، وأيْ، وأيَا)[٢]. وتَبِعَهُ المَمْنُوعُ مِنَ التَّنْوِينْ، كَأذربيجانَ ومَسَاكِيْنْ[٣].

ثُمَّ دَنَتِ النَّواصِبِ كـ «أنْ»[٤]، والجوَازِم كـ «مَنْ»[٥]. والعَدَدُ وتَمْيِيزُهُ[٦]، وجَمْعُ التَّكْسِيْرِ كَثِيرُهُ وعَزِيْزُهُ[٧]. والبَاقِيَات الصَّالِحَاتْ، مِنْ مِسَائِل النَّحْوِ الخَاتمات. التي قلتُ فيها، ناطِقًا عن فِيْها. :

وَخَالِفِ «المَعْدُودَ» في ثَلاثَةِ
لِعَشْرَةٍ[٨]، ومَيْزُهَا كَمِئَةِ

---

(١) اشتمل البيت على خمسة أنواع البدل.
(٢) أدوات النذا، وكذلك الهمز.
(٣) الممنوع من التنوين هو: الممنوع من الصرف، واجتمع في (أذربيجان) خمسة موانع (العُجمة، والعلمية، والتركيب، وزيادة الألف والنون، والتأنيث)، ومساكين؛ لأنه على صيغة منتهى الجمع.
(٤) أنْ، ولن، وإذن .. إلخ.
(٥) من، وإن، وما، ومهما .. إلخ.
(٦) نحو: ستين مسكينًا.
(٧) أي: قليله، وهو ما كان على وزن (أفعلة، أفعل، أفعال، فِعلة).
(٨) فيذكر مع المؤنث، والعكس.

وَالأَلْـفِ بِـالجَرِّ[1]، وَ«كَـمْ» فَـأَخبِرِ وَسَلْ[2]، وَنَصْبُ مَيْزِ (أُخْتَيْهِ) حَرِي[3]

وَقَصْـرُ ذِي مَـدٍّ، وَعَكْسٌ جَـازَ فِـي شِـعْرٍ[4]، وَثَـنِّ وَاجْمَعَنْهُمَـا تَفِـي[5]

وَجَمْعُ كُثْـرٍ (كَـحْ)[6]، وَقُـلٍّ «فِعْلَـةْ» أَفْعِلَـةٌ أَفْعَـالٌ افْعُـلٌ لَـه[7]

لا تَبْتَـدِئْ بِسَـاكِنٍ، ولا تَقِـفْ إلاَّ بِـهِ، قاعِـدَةٌ لا تَخْتَلِـف[8]

(١) نحو: مئة ألف، وألف سنة.

(٢) أي: استفهم بها.

(٣) المراد بأُخْتَيه: (كأين، وكذا)، ويجرّ إذا اقترنا بـ (مِن).

(٤) أي: مدّ المقصور جائزٌ في الشعر.

(٥) ثنّ الممدود والمقصور واجمعهما إن شئت.

(٦) أي: ثمانية وعشرون بحساب الجمَّل؛ لأنّ الكاف بعشرين، والحاء بثمانية.

(٧) وقد تأتي بعض هذه الأوزان لكثرة.

(٨) العرب لا تبتدئ بساكن، ولا تقف إلا به، وأمّا الرّومُ فملحقٌ به.

في نَحْوِ ﴿والضُّحَى﴾، الشَّفَةْ، والأيْسَـرِ
والجَارِ مِلْ[1]، والحَرْفُ من صَرْفٍ بَرِيْ[2]
عَلَـــى (فُعَيعِيـــلٍ، فُعَيـــلٍ) صَـــغِّرِ
(فُعَيعِـــلٍ)[3]. ونَسَـــبٌ باليَـــا دُرِي[4]
وَصَـــرِّفِ الفعـــلَ والاســـمَ[5]، وانتـــهى
بِسَبعةٍ[6]، مـعْ زائـدٍ، والأصـلُ (هـا)[7]
والفِعْـــلُ: أربـــعٌ، وَسِـــتٌّ[8]. وَفُعِـــلْ
قَـلَّ، وعكـسٌ: مُهْمَـلٌ[9]. والهمـزَ صِـلْ

---

(١) أمرٌ من مَال.

(٢) التَّصريف يكون في الاسم والفعل، ولا يكون في الحرف.

(٣) هذه ثلاثة أوزان للتصغير، والثالث معطوفٌ على المجرور قبله.

(٤) كمالكيّ وغربيّ.

(٥) قلّبهما على أنحاء مختلفة، وهما موضوع الصرف.

(٦) أقصى ما يكون عليه الاسم المزيد سبعة أحرف. ولم يـزد علـى ذلـك إلاَّ (قرَعْبلانة).

(٧) والأصل (ها)، أي: لا يكون الاسم على أكثر من خمسـة أحـرف أصـلية كـ (سفرجل).

(٨) الفعل ينتهي أصولاً إلى أربعة، ومزيدًا إلى ستة.

(٩) لا يوجد في اللّغة ما هو على وزن (فِعُل)، وأما (فُعِل) فقليل.

غــيرَ الرُّبــاعي[1]، وَصِــلَنْ في الأسْــمَا

اثـــنينِ، وامـــرًا، ابنًـــا، اســـتًا، اسمَـــا[2]

بـ (مُوطِيًـا، هَـدَأتَ) أبْـدِلْ[3]، واجْعَـلِ

أهْـــيَمَ هِيْمًـــا[4]. واحـــذِفَنْ وَاوَ وَلِـــي

مــن غــير مــاضٍ[5]، وادَّغِــمْ مِـثْلَينِ لا

كَصُـــففٍ[6]. ومـــا جمَعـــتُ كَمُـــلا

هذه هي خُلاصةُ النَّحو وزُبدَتُهْ، وصفوتُه ونخبتُهْ. وأمّا خلاصة خلاصتِهْ، وجوهر نقاوتِهْ. فهو في هذه الجملة المختصرَةْ، والعبارة المعتصرَةْ: المرفوعاتُ: الفاعلُ ونائبُهْ، والمبتدأُ وصاحبُهْ. والمجروراتُ: ما كان بحروفِ الجرِّ الظِّرافْ، أو بإضافة المضافْ. وبقيّةُ الأسماء منصوبَةْ، والأفعالُ ثلاثةٌ ليس لها

(١) إذا جاءت الهمزة في أول فعل أو مصدر فهي همزة وصل إلا إذا كان رباعيّا.

(٢) الأسماء التي أولها همزة وصل عَشرة، منها ما ذكر.

(٣) أحرف الإبدال.

(٤) هذا في باب الإبدال.

(٥) هذا في الإعلال؛ لأن واو (وَلِي) تحذف في الأمر والمضارع.

(٦) إشارة إلى باب الإدغام، وله شروط مذكورة في آخر الألفية.

رابِعْ، ماضٍ وأمرٌ ومضارِعْ. وبقيّة الألفاظ حروفْ، منها ما يعمل بالمعْروفْ. ومنها ما هو كالخَروفْ. ولكلٍّ درجـاتْ، واللهُ علـيمٌ بالمضْمراتْ.

المَقامَة الرّمَضَانيّة

قال أبو العينين:

لَوْ نَطَقَ شَهْرُ الصِّيامْ، لَقَالَ بَعْدَ الحَمْدِ والسَّـلامْ. إنَّـني مَعْشَـرَ مَـنْ شَـكَرْ، التَّاسِـعُ بـين اثـني عَشَـرْ[1]. أمْـلأُ القُلُـوبَ تَقْـوَى، وأَصْبِرُ[2] الأجسامَ لِتَقْوَى. تَلفَّعتُ بِجَلابيـبِ[3] الجُـودْ، وآوَيْـتُ الرُّكَّعَ السُّجُودْ.

وَوَقَـعَ في حِجْـري[4] بَـدْرْ[5]، وفَـتْحُ ذاتِ السِّـتْرْ[6]. وغَـزْوَةُ حُنينْ، وعَينُ جَالوتَ في الخامس والعِشْرينْ. وأطلَّ مِنْ شُـرُفاتي ذاتُ قَدْرٍ[7]، وذاتُ سلامٍ إلى الفَجْرْ. إنّها أجْمَلُ ما في الأكوانْ، وأغْلى ماً في الزَّمانْ. وَهْيَ بنـتُ ثـلاثٍ وثَمَـانينْ[8]، مـن أعْـدادِ السِّنينْ.

---

(١) أي: بين اثني عشر شهرًا.

(٢) من صَبر، ويأتي لازمًا ومتعديًا، ومن المتعدي قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ [الكهف: ٢٨].

(٣) لبست الجلابيب، جمع جلباب.

(٤) الحِجر: مجلس الصبيّ من الإنسان، وتفتح حاؤه أيضًا.

(٥) غزوة بدر، وكانت في السّابع عشر من رمضان.

(٦) فتح مكة. وذات السّتر: الكعبة.

(٧) ليلة القدر.

(٨) لأنها خيرٌ من ألف شهر (ثلاث وثمانون سنة، وأربعة أشهر).

تنزَّلَ فيَّ الرُّوحُ[1] بالرُّوحْ[2]، وبعد الرُّوحِ[3] علـى الـرّوحْ[4]، وبالرُّوحِ[5] للرُّوحْ[6]. وأُنْزِلَتْ التَّـوارةُ علـى مُوسَـى، والإنجيـلُ على عِيْسَى. وأُوتي داود الزَّبورْ، مِنَ العَزيز الغَفُـورْ. وفي شـأني آياتٌ خَمْسْ[7]، نزلت بين السَّفَرةِ والشَّمْسْ[8]. بات فيَّ المذنبون قيامًا، ووَقَعُوا كَالأيامَى[9]. بَلْ كَاليَتامَي، لياليَ وأيَّامًا. ثُـمَّ خَـرُّوا للأذقانِ وهُم يَسْجُدونْ، ولِحاهُم تَقْطُرُ من ماء العُيُونْ[10].

يُفْطِرُ في نَهَاري المُسَـافرُ والمَـريْضْ[11]، ولا تَصُـومُ النُّفَسـاءُ وأولاتُ المَحيْضْ[12]. وعلى الجميع قَضاءُ الصِّيامْ، فيما أفطـروا

---

(١) جبريلُ، عليه السلام.

(٢) الوحي.

(٣) عيسى، عليه السلام.

(٤) الرّوح التي بها حياة البدن، والمراد: على قلب النبيِّ ﷺ.

(٥) القرآن.

(٦) الرّحمة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

(٧) من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٧].

(٨) لأنها نزلت قبل سورة الشمس، وبعد سورة عبس.

(٩) جمع أيِّم: من لا زوجَ له.

(١٠) الدّمع.

(١١) لقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾

(١٢) لثبوت ذلك في السُّنّة.

مِنْ أَيَّامْ، وعلى المطوَّق فِدْيَة إطْعَامْ[1]. ويَحْرُمُ[2] الرَّفثُ[3] إلى النِّساءْ، وإنْ كُنَّ كِساءً لنا ونَحْنُ كِساء[4]. وبَحْرِي مُفْعَمٌ بالعَوَاصِمْ[5]، وطافحٌ بالقَوَاصِمْ[6]، قَضَى[7] في سَوادي خَير الفَوَاطِمْ[8]. ومِنْ بَعْدِها اللَّيثُ الغالبْ: عليٌّ بْنُ أبي طالبْ[9]. ومِنْ دُونهما أحْبارْ، وحُفَّاظٌ كِبارْ. كأحمدَ بن نصرْ، الحَافِظِ الحَبرْ[10]. وطيِّب الأرَجْ، ابنِ الجوزيِّ أبي الفَرَجْ[11].

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ﴾، أي: يطوقونه، كالمريض الذي لا يُرجى بُرؤه.

(٢) يمنع.

(٣) الوطء.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾.

(٥) ملآن بالعواصم التي عصمت كثيرًا من الفتن كغزوة بدر.

(٦) جمع قاصمة، وهي تكسر فقار الظهر.

(٧) مات.

(٨) فاطمة بنت رسول الله ﷺ، تُوفِّيت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا في شهر رمضان في السَّنة التي تُوفِّي فيها رسول الله ﷺ.

(٩) توفي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ سنة أربعين، قيل: قتل في السابع عشر من رمضان.

(١٠) توفي سنة ٣٢٣هـ.

(١١) توفي سنة ٥٩٧هـ.

وَلْيَخْسَأ أبو نُواسْ، عَددَ الأنْفَاسْ. فِيمَا قَالَهُ مِنْ هِجاءٍ لِنَهَارِيْ، ومن شِعْرٍ ناريِّ. ولْيَسْقُط في جُرُف[1] هار[2]، ما قاله من أشْعَارْ. كقوله:

أَلا يَا شَهْرُ كَمْ تَبْقَى ... مَرِضْنا ومَلَلْناكَ؟!
إذا ما ذُكِرَ الحَمْدُ ... لِشَوَّالٍ ذَمَمْناكَ
فَلَوْ أَنَّكَ قَدْ بِنْتَ[3] ... وما نطمعُ في ذَاكَ
ولو أمْكَنَ أن يُقتَـ ... ـتَلَ شَهْرٌ لَقَتَلْنَاكَ

وعَفَا اللهُ عَنْهُ إنْ كانَ قَدْ تابْ، وآبَ إلى ربِّه وأنَابْ. واسْمَعُوا إلى قولي:

الصَّومُ: فَرْضٌ ثُمَّ سُنَّةْ ... وَهْوَ لِلأَبْرَارِ جُنَّةْ[4]
مَنْ صَامَهُ للهِ لاَ ... يَرْجُو سِوَاهُ وَرامَ عَونَهْ
فجزاؤُهُ غُفرانُ ما ... ضي السِّيئاتِ، وتلكَ مِنَّةْ
الصَّومُ: تركُ القِيلِ في ... هذا وذاكَ وهُمْ وهُنَّهْ

(١) السّد للوادي.
(٢) انصدع.
(٣) أي: انفصلتَ وانقطعتَ.
(٤) وقاية.

الصَّـومُ: إمسـاكٌ عـنِ الشَّـ ـــهَواتِ لا تـركُ الأعِنَّـةْ[1]

دَعْ كُـلَّ سَـبَّابٍ وَعَيَّـ ـــابٍ وكـذَّابٍ وشَـأْنَهْ

واسْـلُكْ سـبيلَ النَّاسكِيـ ـنَ التَّاركينَ غـرامَ (بَثْنَـةْ)[2]

أَزِحِ الغِشَـاوَةَ عَـنْ فُـؤا دٍ لَـمْ يَـزَلْ بَـيْنَ الأكِنَّـةْ[3]

يا ذا الّذي خَلَجَتْ[4] به الـ ـأحْوالُ في الأوحالِ[5]. هُنَّهْ

قـدْ قُلْـنَ: شَـيبٌ قـد عَـلا كَ وقد كَبِرتَ. فقلتُ: إنَّهْ[6]

يَـا ضَـيْعَةَ الأَعْمَـارِ وَالْـ ـأيَّامُ تجـري بَيْنَهُنَّـهْ !

كُفُّـوا عَـنِ العِصْـيانِ إسْـ ـرَافيلُ أَلْقَـمَ فـاهُ قَرْنَـهْ !

مَـنْ يَبْتَـغِ الرَّيَّـانَ[7] يَـوْ مَ الحَشْرِ في رَوضَـاتِ جَنَّـةْ

فَلْيَأْتِـهِ بِالصَّـومِ مَسْـ ـرُوْرَ الفُـؤادِ ومُطْمَئِنَّـهْ

---

(١) جمع عِنان، وهو الزِّمام.

(٢) بَثْنَة: ويقال لها: بثينة، صاحبة جميل بن معمر.

(٣) الأغطية.

(٤) خرجت به عن الصِّراط.

(٥) جمع وحَل، بفتح الحاء ويُسكّن: الطين.

(٦) إنّه: نعم.

(٧) أعني به باب الرّيان، وهو بابٌ من أبواب الجنّة الثمانية، لا يدخله إلا الصّائمون، كما ثبت ذلك عن النبيِّ ﷺ.

المَقَامَةُ التَعْرِيفيّة[1]

(في المناسك)

قال أبو العينين:

امتطيتُ السَّمْحجَ[2] الأغبرْ[3]، قُبَيْل يومِ الحجِّ الأكبرْ. قاصدًا أداءَ الشَّعائرْ، والدُّنوَّ من تلك المشاعرْ. فأَبَبْتُ[4] في اليوم الثَّامنْ، مِنَ البلد الآمِنْ. إلى مَشْعَر مِنى، فَدَنوتُ مَعَ مَنْ دَنا. إلى مسجد الخَيفْ، في الثانيةَ عَشْرَةَ ونَيفْ[5]. فصلَّيتُ بها الظُّهرْ، على طُهرْ. وأتْمَمنا بها باقي الباقِيَاتْ[6]، والصَّلوات الطَّيِّباتْ. أنا والجمعْ، قَصْرًا بلا جَمْع. فلمَّا أدبر اللَّيلُ وسُلخ منه الصَّباحْ[7]،

---

(١) نسبة إلى التعريف من أسماء عرفة.

(٢) يطلق على الحمار، وأردتُ به نوعًا من السيارات.

(٣) الرّمادي.

(٤) تهيئتُ للرَّحيل.

(٥) وزيادة.

(٦) أي: أتممنا أداء الصَّلوات الأربع: (العصر والمغرب والعشاء وفجر التاسع)، وهو أحد التفسيرات لمعنى «الباقيات الصالحات».

(٧) قال - سبحانه -: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس].

وأشْرَقَتِ الأرض بِبَرَاحْ[١]. في يومنا التَّاسعْ، توكَّلنا على العليم الواسِعْ. قاصِدِين التَّعريفْ[٢]، والموضعَ الشَّريفْ. وصَلَّينا الظُّهْرَيَنِ[٣] جَمْعًا وقَصرَا، فإنَّ مع اليُسْرِ يُسْرًا. ولم نَزَلْ في ذِكرٍ وتحميدْ، وتعظيمٍ وتمجيدْ. بِخُشُوعِ الأبصارْ وخُضُوعِ الرِّقابْ، حتَّى توارت بِالحِجابْ[٤]. ثم نَفَرَ الجمعْ، إلى مَشْعَرَ جَمعْ[٥]. فصلَّينا العِشَاءينْ[٦]، بأذانٍ وإقامتينْ. اتِّباعًا لِهَدْى النَّبيِّ الأكرمْ، صَلَّى الله عليه وسلَّمْ. فمِنَّا مَنْ باتْ، في هُجودٍ وسُباتْ[٧]. ومِنَّا مَنْ سَهدْ[٨]، أو أرقَ وشَهدْ. فلمَّا تولَّى اللَّيلُ وأدبرْ، وتنفَّسَ الصُّبحُ وأسفَرْ. غَدَوْنا مُخبتين[٩] إلى مِنَى، ذاكرين لربِّنَا. ورَمَيْنَا العَقَبَةْ، بِحُصَيَّات الحَصبَةْ. ومكَثْنا بها ثلاثًا: الأحد والاثنين والثُّلاثَا. وكان من عملنا أيّامَئذٍ: الطَّوافْ، والسَّعيُ والحلقُ وذبحُ الخِرافْ. ورميُ الجِمارِ مُرتّبةْ، الصُّغرى فالوُسْطى فالعَقَبةْ. داعين

(١) من أسماء الشمس.
(٢) عرفات.
(٣) يطلق على الحمار.
(٤) أي: حتَّى غربت الشَّمس.
(٥) المزدلفة.
(٦) المغرب والعشاء.
(٧) نوم.
(٨) سهر.
(٩) الإخبات: سكون واضمئنان.

عند الأُولَيَيْنِ دعاءَ الخِيَرَةْ، القانتين البرَرَةْ، مُقْتَدِينَ بِمَنْ أُنزلت عليه سورة البقرةْ[1].

قال أبو العينين: ومِمَّا ذاكَر به الحَشْكطيُّ الجمعْ، في ليلة جمعْ: حَدِيثُ «الزَّاد»[2]، وما قال فيه صَاحِبُ (الزَّادْ)[3]. وخَبَرُ الخَثْعَمِيَّةْ[4]، وسؤال الجُهَنِيَّةْ[5]. ومن حَجَّ عن شُبرُمةْ[6]،

---

(١) إشارة إلى ما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه رمى جمرة العقبة من بطن الوادي، وقال: والذي لا إله غيره هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة ﷺ. أخرجه البخاريُّ (١٧٤٧)، ومسلم (١٢٩٦).

(٢) أخرج ابن ماجه في المناسك، باب ما يوجب الحجّ (٢/٩٦٧): عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنّ رسول الله ﷺ قال: «الزَّاد والرَّاحلة»، يعني قوله ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].
وحسّن إسناده البوصيري في (مصباح الزجاجة ٣/١٨٤).

(٣) (زاد المعاد)، أو (زاد المستقنع).

(٤) هي أسماء بنت عُمَيْس الخَثعميّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، نَفِسَت عام حجّة الوداع بذي الحليفة، فأمرها رسول الله ﷺ: أن تغتسل، ثم تهلّ بالحجّ، وتصنعُ ما يصنع الناسُ إلاّ أنّها لا تطوف بالبيت.
والحديث أخرجه النسائيّ (٥/١٢٧)، وابن ماجه (٢/٩٧٢)، وصححه ابن خزيمة (٤/١٦٧).

(٥) أخرج البخاري في الحجّ، باب الحجّ والنذور عن الميت (٢/١٧): عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن امرأةً من جهينة جاءت إلى النبيّ ﷺ، فقالت: إنّ أمي نذرت أن تحجّ، فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: **«نعم، حُجّي عنها، أرأيتِ لو كان على أمّكِ دينٌ أكنتِ قاضيته، اقضوا الله، فالله أحقُّ بالوفاء»**.

(٦) أخرج أبو داود في المناسك، باب الرجل يحجّ عن غيره (٢/١٦٢)، وابن ماجه في المناسك، باب الحجّ عن الميّت (٢/٩٦٩)، وصححه =

والألبسة المُحَرَّمَةْ(١). ونكاحُ المُحْرِمْ، الذي رَوَاهُ مُسلِمْ(٢). ومَنْ صَادَ أو صِيدَ لَهْ(٣)، ومَنْ آذته القُمَّلَةْ(٤). والخبرُ الذي شَمَلَ ثُلُثَ

= ابن خزيمة (٤/٣٤٥)، وابن حبّان (الإحسان ٩/٢٩٩): عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبيّ ﷺ سمع رجلاً يقولُ: لبيكَ عن شبرمة، قال: «من شبرمة؟». قال: أخٌ لي أو قريبٌ لي. قال: «**حججتَ عن نفسكَ؟**». قال: لا. قال: «**حُجّ عن نفسكَ، ثم حُجّ عن شُبُرمة**».

(١) أخرجه البخاري في الحجّ، باب ما لا يلبس المحرم من الثياب (١/٤٧٦)، ومسلم في الحجّ، باب ما يباح للمحرم بحجّ أو عمرة وما لا يُباح (٢/٨٣٤): عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبيّ ﷺ: أنّ رجلاً سأله ما يلبس المحرم؟ فقال: «**لا يَلْبَسُ الْقُمُصَ، ولا الْعَمَائِمَ، ولا السَّرَاويلاتِ، ولا الْبُرَانسَ، ولا الْخِفَافَ، إلا أَحَدٌ لا يَجِدُ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسْ خُفَّيْنِ، وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ من الْكَعْبَيْنِ، ولا تَلْبَسُوا من الثِّيَابِ شيئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ أو وَرْسٌ**».

(٢) أخرج مسلمٌ في الحجّ، باب تحريم نكاح المحرم وكراهية خطبته (٢/١٠٣٠): عن عثمان ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَنكح المحرم ولا يُنكح، ولا يخطب**».

(٣) أخرج البخاريُّ في الحجِّ، بابٌ إذا أهدي للمحرم حمارًا وحشيًّا حيًّا لم يقبل (٢/١٠)، ومسلم في الحجِّ، باب تحريم الصَّيد للمحرم (٢/٨٥٠): عن الصعب بن جثامة الليثيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّه أهدى لرسول الله ﷺ حمارًا وحشيًّا وهو بالأبواء أو بودَّان، فردَّه عليه، فلمَّا رأى ما في وجهه، قال: «**إنَّا لم نَرُدَّه عليكَ إلاَّ أنّا حُرُم**».

(٤) أخرج البخاريُّ في الحجِّ، باب قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا...﴾ (٢/٥)، ومسلم في الحجِّ، باب جواز حلق الرأس للمحرم إذا به

المناسكْ، خبرُ عُرْوَةَ النَّاسِكْ[1]. وتَيْسيرُ اللهِ على الخَلْقْ، في التَّخْيير بين التَّقْصِير والحَلْق[2]. والإذْنُ بالتَّقْديمِ والتَّأخير[3]،

= أذى ووجوب الفدية لحلقه (٨٥٩/٢): عن كعب بن عجرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لعلّك آذاك هوامُك؟**». قال: نعم، يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «**احلق رأسك، وصم ثلاثة أيام، أو: أطعم سِتَّة مساكين، أو: انسك بشاة**».

(١) هو عروة بن المضرِّس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أدرك النبيَّ ﷺ يصلِّي الفجرَ بمزدلفة، فقال له: جئتُ يا رسول الله من جبل طيء، أكللت مطيتي، وأتعبت نفسي، والله، ما تركتُ من حَبْلٍ إلا وقفتُ عليه، فهل لي من حجّ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**من أدرك معنا هذه الصَّلاة، وأتى عرفات قبل ذلك ليلاً أو نهارًا، فقد تمّ حجّه، وقضى تفثه**».

وقد أخرج حديثه أحمد (١٤/٥)، وأبو داود في المناسك، باب من لم يدرك عرفة (١٩٦/٢)، والنسائي في المناسك، باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح بالمزدلفة (٢٦٣/٥)، وصححه ابن خزيمة (٢٥٥/٤)، وابن حبّان (الإحسان ١٦١/٩).

(٢) أخرجه البخاريُّ في الحجِّ، باب الحلق والتقصير عن الإحلال (٥٢٦/١)، ومسلم في الحجّ، باب تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير: عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهم ارحم المُحَلِّقين**». قالوا: والمُقصِّرين يا رسول الله. قال: «**اللَّهم ارحم المُحلِّقين**». قالوا: والمُقَصِّرين يا رسول الله. قال: «**والمُقَصِّرين**».

(٣) عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان النبيُّ ﷺ يُسأل يوم النحر بمنى، فيقول: «لا حرج». فسأله رجلٌ فقال: حلقتُ قبل أن أذبح. قال: «**اذبح، ولا حرج**». وقال: رميتُ بعد ما أمسيتُ. فقال: «**لا حرج**». أخرجه البخاري (٥٢٧/١).

والتَّعجيل بالنَّفير[١]. والرَّميُ قَبْلَ المَسَاءِ وعِنْدَهُ[٢]، وجَمْعُه إلى اليوم الذي بَعْدَهُ[٣]. ودُخُول العُمْرَة في الحجِّ[٤]، ومعنى العَجِّ

(١) أخرج أحمد (٣٠٩/٤)، وأبو داود في المناسك، باب من لم يدرك عرفة (١٩٦/٢)، والترمذيّ في الحجّ، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحجّ (٢٣٧/٣)، والنسائي في المناسك، باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفة (٢٦٤/٥)، وابن ماجه في المناسك، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع (١٠٠٣/٢): عن عبد الرحمن بن يعمر، قال: أتيتُ النبيّ ﷺ وهو بعرفة، فجاء ناسٌ أو نفرٌ من أهل نجدٍ، فأمروا رجلاً فنادى رسولَ الله ﷺ، كيف الحجّ؟ فأمر رسول الله ﷺ رجلاً فنادى: الحجُّ الحجُّ يوم عرفة، من جاء قبل صلاة الصُّبح من ليلة جمع، فتمَّ حجُّه. أيام منى ثلاثة، فمن تعجّل في يومين فلا إثم عليه، ومن تأخر فلا إثم عليه. قال: ثم أردف رجلاً خلفه، فجعل ينادي بذلك.
وصححه ابن خزيمة (٢٥٧/٤)، وابن حبّان (الإحسان ٢٠٣/٩).

(٢) انظر - قريبًا - حديث ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في جواز التقديم والتأخير.

(٣) رخّص رسول الله ﷺ لرعاء الإبل في البيتوتة أن يرموا يوم النحر، ثم يجمعوا رمي يومين بعد يوم النحر، فيرمونه في أحدهما. أخرجه الترمذيّ في الحجّ، باب ما جاء في الرُّخصة للرعاء أن يرموا يومًا ويدعوا يومًا (٢٨٩/٣)، وابن ماجه في المناسك، باب تأخير رمي الجمار من عذر (١٠١٠/٢). وقال الترمذيّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

(٤) أخرجه مسلم في الحج، باب حجّة النبيّ ﷺ، من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٨٨٨/٢). وقد تضمّن مناسك الحجّ مفصلَة، ولم أسقه خشية الإطالة.

والثَّجِّ[1]. وخَبَرُ يوم الـرُّؤُوسِ في التشـريق[2]، وهـو بالتَّضـعيفِ حقيقْ. ورَقْدَتُه بِالمُحَصَّبِ[3] ونُزُولُه بِـالأبطح[4]، ومـا رواه ابـنُ حبَّانَ وصحَّحْ. مِـنْ فَضْـلِ الصَّـلاةِ في المَسْـجِدِ الحـرامْ، علـى مَسْجِدِ النَّبيِّ عليه السَّلامْ[5]، ثُمَّ التقينا بَعْـدَ ثلاثـة أعـوامْ. فقـال رَجُلٌ مِـنْ بَيْنِنَـا: أَتَـدْرُون قَبْـل بَيْنِنـا[6]. في أيِّ يـوم كـان وَقْفُنَـا

(١) قال وكيعٌ: يعني بالعجّ: العجيجُ بِالتَّلبية، والثَّجِّ: نَحْرُ البُدن.
أخرجه ابن ماجه (٢/٩٦٧).

(٢) أخـرج أبـو داود (٢/١٩٧): عـن سـراء بنـت نبـهان، قالـت: خطبنـا رسول الله ﷺ يوم الرُّؤوس، فقـال: «أيُّ يـوم هـذا؟». قلنـا: الله ورسـوله أعلم! قال: «أليس أوسط أيام التشريق».
والحديث ضعّفه الألبانيّ في (ضعيف سنن أبي داود ٤/٤٥٣).

(٣) أخرج البخاريُّ في الحجّ، باب طواف الوداع (١/٥٣٣): عـن أنـس بـن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبيّ ﷺ صلَّى الظهر والعصر والمغرب والعشـاء، ثم رقد رقدة بِالمُحَصَّب ثم ركب إلى البيت فطاف به.

(٤) قال في (معجم البلدان ١/٧٤): الأبطح يضاف إلى مكّة وإلى مـنى؛ لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب، وهو المُحَصَّبُ، وهو خَيْفُ بني كنانة.

(٥) أخرج البخاريّ في الصلاة، باب فضل الصلاة في مسـجد مكـة والمدينـة (١/٣٦٧)، ومسـلم في الحـجّ، بـاب فضـل الصـلاة بمسـجدي مكـة والمدينة (٢/١٠١٢): عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أن النبيّ ﷺ قال: «**صـلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام**».

(٦) البَيْنُ: الوَصْل والفراق، وهو المراد.

بِعَرفاتْ، في ذَاكَ العام الذي فاتْ ؟ قال له شيَخُنا الحشكَظيُّ: أنا به زعيمْ، وبه حافظٌ عليمْ. أيُّ يومٍ وَقَفْنا أمسِ في ذاك الخَبْتِ[1]؟ قالوا: في يوم السبتْ. قال: أُجِيبُكم على ذلك بِكلامٍ منظومْ، لناظمٍ مَكْتُومْ[2]:

مــا بَــيْنَ كُــلِّ وقفــةٍ ووَقْفَــةِ ثلاثــةٌ تَثْبُــتُ بــين خَمْسَــةِ

فَبَعْدَ الاثْنَـيْنِ وُقُـوفُ الجُمْعَـةِ ثُمَّ الثُّلاثا ثُمَّ سَبْتُ المُسْبِتِ

فأربِعَــا فَأَحَــدٌ ثم اثبِــتِ ثُبوتهــا للسَّــنَةِ المُقْبِلَــةِ

وغَيْــرُ هــذا نــادِرٌ في العِــدَّةِ[3]

(١) المكان المطمئن من الأرض، والمراد: صعيد عرفات.

(٢) مجهول.

(٣) لأنه إذا كان الوقوف قبل ثلاثة أعوام يوم السبت، فالوقوف في هذا العام - أي: بعد ثلاثة أعوام - في يوم الخميس؛ لأن بين كل وقفة ووقفة ثلاثة أيام. وقد تابعتُ هذا عشرين عامًا أو أكثر، لم يخرج منها مرَّة واحدة عن القاعدة !

المَقَامَة العَشْرِيّة

قال أبو العينين:

رَحَلْنا عَام (شَغْناس[1])، في أَشَائِب[2] مِنَ النَّاسْ. وخرْقةٍ مِنَ الغِلمان، وكَبْكَبةٍ[3] من الرَّجالَةْ، ومَوكِبٍ من الخيَّالَةْ. ولُمَّةٍ مِنَ النِّسوانْ، وكَوكَبٍ مِنَ الغِلْمانْ، وثَلَّةٍ مِنَ الضَّانْ. وصِرْمة مِنَ الجِمَالْ، وعانةٍ[4] مِنَ الحَمير والبِغَالْ. إلى رَبْوَةٍ ذاتِ قَرَارْ، لأحَدِ المُؤمنينَ الأخْيَارْ. المُعْرِضين عَنِ اللَّغْوْ، الحاذقين بفِقْه اللَّهْوْ. وكُنَّا عَشَرَةْ، مَعَ عَشَرَةْ، عَلَى عَشَرَةْ، أمام عَشَرَةْ[5]. وأمَّا ذوات الخَالْ[6]، فَمِنْ خَلْف الرِّجالْ. وبَيْنَهما حِجابْ، وعَلَى الحِجابِ وِطاب[7].

---

(١) ١٤١١هـ، لأن الشين بـ ٣٠٠، والغين بـ ١٠٠٠، والنون بـ ٥٠، والألف بـ ١، والسينُ بـ ٦٠، في حساب (أبجد).

(٢) أخلاط كثيرة.

(٣) جماعة، وكذلك اللّمَّة، والكوكب، والثَّلَّة، والصِّرمة، والعانة.

(٤) الأصل في ذلك إطلاقها على الحمر الوحشية.

(٥) أي: عشرة رجال مع عشرة أخرى، على عشرة كراسي، أمام عشرة أيضًا.

(٦) أي: النساء.

(٧) جمع وَطْب، وهو: سقاء اللّبن.

وفي القَوْم أبو الحَسَن الحشْكَظِيّْ، فاستأذنَ للحديثْ، فأُذِن له بالتَّحْديثْ. فقال: يا صَفْوَةَ الصَّفاءْ، وزُمْرَةَ الصِّدقِ والوَفاءْ. ما رأيُكمْ - دامَ فَضْلُكُمْ - أنْ نُحْيِيَ ليلتَنا السَّامِرَةْ[1]، وجَلْستنا العامِرَةْ. بلَطائِفِ المعارفْ، وفوائد العَوارفْ. فَلِلْعِلْم حَلاوةٌ تُذْهِبُ الهُمُومْ، وتَطْرد اللَّهفَةَ[2] والوُجُومْ[3]. قالوا: أحسنتَ يا أبا الحَسَنْ، ودُونك الخَيلَ والرَّسَنْ[4]. فَجُلْ في مَيدان العُلُوم كما تُريدْ، وقلِ القَولَ السَّديدْ.

قال: أوْحَتْ إليَّ عَشْريَّاتُنَا، أنْ أُطارحكم هَهُنَا. عَشريَّات أُخْرَى، فيها تَبْصِرةٌ وذِكْرَى. ما المَقُولاتُ العَشْرْ، والمَقَالات العَشْرْ. واللَّيالي العَشْرْ، والأيَّام العَشْرْ. وما المُعَلقات العَشْرْ، وما الوصايا العَشْرْ. ومَنْ هي العَشَرَةْ، التي هي بِالجنَّةِ مُبَشَّرَةْ. وما النَّواقض العَشرَةْ، والعُقُول العَشرَةْ. وما آيةُ الحقوقِ العَشرَةْ، وما الحِنَّائيات العَشرَةْ. ومَن هُم العَشْرَةْ، مُحَدثوا البَصْرَةْ. ومَنِ القُرَّاء العَشرَةْ؟

(١) السَّامرة: التي شاركتنا أُنْس اللَّيل، وسَهَره.
(٢) الحزن.
(٣) العبوس من أجل الحزن.
(٤) الحبل.

قالوا: مـا أَحسَـن هـذه الأسـئلةَ الشَّـائِقَةْ، والنَّـوادرَ الفائِقَـةْ، الكاشفة عن أَوَابِدَ[1] طالقَةْ. سألناك بِالحَقِّ إلاَّ ما رَفَعْت حِجابها، وكشفت نقابها. وهتكـتَ سـتارها، وطوّعـت نعّارهـا[2]. فأنـتَ خِرِّيتُنا[3] وابن خِرِّيتِنا. وغَزَالِيُّنا وابْنُ سِكِّيتِنا.

فَـاطَّرَحَ المِسْـوَرَةَ[4] والحُسْـبانَةْ[5]، وحَمِـد المَـولَى سَـبْحَانَهْ. وقال:

عَشْـــر اللَّيـــالي: عَشْـــرة المُحَـــرَّمِ
أَوْ رَمَضَـــانَ، ثُـــمَّ قَـــوْلُ المُعْظَـــمِ

العَشْـــر لِلأَضْـــحَى، وَهِـــي الأَيَّـــامُ
صَـــحَّ بهـــا الحـــديثُ يـــا كِـــرَامُ

أَمَّـــا المَقُـــولاتُ فَهَـــاك نَظْمَهـــا
لِنَـــاظِمٍ قَبْلـــي أبـــانَ رَسْـــمَهَا

«زيـــدُ الطَّويـــلُ الأَزْرَقُ ابـــن مالـــكِ
في بَيْتِـــهِ بِـــالأَمْسِ كـــان مُتَّكِـــي

(١) الأوابد: الوحوش.
(٢) العاصي منها.
(٣) الخِرِّيت: الماهر بهداية الطريق، والمراد - هنا -: طريق العلم.
(٤) وِسادة يُتكأ عليها.
(٥) وِسادة صغيرة.

بِيَـــدِهِ غُصْــــنٌ لَــواهُ فَـــالْتَوَى
فَهَـــذِهِ عَشْــر مَقُــولاتٍ سَــوَا»

وهــي المقــالاتُ. وعَشْــرَةُ العُقُــولْ
هــي الملائــكُ وفي التَّفصــيلِ طُــولْ

وعَنْتَـــرٌ، زُهَيْــرُ، وابْـــن حُجْــرِ
طَرَفَـــةٌ، لَبِيْـــدُهم مَــعْ عَمْـــرِو

وحـــارثٍ والنَّـــابغي والفَحْـــلِ
مَيْمُــونُ: أصــحاب القصــيد الفَحْــلِ

هــذا جــوابُ الشَّــطر أمَّــا البــاقي
جوابـــه نشـــرٌ بـــإذن البـــاقي

قالوا: إيهِ يا كُنَيفَ[1] العُلُومْ، ودَاوِءَ الكَلامِ مـن الكُلُـومْ![2].
قـال: وأمَّـا الوَصَـايا الـتي لِلأَنَـامْ، فَفـي «سـورة الأنعـامْ»[3].

---

(١) يا حرز العلوم، والكنف أيضًا: الجانب، والظلّ.
(٢) الجروح.
(٣) الوصايا التي للأنام، في سورة الأنعام: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ

والمُبَشَّرُونَ بِجَنَّة الأفْرَاحْ، هُـم الخُلَفـاء وابْـنُ عَـوفٍ والجَـرَّاحْ. وطَلْحَةُ والزُّبيرْ، وسَعْدٌ وسَعيدٌ لا غيرْ. والقُرَّاء: نافعٌ وابنُ كَثيرْ، وأبو عَمْرو الأثـيرْ. وابـن عـامرٍ قـارئُ الشَّـامْ، وعَاصِـمٌ الإمـامْ. والكِسائيُّ وحَمْزةُ ابنُ حَبيبْ، وأبو جَعْفَـرٍ النَّسْـيبْ[1]. ويَعْقُـوب الشَّاكرْ، وخَلَفٌ العَاشِرْ. وآيةُ الحُقُـوق العَشْـرَةْ، في «النسـاء»[2] منشَّرةْ. والحِنّائيّاتُ أجزاءْ[3]، انتقاها بعض الأعزاءْ. وأمّا العشرةْ،

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

(١) ذو النَّسب.

(٢) ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾.

(٣) هي الأجزاء التي انتقاها الحافظ النخشبي لأبي القاسم الحِنّائي، كما في ترجمة الحنائي في «النبلاء».

محدثو البصرةْ. فهم: خالد ابن الحارثْ، ومعتمرٌ وعبد الوارثْ. وإسماعيلُ ابن عليّةْ، إلى آخر البقيّةْ[1].

فهذا الطَّعَـام يُقَـرَّبْ، والمآكـل تُسَـرَّبْ. في قِصَـاعٍ وجفَـانْ، وصِحافٍ وقَرْبانْ[2]. وبها الكَوْشان[3]، طَعَام أهل عُمـانْ. ومَعَهـا الحَرِيرَةْ[4]، وصَحْن الخزيرَةْ[5]. والمُزوَّرةُ[6] والقَديـدْ، والشـرب والثَّرِيدْ. هذا للنَّحيـلْ، وذاكَ للـوَزْنِ الثَّقِيْـلْ. وبهـا مـن الأخبـازِ الجَعاجِر[7]، والعِلج[8] السَّـاجِر[9]. والفـرازدُ[10] والطَّهْـف[11]، وآخَرُ مِنْ شَكْلِه كَالكَفّْ. وبَين ذلك قِداحٌ[12] رَحْراحَةْ[13]، فيهـا

---

(١) والبقيّة: يزيد بن زُريع البصري، وعبد الواحد بن زياد، ووهيب بـن خالـد، وبشر بن المفضل، ومعبد بن سليمان، وحمَّاد بن زيد - رحمة الله عليهم.

(٢) الإناء الذي قارب الامتلاء.

(٣) طعام يكون من الرز والسمك لأهل عمان.

(٤) نوعٌ من الطعام، وهي اليوم حساء يتقن صناعته أهل المغرب.

(٥) شبه العصيدة.

(٦) المُزَوَرة: ما يطبخ خاليا من الأدهان.

(٧) الواحدة: جُعْجُرَّة، عجينٌ يجعل في الرُّبِّ فيؤكل.

(٨) الرغيف الغليظ من أطرافه.

(٩) الحار.

(١٠) جمع فرزدقة: الخبزة الغليظة العظيمة.

(١١) خبز الذّرة.

(١٢) أوانٍ، جمع قدح.

(١٣) واسعة قريبة القاع.

قطائفُ فوَّاحَةْ. زَلابيَةٌ[1] وسَعابيبْ[2]، وشَهْدٌ ذُو نَخاريبْ[3]. فاقْتَمُّوا[4] ما في تلك القدورْ، وملأوا بُطُونَهُم إلى الصُّدُورْ. وقيلَ لهم: أنَزِيدُكُم إليهْ، قالوا: حَسْبُنا ما وُجِدْنا عَلَيهْ. ودعا الحشكظيُّ، فقال: «اللَّهُم أطْعِمْ مَنْ أطْعَمَنا، واسْقِ مَنْ سَقانا».

فصاح عُنجُلٌ[5] وزَبَرْ[6]، مَن أخرجَ هذا الخبرْ؟ قال: مُسْلمٌ من حديث المِقْدَادْ[7]، ودُمْتُم في سَعدٍ وإسْعَادْ، إلى يَومِ المَعَادْ.

---

(١) نوعٌ من الحلوى.
(٢) نوعٌ من الحلوى إذا أخذ منها امتدت.
(٣) ثقوب.
(٤) جمعوا.
(٥) شيخ كبير قد انحسر لحمه، وبدت عظامه.
(٦) زجر.
(٧) أصله في صحيح مسلم، من حديث المقداد في قصّة طويلة، وفيه: أنّ النبيّ ﷺ رفع رأسه إلى السّماء، وقال: «اللهم أطعم من أطعمني، واسقِ من سقاني». قال ذلك قبل أن يطعَم.

المَقامَة الحِكَميّة

قال أبو العينين:

قصدتُ في رِحلَتي المَكِّيَّةْ، وحَجَّتي المِسْكِيَّةْ[1]. فَحْلاً مِنْ فُحُول الأدَبْ، وظَرِيفًا مِنْ ظُرَفاء العَرَبْ. مُتَّكِئًا على أريكَةْ، بحَيٍّ الشُّبيكَةْ[2]. فلمَّا رآني حَلَّ حَبْوَتَهْ، وابْتَدَرَ قَومَتَهْ. ثم وَلْوَلْ[3]، وأنشدَ قولَ الأوَّلْ:

إذا ما تَبَدَّى لنا طالِعًا حَلَلْنا الحُبا[4] وابْتَدَرْنَ القيامَا

فَلا تُنْكِرُنَّ قِيَامي إليْه فإنَّ الكريمَ يُجِلُّ الكِرامَا

ولمَّا تَطارَحْنا أحاديثَ العِلْم بيننا، وتآسَيْنا[5] تقطَّعَ وصْلِنا وبَيْنِنا[6]. جَرَرْتُ سَيْلَ حديثه إلى بَحْرِه الزَّخَّارْ، وحافظته التي

---

(١) نسبة إلى المسك.

(٢) حيّ معروف قريب من الحرم المكي في شماله الغربي.

(٣) صوَّت.

(٤) جمع حبوة، بفتح الحاء ويضم، وهيئتها: أن يجمع الإنسان بين ظهره وساقيه بثوب، أو بيديه.

(٥) واسى بعضنا بعضًا.

(٦) فراقنا، والبين: الوصل والقطع (ضد).

تجري مِنْ تحتها الأشْعَارْ، وتُنيفُ على واحدٍ بأرْبعةِ أصْفَار[١].
يقولها مِنْ طرف لسانهْ، بجَميل فصاحتِهِ وعَذْبِ بيانهِ. ولم نَلْبَثْ ساعتها حتَّى وَفَدَ النُّزَّاعُ[٢] مِنْ كُلِّ بابْ، وبَلَغوا حارةَ الباب[٣].

فأقسمَ لِلْقَومْ، في ذلك اليومْ. ليكونَنْ مِنَ الحَمْقَى، ولَيَكُونَنَّ الأَرْعَلَ[٤] الأشْقَى. إنْ حادَثهم بِغَيْرِ الأشْعَارْ، لَيْلَهُ الآتي وذلك النَّهارْ. حتَّى يتبيَّن لهم برقُ تَذكارِهْ، وسرعةُ خاطره واستحضارِهْ، وقُوَّةُ حفظه واقتدارِهْ. وتوقُّدُ ذهنهِ ولَهَبُ نارِهْ، وعميقُ عِلْمِه وبُعْدُ مَغارِه[٥].

فنادى في الجَمْعْ - وهُمْ يُلْقُون السَّمْعْ -: هل أدلُّكُم على شيءٍ أيُّها المَلاَ؟ قالوا: بَلَى. أيُّها الجَرَنْدَق[٦]، ويا كَفيءَ[٧] الفَرَزْدَقْ! قال: يَدْنُو إليَّ خَنَاذِيذُ[٨] الشُّعَرَاءْ، الَّذين هم للشِّعر أُمَرَاءْ. فَيَسْألونني ما يَشْتَهُونْ، ويَسْتَخْبرونَ عَمَّا يَشْرَهُونْ[٩]. مِنْ

(١) أي: عشرة آلاف بيت.
(٢) الغرباء.
(٣) موضع معروف عند الشُّبيكة.
(٤) الأحمق المسترخي.
(٥) المغار كالمغارة والغار، ويطلق على القعر من كل شيء.
(٦) الجَرَنْدَق: الشَّاعر.
(٧) شبيه.
(٨) فحول، مفرده: خِنذيذ.
(٩) شره كفرح: حرص بشدّة، فهو شره وشرهان.

عَقائل الشِّعر وحِكَمِهْ، وغُرَرِهِ ومُحْكَمِهْ. يَبْدَهُونني[1] نَثْرَا، فأكِيلُ لهم شِعْرَا.

فقام له في تلك السَّاعَةْ، أربعةٌ مِنْ كِبار الجَمَاعَةْ. فحَيَّوهُ بالسَّلامْ، لِيَرُدَّ عليهم بمنثور الكَلامْ. فَفَطِنْ لاسْتِزْلالِهِمْ، وأدْرَكَ ما بِبَالِهِمْ. وردَّ ببيتٍ مشهورْ، لا يجهلُه الجمهورْ. :

سَلامٌ عليكم لا سَلامَ مُودِّعٍ   ولكن سلامٌ لا يزالُ جَديدَا

فَرَدُّوا على تَحِيَّتِهْ، وعَجِبوا من أرِيَحيَّتِهْ[2]. فَلَمْ يُعْجِبْهُ الإرْطابْ، وهَدْأة[3] البِرَازِ[4] والخِطابْ. فقال:

سَيَعْلمُ الجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنا

بأنَّني خَيرُ مَنْ تَسْعَى به قَدَمُ

فأزَّتهم[5] العِزَّة باللَّهذَمْ[6]، وقالوا: مَهْيَمْ[7]. ونَحْنُ أيضًا مَنْ تَعْلَمْ، فأجابَ ولم يَتَجَمْجَمْ[8]:

---

(١) يفجؤون بديهتي.
(٢) حُسن خُلقه.
(٣) هدوء.
(٤) المبارزة والنزال.
(٥) حرَّكتهم.
(٦) القاطع من الأسنة، والمراد: بلسان حادّ.
(٧) ما الذي حدث لك؟
(٨) لم يخفِ ما في صدره.

إذا جاء مُوسى وألْقَى العصا فقد بَطَل السِّحرُ والسَّاحِرُ

قالوا: فليكن - إذن - مَجْلسُنا مُفيدًا، نطرح على سَمْعِكَ الحِكْمَةَ نَثْرًا، فتوردُ نظيرَها شِعْرًا. قال لهم: أتريدونه لشاعرٍ[1]، أم لِكُلِّ غابِرْ؟[2] قالوا بِصَوْتٍ زائِدْ[3]، بل لِشَاعِرٍ واحِدْ.

قال: فَمِنْ أيِّ الأزْمَانْ، يا أُدبَاء الزَّمَانْ؟ قالوا: لِشَاعِرٍ مِنَ الأكياس[4]، في زَمَن بني العبَّاسْ.

قال: مِنَ الأوَّلِ أم مِنَ التَّالي[5]، فكِلاَهُمَا مِنْ بِلالي[6]. وقَريبٌ من بَاليْ، وأيُّهما اصْطَفَيْتُم فلن أُبالي؟ قالوا: مِنَ الثَّانيْ، فلا تَكُ بِالثَّاهي[7] والثَّاني[8]. قال: فَمِنْ شُعَراء المباني، أمْ مِنْ حُذَّاقِ المعاني؟ قالوا: بل مِنْ ذَوي المعاني المُشْرَعَةْ[9]، والحِكَم

(١) أي: لشاعر معيّن.

(٢) باقٍ، وهالك (ضد).

(٣) زَائد: زَأَدَه كَمَنَعَه: أفْزَعَه.

(٤) الأذكياء العقلاء.

(٥) أي: العصر العبَّاسيُّ الأول، أم الثَّاني؟

(٦) بتثليث الباء: الماء، وكل ما يبلُّ به الحلق.

(٧) الأحمق.

(٨) الراجع في أمره.

(٩) يقال: أشرع الطريق: فتحه.

المُتْرَعَةْ[1]، والخواطر المُسْرعَةْ. قال: مِنْ شُعَراء المَشْرِقِ أَمِ المَغْرِبْ؟ قالوا: مِنَ المَشْرِقِ فلا تُغْرِبْ. نريدُه مِنَ المَشَاهِيْرْ، ولا بِالغُمْرْ ولا بالغَمِيْرْ[2].

فأَخَذَ بثيابه يَخْصِفْ[3]، وأطْرَقَ إطراق المُسْتَحْصِفْ[4]. يقول: لقد فَرَشْتُم دِخْلَةَ أمْرِكُمْ[5]، وبَعْثَرْتُم مَخْبُوءَ قَبْرِكُمْ. وأبَحْتُم بما في صَدْرِكُمْ، وكَشَفْتُم عَنْ مَكْنُونِ سِرِّكُمْ: إنَّكُمْ تَرُومُونَ الوَابِلَ الصَّيِّبْ[6]، والمَارِدَ[7] الطَّيِّبْ، الشَّاعرَ أبا الطَّيِّبْ[8]. لقد سقطتم على خَبِيْرْ، وإنِّي به لَبَصِيْرْ. فالآنَ أُمْطِرُكُمْ بِغَزِيرِ وَابِلِهْ، وأُطْرِبُكُم بتَغْرِيدِ بلابِلِهْ، وقَلاَقِلِهِ[9] وجَلاَجِلِهْ[10]. فأجْمِعُوا أمْرَكُمْ، وهَاتُوا نَثْرَكُمْ.

---

(١) الملأى.

(٢) الغُمر: من لم يُجرِّب الأمور. ومثله الغمير، وبمعنى المغمور، وهو الخامل الذِّكر.

(٣) أي: يلصقها.

(٤) جيّد الرأي.

(٥) بسطتم باطن أمركم.

(٦) المطر.

(٧) المارد: من بلغ الغاية التي بها يفوق أقرانه.

(٨) أحمد بن الحسين المعروف بالمتنبي (ت ٣٥٤هـ).

(٩) أصواته.

(١٠) ما يتجلجل ويدور في النفس من الخواطر.

قالوا: نبِّئنا بِـالقول السَّـديدْ، الكُتْـب عُمْـرٌ لا تبيـدْ. فبَـادَرَهُم بِالإجابَةْ،في سرعة وإصابَةْ:

ذِكرُ الفتى عمره الثاني وحاجَتُهْ   ما فَاته وفُضُولُ العَيْشِ أشـغالُ

قالوا: فبيِّن لنا قولهم: عِلَلُ الأفهامْ، أشدُّ مِنْ عِلَـلِ الأجسـامْ. فقال في ثِقَةْ، وعبارةٍ موثقَةْ:

يهُونُ علينا أن تُصاب جسـومُنا   وتَسْـلَمَ أعـراضٌ لنـا وعُقـولُ

قالوا: فبيِّن لنا قولهم: إرادة نقلِ الطِّباعْ، مِنْ رَدِيءِ الأسْـمَاعْ؟ فَبَادَرَ بِالإجابَةْ، في إصابَةْ:

يُـرادُ مِـنَ القَلْـبِ نِسْـيانُكم   وتَـأبي الطِّبـاعُ علـى النَّاقِـلِ

قالوا: الجُبْنُ في قَلْب الجبَانْ، وإذا خَلا كـان مـن الشُّـجْعَانْ؟ قال:

وإذا مَـا خَـلا الجَبَـانُ بِـأرْضٍ   طَلَبَ الطَّعْنَ وحْدَهُ والنِّـزالاَ[١]

قالوا: فما مِثَال قولهم: مَنْ أثَرَى مِنَ العَدَمْ، افْتَقَرَ من الكَـرَمْ؟ فقال مِنْ فَوْرِهْ، إنَّ هذا لَفي شِعْرِهْ:

ورُبَّ مـالِ فقـيرٍ مـن مروءتِـه   لم يَثْرِ منه كما أثرى من العَـدَمِ

(١) المنازلة للقتال.

قالوا وأقبلوا إليه: أقبَحُ الظلمِ حَسَدُك لِمَنْ تُنعِمُ عليه؟ قال: هو في قوله المَشْهُورْ، وشِعْرِهِ المَشْعُورْ:

وأظْلَمُ أهْلِ الظُّلمِ مَنْ باتَ حاسِدًا

لِمَنْ باتَ في نَعْمَائهِ يَتَقلَّبُ

قالوا: من لم يقْدِرْ على الفضائلْ، فلْيَتْركِ الرَّذائلْ؟ فأجابَ على الفورْ، بلا حَورْ[1]:

إنَّا لَفي زَمَنٍ تَركُ القَبيحِ به

من أكثرِ النَّاس إحسانٌ وإجمالُ

قالوا: الحِلْم عن قُدرة، والعَجزُ عن ضَعْفْ؟ فأجابَ في بَراعَةْ، دُونَ لَهيعَةٍ أو لَهَاعَةْ[2]:

كلُّ حِلمٍ أتى بغير اقتدارٍ

حُجَّةٌ لاجئٌ إليها اللِّئامُ

قالوا: كُرْهُ ما لا بُدَّ منه عَجزٌ في صِحَّةِ العَقْلْ؟ فرَمَى إليهم قَوْسَهْ، وحَنَى نَحْوهُم رأسَهْ، وقال:

---

(١) بلا حيرة.

(٢) اللَّهيعة واللَّهاعة: الغفلة والكسل.

نحـنُ بنـو المَـوتَى فمـا بالُنـا نعـافُ مـا لا بـدَّ مِـنْ شُـرْبِهِ

قالوا: النَّفس اللَّئيمة ترى الأشياءَ بَطْبْعِهَا؟ فأجاب بِلا عُجْمَـةْ، أو حُكْلَةٍ[1] أو غُتْمَةْ[2]:

ومَـنْ يَـكُ ذا فَـمٍ مُـرٍّ مَـريضٍ يَجِـدْ مُـرًّا بـه المـاءَ الـزُّلالا

قـالوا: النُّفـوس البهيميَّـةْ، تـأنَفُ مُسَـاكنةَ الأجسـامِ التُّرابيَـةْ؟ فما تمهَّل أو تَكَعْكَعْ[3]، ولا تَلَعْـثَمَ أو تَتَعْتَـعْ[4]، بـل قـال وهـو يتجَّمَعْ[5]:

إلْفُ هـذا الهَـواءِ أوقـعُ في الْـ ـأنفسِ أنّ الحِمَامَ[6] مُرُّ المذاقِ

قالوا: النَّظرُ في عواقبِ الأشياء يُزَهِّدُ في حقائقِهَا؟ فَسكَتَ في إطْرَاقْ، وعَلا مُحيَّاه إشْرَاقْ. وقال:

لـو فكَّـر العاشِـقُ في مُنْتَهـى حُسْنِ الذي يسـبيْهِ[7] لم يَسْـبِهِ

(١) الحُكْل: ما لا يُسْمَع صوته من الدَّواب، كالنمل، والمراد هنـا: بصـوت واضح، لا حكلة، أي: لا خفاء فيه.
(٢) الأغتم: من لا يفصح.
(٣) تراجع.
(٤) التعتعة: تقطُّع الكلام بسبب حَصَر أو عيٍّ.
(٥) يَحْسُو حَسْوة من لبن، ويُلقم عليها تمرة.
(٦) الموت.
(٧) سباه يسبيه: أسرَه.

فقامَ كَبيرُ الجَمَاعَةْ، وهو يَجُرُّ بَعَاعَهُ[1]. وقال: أيُّها الجَماعَـةْ، كَفَى بذلك شَهيدًا على قُوَّة حِفْظِهِ وحُسْن بيانـهْ، وسَـعَة مَعْلومِـه وقلَّة نسيانهْ. وأنَّه كَعْبة البيانْ، وسَاحِب ذيل النِّسيانْ، على حُفَّاظ الزَّمَانْ. وخَرَجُوا مِنْ عِنْدِه حَيـارَى، كـأَنَّهم سُـكارَى، ومـا هُـمْ بسُكَارَى.

(١) ثِقَلَه.

المَقَامَة المَطبَخِيّة

(وفي بعضها الخروج عمّا يلزم)

قال العينين:

حَدَّث طَيْفُ الخَيْال بِخَبَرٍ غَرِيبْ، ونبإٍ عَجِيْبْ. فمَنْ شَاء أنكرَهْ، ومن شَاء ذكَرَهْ. قال: تهافتَ طابخانِ على المهاتفةْ، في قناةٍ شارقةْ[1]. أحدُهُما أعرابيٌّ مِنْ بادية غيلانْ[2]، والآخرُ من بُطْنانِ لُبنانْ. أرادا أن يَتَجَافَخَا[3]، لِيَتَطَابَخَا[4]. ويُهدي كلٌّ منهما صاحبهْ، طَبْخَة مُناسِبَةْ.

قال الأعْرابيُّ: أريدُكَ أيُّها الرَّجل أن تَفْقَه عَنِّي، وأن تُصدِّق فيكَ ظَنِّي. في حِذْقِ ما أصِفه لك ذِكْرَا، وأنْ لا تَعْصِي لي أمْرَا. وسَوْف تَزْدَرِدُ[5] الخَمْسْ[6]، وتَنْدَمُ على ما فاتك بالأمْسْ.

---

(١) أي: قناة تلفزيونيّة ظاهرة.

(٢) غيلان ذو الرّمة، الشاعر الأموي المشهور.

(٣) يتفاخرا.

(٤) أي: يطبخ كل منهما لصاحبه طبخة.

(٥) تبتلع.

(٦) الأصابع الخمس.

أحْضِرْ طِرْجَهَارة[١] بِها زَيتْ، وسَومَلَةً[٢] بِها ملحْ، وقَعْبًا[٣] يُعجَنُ فيهْ، وحُنْجُودًا[٤] لِلْفُلفُلْ، وحَوْقَلةً[٥] بها خَلّ، بَعْدَ حَلٍّ عِلْهَاصِها[٦]، ونحيًا[٧] فيه سَمنْ، ومِدْلَجةً[٨] فيها مِحْلبٌ[٩] فيه لبنْ، وتَوْرًا[١٠] فيه ماء وشُفارِجًا[١١]، وعَيزارةً[١٢] وأحْفَاشًا[١٣].

ويُحضرَ مَعَها فَدَّامٌ[١٤] للمَسْحْ، وطُلْمٌ[١٥] لِلْخُبزْ، وقَيطَلةٌ[١٦]

---

(١) فنجانة.

(٢) فنجانة صغيرة.

(٣) إناء.

(٤) قارورة طويلة.

(٥) قارورة طويلة العنق.

(٦) العِلهاص: صِمام القارورة.

(٧) إناء السّمن خاصّة.

(٨) علبة كبيرة.

(٩) إناء يحلب فيه.

(١٠) إناء يشر فيه.

(١١) الطبق.

(١٢) إناء كبير من زجاج.

(١٣) إناء تجعل فيه المرأة الدهن.

(١٤) ما يُشدّ على فم الإبريق والكأس لتصفية ما فيه من شراب، وهو على زنة شدَّادٍ، وتنّورٍ، وكتاب، وسحابٍ.

(١٥) الخِوان يُبسط عليه الخبز.

(١٦) خرقة ينشف بها.

للتَّنشيفِ. ويُؤْتَى بأَرُزٍّ في قُمْعُلٍ[١]، وقِدْرٍ زَوازيةٍ[٢] فيها لَحْم، وتُجْمَع الخُضَارُ: (أُذن الحِمَارِ[٣]، ولِحْية التَّيس[٤]، ولِسَان العُصْفُور[٥]، ولِسَان الحَمَل[٦]، ولسان الثَّور[٧])، ويُذَرُّ عليها خَصَى الثَّعلب[٨]، وذَيْل الحِصَان[٩]، ويُخْلَط بها خَسُّ الحِمَار[١٠]، وورَقَ العُنصُل[١١]، وآذان الفِيل[١٢]، ويُؤْتَى بالمِشْنَقِ الذي ذرَّ عليه باللِّواثةِ المخمَّر بِالفتَاق حتَّى أصبح تَخًّا[١٣].

---

(١) القدح الضخم.

(٢) القدر الضخمة.

(٣) نبت له ورق عرضه مثل الشبر، وله أصل يؤكل، أعظم من الجزرة، مثل الساعد، وفيه حلاوة.

(٤) بقل تطبخ جذوره اللحمية.

(٥) ضرب من (المكرونة) يكون قطعًا صغاراً على هيئة ألسنة.

(٦) نبت عُشْبي معمر، طبِّي برِّي من الفصيلة الحملية.

(٧) عُشبة سنوية طبية من الفصيلة البوراجينية، ورقه يُشبه لسان الثور، بعض أنواعها تنبت في الحقول، وأخرى تزرع لزهرها.

(٨) نوعمن النبات.

(٩) نبت يتداوى به.

(١٠) نبات لاصق بالأرض مشوك، له أصل في غلظ، إصبغ أحمر كالدم، يصبغ اليد إذا مُسَّ منبته الأرض الطيبة التربة.

(١١) نبات، يقال له أيضًا: البصل البرِّيّ، يقوّي البدن الضعيف، وينفع للرّبو.

(١٢) هو: القلقاس من الفصيلة القلقاسية، تستعمل كعوبه - أي: سوقه الأرضية - للأكل.

(١٣) التَّخّ: العجين الحامض المسترخي.

ولا يُسْكَبُ عليه ماءٌ كثير حتَّى لا يكون ثَمْطَا[1]، ثم يؤخذ المِحْلاج لِتَدْوير العَجين ثُمَّ يقرَّصُ[2]، ويُخْرقُ بالمِنسَفةِ[3]، ويُوضَعُ في المِحْورِ[4] لِيُلْقَى في الوَطِيس[5]، ولا تَنْسَ الهِرْشَفَّةَ[6] لِتنضحَ بها وجْهَ الرَّغيفِ. وإيَّاك والجَعاجِرَ[7] التي تُشْبهُ التَّماثيلَ!! واصْنَعْها كَيْفَ شِئْتَ: فرَزْدَقةً[8] أو مِرْتَنَةً[9] أو طَهْفًا[10] أو ضَغِيغَةَ[11]. وإيّاك والتَّرهيطَ[12] في الأكْل، والجَرْدَبَةَ[13]، والإدْغَامِ[14] ولَجْلَجَةَ اللُّقَم[15]، والثَّرْملةَ[16]،

---

(١) العجين إذا أفرط في الرِّقة.

(٢) قرّص العجين: أي قطّعه حتى يبسطه.

(٣) الغربال.

(٤) خشبة يبسط بها العجين.

(٥) تنُّور يخبز فيه.

(٦) خرقة يغمسها الخبّاز في إناء به ماء، ثم يرش بها وجه الرَّغيف.

(٧) مفردها جُعْجُرَّة: شيءٌ يتّخذ من العجين كالتماثيل.

(٨) خبزة عظيمة.

(٩) خبزة مشحَّمة.

(١٠) خبز يتّخذ من الذّرة.

(١١) خبز الأرز المرقّق.

(١٢) عِظم اللُّقم، وشدّة الأكل.

(١٣) الأكل باليمن، ومنع الغير بالشمال.

(١٤) أكل الطعام بغير مضغ.

(١٥) إجالة اللُّقم من غير مضغ.

(١٦) انتشار الطعام على لحية الآكل، وغمسه يده كلّها.

والـذَّأْطَ[1]!! فإنَّـه يُـبطِنُ، والقَسْقَسَـةَ[2]، والـبَلأَزَةَ[3]، ودَعْ في الخِوان[4] شيئًا مِنَ الخُشارَةَ[5] والقُشامَةَ[6]، وفي الآنية تَرْتَمَـا[7]، وحُتْفلاً[8] وعِرْزالاً[9] ورُكْحَةَ[10] إن كـان ثريـدًا، ولا تُكْثِـرْ مِـنَ الوَدَكِ[11] والإهَالة[12] حتَّى لا تطْسَـأَ[13]، وضَـعْ مـاءً في قَعْـبٍ فَوْقَ فَاعُوسَةٍ[14] مُشْـرَبًا بمـاء الزَّبيـب، وكُـلْ قبـل ذلـك بعـضَ عُلَّيق[15] وزُلَّيق[16]، فَـإن عَـرَض لـك سُعالٌ فمُـصَّ شـيئًا مـن

(١) الأكل بعد الشِّبع.
(٢) أكل كلّ ما على المائدة.
(٣) الأكل حتى الشّبع.
(٤) المائدة.
(٥) ما بقي على المائدة.
(٦) كالخشارة.
(٧) ما بقي في الإناء.
(٨) ما بقي في أسفل المرق.
(٩) البقية من اللحم.
(١٠) البقية من الثريد.
(١١) الشحم.
(١٢) الألية.
(١٣) طَسِئَت نفسه: تغيرت من أكل الدّسم.
(١٤) نار أو جمر لا دخان له.
(١٥) نوعٌ من الشراب.
(١٦) ضربٌ من الخوخ أملس.

الفِرِنْد[1]، ولا تأكل اللَّحمَ حتَّى يَتَذَيَّأ[2]، وكُلِ الخَبيص[3] وَحْدَه. واتَّقِ الزَّحيْر[4] في البَطْنِ، والطُّحَار[5]، والرُّمَاع[6]، والحُجَاف، والجُحَاف[7]، والنَّعَج[8]، والعِلَّوص[9]، والكِظَّة[10].

قال الطابخ المعاصر: (يعطيك العَيفية[11]، حَضِّر كِيك، وحُطُّه هْنَيك[12]، وتعمِل هِيكْ، وتْبلَّش ...). وأخذ في كلامٍ على هذا النَّسَق، لم يفهم الأعرابيُّ منه شيئًا مَذْكُورًا[13].

(١) حبّ الرّمان.
(٢) ينفصل عن العظم.
(٣) حلواء يُعجن فيها التمر بالسمن.
(٤) داء في البطن.
(٥) داء في البطن يعلو فيه النفس.
(٦) داء في البطن يصفر منه الوجه.
(٧) مشي البطن، وكذلك الحُجاف.
(٨) ثقل القلب من أكل لحم الضأن.
(٩) الوجع من التخمة.
(١٠) البِطنة.
(١١) أصلها العافية، وبعض أهل الشّام في لبنان ينطقونها بالإمالة الكبرى.
(١٢) أصله: هناك.
(١٣) والغرض من إنشاء هذه المقامة بيان الفجوة الكبيرة بين العاميّة والفُصحى، وبيان أن مخاطبة الناس بحوشيّ الألفاظ لا يوصل إلى المقصود من التخاطب، وأنّ الطريقة المثلى في التّفاهم بين العرب ومن

قال أبو العينين:

فاجْتَهد كُلٌّ منهما في تَطبيق ما وُصِفَ لَه: فطبخ الأعرابيُّ: عصيدةً بالفُلْفل والفَالُوذَج[1] مَعَ قَاقُلَّة[2]؛ لأنَّه لم يَفْهَم مِنْ كَلاَم صاحِبِه سِوَى (هِيكْ وهْنِيك).

وطبخ الشَّامي: بابا غَنُّوج بِالمايُنيز والكَتْشَاب؛ لأنَّه لم يَسْمَع: بِلِحْيَة التَّيس، والجَعَاجِر، والتَّرهيطْ. والله بِكُلِّ شيءٍ محيطْ، وهو القائل: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم].

= ينطق بالعربية هو الكلام باللّغة الفصحى التي هي لغة القرآن، وعليها مضى كلام الفصحاء.

(١) نوعٌ من الحَلواء.

(٢) حبُّ الهال.

المَقامَة الكَلَدِيّة

قال العينين:

أَخَذَ هَيُّ بنُ بَيٍّ وَلَدَهْ[1]، إلى الحَارِثِ بـن كَلَـدَةْ[2]. الحـاذِقِ السُّرسُوْرْ[3]، وطَبيبِ العَرَبِ المَشْهُوْرْ. فَدَخَلَ عَلَيه عَلَى عَجَلَـةْ، وهـو قـائمٌ في بُرْطُلَـةْ[4]. فلمَّـا رأَى الغُـلامَ مُصْـفرًّا، ووجْهَـهُ مُكْفَهِرًّا[5]. قال: ما هَذَا السَّخْدْ[6]، في هَذَا القَهْدْ؟![7] قـال: مـن أجْلِهِ جِئْنَاكْ، ولِهَذا وافينَاكْ. وإنّي هَيُّ بنُ بيّ، وهَذَا الخُمَاسِيُّ[8]

---

(١) هَيُّ بنُ بَيٍّ: يكنى به عن المجهول، كطامر بن طامر.

(٢) ثقفيٌّ من أهل الطائف، كان طبيب العرب في عصـره، وأحـد الحكمـاء المشهورين، اختلف في إسلامه، مات (نحو سنة ٥٠هـ).

(٣) الفَطِن العالم، الدَّخَّال في الأمور.

(٤) البُرْطُلَة: المِظلَّة الصَّيفية.

(٥) عابسٌ غير منبسط.

(٦) المرض.

(٧) القَهْد: يقال للنَّرجس قبل تفتُّحه، وهو كناية عن صِغَر الغلام. أو: النَّقـيُّ اللّون، وكلاهما مُرَاد.

(٨) الخُماسِيُّ: الغلام، طوله خمسة أشبار.

بُنَيٌّ. وإنّه أَكَلَ زُمَّجًا[1] بِزُمَّيج[2]، ومَزْرَةً[3] بمُنَيْج[4]. وجَمَعَ بيَدِه لبخَةً[5]، مِنْ جَفْنَةِ كَفْخَةٍ[6]. وخَلَطَهُ بالنَّحض[7]، وجعل بَعْضَهُ على بَعْضٍ. وحَوَّلَهُ إلى إنَاه[8]، وهو يَنْظُرُ إنَاه[9]. فلمَّا اسْتَوى عَلَى سُوْقِه[10]، ذَاقَهُ بريْقِهْ. ولم يَزَلْ في ذَوَاقْ، حتَّى بَلَغ التَّرَاق[11]. فما لَبثَ قليلُ الفِطْنَةْ، إلاَّ وَقَدْ ملأَ بَطْنَهْ. ولم يَبْقَ من طَعَامِهِ ذَرَّةٌ لِذَرَّةْ[12]، ولا رَائِحَةٌ لِفَأْرَةْ. وتلكَ هِجِّيرَاهُ[13] وعَادَتُهْ، ودَيْدَنَهُ وسِيرَتُهْ. فإذا لَبِثَ سَاعَةْ، تَزَيَّلَ[14] عَنِ الجَمَاعَةْ.

(١) الزُّمَّجُ: طائرٌ دون العُقاب، يُصَادُ به.
(٢) الزُّمَّيج: نباتٌ، وهو المعروف بالبطاطا الحلوة، أو الجزر اليماني.
(٣) حَسْوةً.
(٤) المَنْجُ: التمر.
(٥) اللَّبْخَة: الأَخْذَة.
(٦) الكَفْخَة: الزُّبْدة.
(٧) اللَّحم.
(٨) إنائه.
(٩) ينتظر نُضْجَه.
(١٠) جمع ساق.
(١١) جمع تَرْقُوة. ويَلْحَنُ مَنْ يَضُمُّ التَّاء، ويُشدِّدُ الوَاو.
(١٢) أي: مثقال ذرّة لنملة.
(١٣) عادته، وكذلك: الدَّيدن.
(١٤) انفصل.

وصَاحَتْ عَصَافِيرُ أمْعَائِه[1]، وصَوَّتَ من أمَامِهِ وَوَرَائِه[2]. فمَلأَهُ بالهِلْبَاجِ[3]، وسَمينِ الدَّجَاجْ. والألبانِ والمُمْذَقِرِ[4]، حتى يَسْكُنَ ويَقِرّ. فإذا هَاجَ[5] الطَّعَامُ في مَعِدَتِهْ، وشكَى بَعْدَهَا مِنْ مَقْعَدَتِهْ. تَجَشَّأَ وعَاذَ بِالهُوَاعِ[6]، فَمَلأَ كُلَّ صُوَاعِ[7]. وأَخَذَ مِنْ رَطْبِ الحَنْظَلِ والشِّيحِ[8]، حتَّى يَهْدَأَ ويَسْتَرِيحْ. واعْتَادَ ذلك حتَّى أرْهَقَهُ عُسْرًا، وجَعَلَ عَاقِبَةَ أَمْرِهِ خُسْرًا. وكَانَتِ القَاضِيَةْ، في اللَّيْلَةِ المَاضِيَةْ. ولم يَنْفَعْهُ نافِعْ، ولا وَجْدَنَا لدائِهِ من دَافِعْ. انظُرْ باللهِ يا حارثُ إليهْ، وتأَمَّلْهُ وأشْفِقْ عليهْ. طُوْلُهُ كَعَرْضِهْ، وكَتِفُهُ قريبَةٌ من أرْضِهْ. لا يُصَدِّقُ خَلَدِي[9]، أنّ هذا وَلَدِيْ! قلتُ ذلكَ وهو حَوْلي، أظنُّهُ لا يَسْمَعُ قَولي.

---

(١) كناية عن الجوع.

(٢) مِنْ فَمِهِ، ومن غير فمه.

(٣) اللّبن الثخين المُتَخثِّر.

(٤) المختلط بالماء.

(٥) ثار.

(٦) القيء.

(٧) الصُّواع: إناء الشُّرب.

(٨) نبتان مُرَّانِ مُسْهِلان.

(٩) قلبي.

فَلَمْ يرُعْني إلاّ بُجْرَتُهْ[1] وهي تهتزْ، في شَرَزٍ[2] وشَخْزْ[3]. ثُمَّ أَخَذَ يقُول، بِصَوتٍ كَالضَّغِيل[4] :

إنِّـــي شُـــفِيتُ اليـــوم بالمُجَالغَـــةْ[5]
وضَــحِكٍ مِـــنْ هـــذه المبُالَغَـــة

بِأَبِـــهِ اقْتَـــدَى بـــذا وَلَـــدُ هَـــيِّ
كيـــفَ أُلاَمُ في اقْتِـــدَائي بـــأُبيّ؟!

فنَاشِـــيءُ الفِتْيَـــانِ ناشـــيءٌ عَلَـــى
مـــا عَـــوَّدَ الوالـــدُ فيمـــا قـــد خَـــلاَ

رأيـــتُ وَالِـــدًا أكُـــولاً وَمَعَـــهْ
أُمًّـــا أكُـــولاً للَّـــذي قَـــدْ جَمَعَـــهْ

فاحْكُمْ - هنا - بالقِسْطِ يـا ابـن كَلَـدَهْ
ولا تُمَـــارِ والِـــدًا وَوَلَـــدَهْ

---

(١) سرّتُه.

(٢) صعوبة.

(٣) عناء.

(٤) الضَّغِيل كأمير: صوتُ فَمِ الحجَّام: إذا امتصَّ مِحْجَمه.

(٥) شدّة الضحك.

فَلمَّا استَمَعَ الحارثُ إلى كَلاَمِهما، عَجبَ مِنْ بَيَانهما. قال: أيُّها الوَالِدُ والوَلَدْ، اِجْعَلا ما أقُولُ في الخَلَدْ. المَعِدَةُ بيتُ الدَّاءْ، والحِمْيَةُ رأْسُ الدَّوَاءْ.

إذا شِئْتَ أن تَحْيَا سليمًا مِنَ الأَذَى
وَبَطْنَكَ مَهْزُولاً وقَلْبَكَ سَالِمَا

لِسَانُكَ لا تَأْكُلْ بِه كُلَّ دَاخِلٍ
عَلَيْهِ ولا تُكْثِرْ عَلَيْهِ المَطَاعِمَا

ونَفْسُكَ إنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَحَاسِنًا
إلى كَبْسَةٍ بِاللَّحْمِ فَلْتَكُ صَائِمَا

وَدَاوِمْ على تَشْمِيسِكَ الجِسْمَ ضَحْوَةً
ومَشْيٍ وكُنْ في أوَّلِ اللَّيْلِ نَائمَا

ولا تَتْرُكِ المَشْيَ الحَثِيثَ سُوَيعَةً
فذلِكَ نُصْحِي يا بَنَ بَيٍّ وَيا أبْنَمَا

المَقَامَة الأَبْطَحِيّة

قال أبو العينين:

عَزَمْتُ على أن أطْفَحْ[1]، إلى أرض الأبْطَحْ[2]، وأنا طاوٍ[3] طَلَنْفَحْ[4]. فَمِلْتُ بالعَيساءْ[5]، بَعْدَ صَلاةِ العِشَاءْ. إلى ذاتِ اليَمينْ، في صُحْبَة آفِقٍ[6] أمينْ. فَكَسَرْنا سَوْرَةَ الضَّرَمْ[7]، بخُبزٍ ولَحْمٍ بُرَمْ[8]. وحَوْقَلَةٍ[9] شَرابْ، يُقال له: سِفِنْ آبْ[10]. ثُمَّ

---

(١) أرتفع.

(٢) موضع بمكة.

(٣) جائع.

(٤) تعِبٌ. قال الشاعر:

ونصبحُ بالغداةِ أتَرَّ شَيْءٍ ونُمْسي بالغداةِ طَلَنْفَحِينا

(٥) النَّاقة التي في بياضها شُقرة، وهي كناية عن نوعٍ من السيارات.

(٦) الآفق: من بلغ الغاية في العلم وغيره من الخير، فعله: أفَق، كضرب.

(٧) شِدَّة الجوع.

(٨) جمع برمة: القِدْر من الحجارة.

(٩) قارورة طويلة العنق.

(١٠) شرابٌ معروفٌ، يقول عنه خبراء التَّغذية: أقلُّ الأشربة المشابهة سُوءًا؛ لِخُلُوِّه من المادَّة الملوِّنة، ويتداوى به للنفخة والحموضة والهضم، ولكنَّ له أثرًا تعوُّديًا.

سَلَّمنا حِساب المَطعَمْ، لِمَنْ أطعَمْ. ومَضَينا مُهْطِعينْ[١]، إلى قَوْمٍ مُجْتَمِعينْ. قَدْ نَصبُوا لهم مِنْبَرَا، ومُسْمِعًا[٢] ومُكَبِّرَا[٣]. وقال لنا بَعْضُ مَنْ عَرَفْ: هَؤُلاء فِتْيانُ الحِرَفْ[٤]. اجتمعوا لِلْمُفاخَرةِ والمُساجَلَةْ[٥]، والمُطاوَلَة والمفاضَلَةْ. واتَّفقوا على أن يَفْخَروا بِلِسَان القَريضْ، وادِّعاءٍ عَريضْ. فتقدَّم النَّجارْ، يُخاطب الحُضَّارْ، فقال:

أنا ابْنُ الذي لَوْلا صِناعتُه لَمَا
تمثَّلتِ الألواحُ في سُفُنِ البَحْرِ

فانتصب الحدَّاد في الحال، وتقدَّم فقال:

أنا وَلَد الحدَّاد لولا حديدُه
لأفسَدَ يأجوجٌ ومأجوجُ بالزُّبْرِ[٦]

ثُمَّ وثَبَ كيِّسْ[٧]، يُقال لَهُ المُليِّسْ[٨]، فقال:

---

(١) مسرعين.
(٢) ما يسمَّى بالسَّمَّاعة.
(٣) ما يُسمَّى: لاقط الصَّوت، والأقْوَم أن يُسمَّى: المِصْدح.
(٤) جَمْع حِرفة: المهنة التي يُتْقِنها صاحبها.
(٥) المباراة والمفاخرة.
(٦) جمع زبرة، وهي قطع الحديد. تُسكَّن الياء في الجمع، وتُضَم.
(٧) عاقل.
(٨) كلمة المليِّس يشبه أن تكون عربية، لكن لا وجود لها في «القاموس».

أنا ابْـنَ الـذي يَكْسُـو البُيُـوتَ مَلاسَـةً
وثَوْبًا على أبْوابِهـا وعلـى الجُـــدْرِ[1]

فهبَّ السَّمكريُّ، كأنَّه البُحتُريُّ[2]، فقال:

أنـا السَّـمْكَرِيْ وابـنُ السَّـماكِرةِ الأُلى
أقامُوا حَدِيدَ السَّائراتِ[3] التي تَجْـرِي

ثُمَّ دَنا الطَّيَّار، وهو غيَّارٌ[4]، فقال:

أنـا وَلَـدُ الطَّيَّـار أسْبـحُ في الفَـضا
وأسْبِقُ جَريَ الرِّيحِ والسُّـحْبِ والطَّـيرِ

فقَفَزَ الإسْكافِيُّ[5]، كَالطَّير العافي[6]، وقال:

أنـا وَلَـدُ الإسْـكافِ لـولاهُ قُطِّعـت
بـواطنُ أقـدامِ الخَليقـةِ في السَّـيرِ

(١) جمع جدار، ويجوز في الدَّال الضَّمُّ والسُّكون.
(٢) الشاعر المشهور، وكان يُلقي شِعْره في خُيَلاء.
(٣) جمع سائرة، ويقال لها: سيَّارة.
(٤) كثير الغيرة.
(٥) مُصْلِح النِّعال وصانعها.
(٦) كلّ طالب رزقٍ يقال له: العافي.

فاسْتَوْفَزَ[1] السَّبَّاكْ، يريدُ الدِّراكْ[2]، فقال:

أنا ابـنُ الـذي سَـوَّى مَسـالِكَ مـائِكُم
لِتَجْـريَ في جَـوْفِ الأنابيـبِ للطُّهْـرِ

فانْتَبَهَ الخَبَّازْ، وقفَزَ كَالبَازْ، وقال:

أنـا وَلَـدُ الخَبـَّازِ، والـفُـولُ صَـنْـعةٌ
لَدَيَّ، يَقُومُ النَّاسُ حَـوْلي مِـنَ الفَجْـرِ

فأقْبَلَ ذو الكَهْرَبا، كَنَسيمِ الصَّبا[3]، فقال:

أنا الكَهْرَبيْ أَخْـرَجتُكمْ حـين جِئْـتُكم
إلى النُّورِ بِالمِصْباحِ في اللَّيلِ إذْ يَسْري

فمَا لبثَ الطَّبَّاخْ، أنْ هَبَّ بِلا تَراخْ، فقال:

أنا الطَّابخُ النَّدْبُ[4] الذي قد دَعَـوْتُكمْ
- إذا كان لي قَدْرٌ لَدَيْكُمْ - إلى قِدْري

(١) استعدَّ للقيام.
(٢) يريد اللّحاق.
(٣) الرّيح، وتثنيتها: صَبَوان وصبَيان، وتجمع على صَبَوات وأصباء.
(٤) الخفيف الظريف.

فشكَر الحاضرون الخِيرَةْ، هَؤلاء الفِتْيان العَشرَةْ. وعَجِبُوا مِنْ حُسْن بيانهمْ، وفَصَاحَةِ لِسانهمْ. وشَغَفِهم بأعْمالهمْ، وصَلاح أحْوَالهمْ. وقاموا كُلُّهم أجْمَعُون أكْتَعُونْ، أبْتَعُون أبْصَعُونْ. إلى جفانٍ[1] كَالجَوَابْ[2]، مِنْ كَباب الكُبابْ[3]. مُلِئَتْ بِاللُّحُومِ والكامَخْ[4]، عِنْد الفَتى الطَّابخْ، والكريم الشَّامِخْ. وانْقَلَبُوا شاكِرِينْ، لربِّهم ذاكِرِينْ.

---

(١) جمع جفنة: الصَّحفة الكبيرة.

(٢) جمع جابية: الحوض الذي يجتمع فيه الماء.

(٣) الكباب بفتح الكاف معروفٌ، وأما الكُباب بِالضَّم؛ فهو الكثير من الإبل والغنم.

(٤) بفتح الميم: إدام.

المَقامَة المَكّيّة

قال أبو العينين:

شَخَصْتُ مِنَ العَوَالِيْ، في بِعْضِ اللَّيالِيْ. أمْشِي مَشْيَ حَثِيثْ[1]، وأُرَدِّدُ مَا أحْفَظُ مِنْ حَديثْ. حتَّى إذا الصُّبْحُ تَنَفَّسْ، رَكِبْتُ رَاحِلَتِي العَدَبَّسْ[2]. وقَصَدْتُ ذاتَ السِّتْرْ[3]، وَصَلَّيْتُ الفَجْرْ. ومكَثْتُ في الحِجْرْ[4]، ابْتِغَاءَ الأجْرْ. ثُمَّ خَرَجْتُ إلى بَعْضِ الأَسْوَاقْ، وأَوْحَيْتُ[5] إلى أبي إسْحَاقْ. فَرَدَّ عَلَيَّ بِصَوْتِهِ الرَّخِيْمْ، مِنْ سَوطِهِ الرَّقِيمْ[6]. وطَلَبْتُ إليهِ مُوَافَقَتِي لِمُرَافقَتي. فَلَمَّا الْتَقَيْنَا بِأجْيَادْ[7]، والنَّاسُ تَقُولُ: جِيَادْ. تَعَانَقْنَا بها[8] ومَشَيْنَا،

---

(١) سريع.

(٢) هو الشّديد الموثق الخلق من الإبل، وأعني به نوعًا من السّيارات.

(٣) الكعبة.

(٤) حجر الكعبة.

(٥) هتفتُ به.

(٦) المراد: هاتفه، وفي الحديث: «لا تقوم السّاعة حتى لا يكلِّم الرّجلُ عذبة سوطه». جزء من حديث أخرجه أحمد وابن حبّان والحاكم من حديث أبي سعيد الخدريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) مكان معروفٌ، قريب من الحرم.

(٨) أي: تعانقنا بموضع (أجْيَاد)، وبالأجْيَاد: جمعُ جِيد، وهو الرَّقبة، فاستخدم الضميرُ للمعنيين.

والنَّاسُ مِنْ خَلْفِنَا ومِنْ بَينِ يَدَيْنَا. فَلَمَّا طَعِمْنَا مَعْصُوبَا[١]، وَسَمْنًا مَسْكُوبَا. عَزَمْنَا على النُّهوضْ، إلى عَوَارِضِ العَرُوضْ[٢]. لنَرى معالِمَهَا، ونُبْصِرَ عَوَالِمَهَا. فأخَذْنَا ذاتَ اليَمينْ، إلى بيتِ الأمِينْ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمْ، وشَرَّفَ وكَرَّمْ. وَصَعَدْنا نَحْنُ وبَعْضُ النُّوَيْسْ[٣]، إلى جَبَلِ أبي قُبَيْسْ. وهو أحَدُ الأخْشَبَينْ، في قَوْلِ الأكْثَرينْ. ثُمَّ انْحَدَرْنَا إلى شِعْبِ عَامِرْ، جِوارَ البيتِ الطَّاهِرْ. وهَوَ يَصُبُّ على الغَزَّة، يا أبا عَزَّةْ. ثم طَوَيْنَاها ماشِينْ، غَير ناسِينْ.

فنَادَى أبو إسحاقْ: اللَّحاقَ .. اللَّحاقْ! فقلتُ لِلْقَومْ: يا قَوْمْ، هذا خِرِّيتُنَا[٤] اليَوْمْ. فَلْتَكُنْ إمَامَنَا، وسِرْ أمَامَنا. فقال: أحْرَجْتَني؛ إذ أخْرَجتَني. فقد يكونُ مع التَّقَدُمْ، شَيءٌ من التَّنَدُمْ. غَير أنِّي أسْتَعِينُ بربِّ البريَّاتْ، في هَذه الحاراتْ. أتريدُون صُفَيَّ السِّبابْ، أم حَارةَ البابْ؟ فقلتُ: الصُّفَيَّ .. الصُّفَيّْ، يا أُخَيَّ أبَيّْ[٥]. وحينَ بَلَغْنَا مَسْجِدَ الجِنّْ، قَالَ طَاعِنٌ في السِّنّْ. أريدُ

(١) طعامٌ مُحَبَّب معروف، يُفتُّ فيه الخبزُ، ويخلط بالموز ويمرس، ويجعل عليه السّمنُ البلديّ، ومنهم من يزيد عليه العسل، أو القشطة أو التمر أو جميع ذلك.

(٢) من أسماء مكة.

(٣) تصغير ناس.

(٤) الماهر بالدّلالة على الطريق.

(٥) أي: يا عمّي.

أن أثُوْبَ[١]، فقد مَسَّني اللُّغُوْبُ[٢]. فانْطَلَقْنَا صَوْبَ[٣] الحَجُونَ وكَدَا[٤]، على مَهَلٍ وهُدَى. فقَالَ قائلٌ من بَعِيدْ؛ إذْ ألقى السَّمعَ وهو شهيد: كيفَ ضَبْطُ الحَرْفَينْ، مِنْ هذَينْ؟ فقلتُ: ما هَـذَانْ، يا فُلانُ بـنُ فُـلانْ؟ فقـالَ: الحَـاءُ والكَـافْ، يـا أخَـا الإلْطَـافْ. فشَدَدْتُ الحَاجِزْ[٥]، وأنشَدتُ قولَ الرَّاجِزْ:

إنَّ كَـــداءً والحَجُــونَ انْفَتَحَــا
لمَّـــا أتَاهمـــا نَبِيُّنَـــا ضُـــحَى

وقبلَ الحَجُونِ مَسْجدُ الشَّجَرَةْ، ولَيْسَ بالـذي بَـايَعَ فيـه الخِيَرَةْ. ودُونَهما الحَزْوَرَةْ، عَلَى زِنَةِ قَسْوَرَةْ[٦]. وهـو الـذي فيـه المُنْحَنَـى، بَيْنَ الحَجُـونِ ومِنَـى. وذَكَـرْتُ في المَعَابِـدَةْ، هَـذه الفَائِدَةْ.

والضَّـــرْبتان في تَـــيَمُّمٍ رُفِـــعْ
في الدَّار[٧] .. والصَّوابُ: وَقْفٌ للـوَرِعْ[٨]

(١) أرجع.
(٢) التّعب.
(٣) جهة.
(٤) بفتح الحاء والكاف، كما سيأتي.
(٥) الحزام.
(٦) اسم الأسد.
(٧) الدّارقطني.
(٨) أي: الصّواب أنه موقوفٌ على ابن عمر. وكان من أورع الصّحابة.

والغُسْـــل عَـــنْ جَنابـــةٍ والجُمْعَـــةِ

والحَجْمِ[١]، مَيْتٍ = صَحَّ عَـنْ خُزَيْمَـةِ[٢]

فقامَ في ذلك المَقَامْ، رجـلٌ قَمْقَـامْ[٣]. وقـال: مـا دَخْـلُ هـذا الكلامْ، يا ابْنَ الهُمَامْ؟ فقلتُ: المُذَاكَرَةْ، يا ابن المَاكِرَةْ!!

ثُمَّ وافَيْنا الأبْطَحَ في التَّاسِعَةْ[٤]، وأُبْنا[٥] مِنْ بَعْدِهِ إلى الجَامِعَةْ. وانْصَـرَفَ الجَمَاعَـةْ، في تِلْـكَ السَّـاعَةْ. ووَدَّعـتُ أبـا إسْـحاقْ، وتواعَدْنا على التَّلاقْ.

---

(١) الحِجامة.

(٢) أعني به ابن خزيمة.

(٣) سيّد.

(٤) في السّاعة التاسعة.

(٥) رجعنا.

المَقامَة الجَرْوليّة

قال أبو العينين:

سِرْتُ أنا وبَعْضَ الصِّحابْ، إلى بَعْضِ الرِّحابْ[1]، نَقْتَفِي أَثَـرَ ابْنِ الخَشَّابْ[2]. الشَّحْشَحُ[3] المِصْـقَعْ[4]، والنَّحَـوِيِّ الأروَعْ[5]، والخطيبِّ البَلْتَعْ[6]. فألفينـاهُ قائمًـا في الكَثْـرْ[7]، بـارزَ الصَّـدْرْ، وَجْهُهُ كالبَدْرْ. يُلقي على الجَمْعِ جَـواهِرَ لفظِـهْ، ونـوادِرَ حِفْظِـهْ. لا يَندُّ[8] منه غريبْ، ولا يَفْدَحُهُ[9] عَجيبْ. في إصـابةٍ وأصـالةْ، ومَهَابَة وجلالةْ. وقد أدَارَ لِلْقَومِ رَحَاهْ، كأنّـه إمـامُ النُّحـاةْ. يَرْفَـعُ

---

(١) الرِّحَاب في الأودية: مَسِيل مِيَاهِها، واحدِتها: رَحْبَـة بالسُّكون وبـالفتح. ومواضع متواطئة يستنقع فيها الماء، وهي أسرع الأرض نباتًا.

(٢) الخطيب الماهر.

(٣) الذي لا يرتجّ في خطبته، ولا يرتجع في كلامه.

(٤) البليغ الفصيح، الذي لا تعترض لِسانَه عُقْدَةٌ، ولا تَتَحَيَّف بيانَه سَقطَةٌ.

(٥) الأروع: الرجل الكريم ذو الجسم والجهـارة والفضـل والسُّودد. وقيـل: هو الجميل الذي يروعك حُسنه، ويعجبك إذا رأيته.

(٦) الحاذق بكل شيء.

(٧) الوسط من كل شيء.

(٨) لا ينفلت.

(٩) لا يثقل عليه.

ويَنْصِبْ، ويُجَلْجِلُ بِصَوْتِهِ ولا يَنْصَبْ[1]، كَالوَابِلِ[2] حين يَنْصَبُّ. يَفْتَحُ يَدَيْهِ إذا شَرَحْ، ويَخْفِضُهما إذا ركَحْ[3]. فإذا جزَمَ سكَنْ، وإذا سكَنَ ركَنْ.

وربُّما أَلْقَى رِدَاءَهْ، وبقِيَ كَالآءَةْ[4]. ولا تَسْأَلْني عَنْ عِمامَتِه المُسْوَدَّةِ بعد بياضْ، إذ ذرَقَ[5] فيها الطَّير وباضْ. فقد كان مِنْ هِجِّيراهُ ودَيْدَنه[6]، أن لا يخلعَ ثوبًا عن بَدَنِهْ. حتَّى يَتَمَزَّق فوقه بِلاً[7]، أو يَغْسِله ماءُ الغَمامِ وِلاً[8]. ولا ندري أكان ذلك منه غَفْلَةْ، وقِلَّةَ اهتبال وذَهْلَةْ[9]. أم كان مَصْفُودَ اليدْ[10]، كَثيرَ العَدّْ[11]. حَرِجَ اللَّبانْ[12]، جامِدِ البنانْ. وكان مع ذلك يَتَفَجَّر

(١) لا يتعب.
(٢) المطر الغزير.
(٣) اعتمد واستند.
(٤) الآءة: شجرة، تجمع على آء.
(٥) يقال: ذرق الطائرُ: إذا ألقى سُلاحه.
(٦) عادته.
(٧) مِن بَلِيَ، إذا خَلَق ورَثّ.
(٨) تِباعًا، أصله: وِلاءً، مصدر والى موالاة وولاءً.
(٩) قلّة عناية وذهول.
(١٠) مقيَّد اليد.
(١١) أي: يعدّد ماله في كل حين كما يفعل الحريص البخيل.
(١٢) حَرِج اللَّبان: ضيّق الصدر.

عِلمًا، ويتفيَّض فَهْمَا. مشاركًا في علوم السُّنَّةْ، ولقراءته رَنَّةْ[1]. وقد هَزَّ طائفةً من القامات، كَالتِّبريزيِّ وصَاحِب المقامات. بِردٍّ مَورُودْ، ولفظٍ مَسْرُودْ، وعِلْمٍ مَمْدُودْ.

فَلَمَّا أبْصَرَ دَهْشَتَنَا، وحِرْصَنا ولَهْفَتنا. قال: شُكْرًا أيُّها الرَّهطْ، على هذا الوَأْط[2]. وألْمَحُ فيكم زكاءً، وفِطنةً وذكاءً. فإنِّي حينَ تَلَوْتُ شَوَاهدَ النَّحْوْ، على نَحْوٍ مِنَ النَّحْوْ، نَحَوْتُم هذا النَّحْوْ[3]. وأُريدُ أَنْ أُقَلِّقَ[4] الأَذْهَانْ، وأُقَلْقِلَ[5] الوَسْنَانْ. يا مَعْشَرَ مَنْ حضَرْ، وتسمَّعَ ونَظرْ. سَأُنْشِدُكم أبياتًا عَشَرَةْ، فيها شواهدُ مُنَشَّرَةْ. ولِكُلِّ شَطْرٍ غَمرَهْ، شاهدٌ شَعَرَهْ[6]. شاعرٌ شُعَرَةْ، فمن شاء ذكَرَهْ.

---

(١) ذكر في ترجمته أنه كان حسن القراءة للحديث.

(٢) الوَأط: الزيارة، وَأَطَ، كَوَعَدَ: زار.

(٣) للنحو معانٍ، منها: القصد، والجهة، والقدر، والمثل. وجمعها قول بعضهم:

نَحَوْنا نَحْوَ دارك يا حَبيبي وجَدْنا نَحْوَ ألفٍ مِن رقيبِ
وجَدْناهم جياعًا نَحْوَ كلبٍ تَمَنَّوا مِنْكَ نَحْوًا مِنْ شَريبِ

(٤) أحرِّك.

(٥) أحرِّك نائمكم.

(٦) قاله.

قالوا: أبْصِرْ بِنَا وأسْمِعْ، وقد شَوَّقْتنا فأسْرِعْ. قال: أَبْـدَأُ بِعَـونِ المَعْبُودْ، بقولِ زهيرِ بن مسعودْ:

فَخَـيرٌ نحـنُ عنـدَ النّـاسِ مـنكُمْ

إذا الـدَّاعي المُثـوِّبُ قـال: يـا لاَ

قلنا: الشَّاهد في أوَّله وآخرِهْ، كَمَا هو مَعْلومٌ لذاكِرِهْ. إذْ جَعَلَ الوَصْفَ مُبتدَا[1]، ولم يكُ نَفْيٌ وُجِدَا. و«يا لاَ» أصْلُها: يا لَفُلانْ، لا تَخْفَى على اليقظانْ. فهاتِ الثَّاني، مِن جناك الدَّاني.

فأنشدَ في رَوِيَّةْ، قولَ جَرِيرِ بْنِ عَطِيَّةْ:

لو شِئتِ قـد نَقَـعَ الفـوادُ بشَـرْبَةٍ

تـدعُ الحَـوائمَ[2] لا يَجِـدْنَ غَلـيلاَ

فعَاجَلُوهُ بالرَّدْ: هذا جَوَابُ «لو» صُدِّرَ بـ «قَدْ». وهو قليلٌ بل نادِرْ، كما أنْتَ خابِرْ[3]، وضُمَّ الجيمُ في الآخِرْ، على لُغَةِ بَنْي عَامِرْ[4].

---

(١) في قوله: «فخيرٌ نحن»، «خيرٌ» مبتدأ، وهو وصفٌ، ولم يسبقه نفيٌ ولا استفهام. و«نحن» خبرٌ، ومن النحويين من خرَّجه تكلُّفًا على أنه خبرٌ، و«نحن» متبدأ.

(٢) الطيور الحائمة.

(٣) يقال: رجلٌ خابرٌ وخَبِرٌ وخبيرٌ بالشيء: إذا كان عالمًا به.

(٤) في كلمة «يَجِدْنَ» اللُّغة الفُصْحى بِكَسْر الجيم، وبنو عامر يضمُّونها.

قال: أحْسَنتُمْ وأجْمَلتُمْ، وسلامٌ عَلَيكم طِبْتُمْ. دُونَكُم البَيْت الثَّالثْ، يا بَني يَافِثْ[1]. وهو قولُ أبي العِيال الهُذَليّ:

حَتَّى إذا رَجَبٌ تَولَّى وانْقَضَى
وجُمَادِيَان وجاء شَهْرٌ مُقْبِلُ

فقال منهم: نَدْبٌ لَبيبْ، فيه أنَّ الواوَ لغَيْرِ التَّرتيبْ. إذ عُطِفَ جُمَادَى على رَجَبْ، فلا عَجَبَ ولا رَجَبْ[2]. وثاني الشَّاهِدَينْ: تَثْنِيَة جُمَادِيَيْنْ[3].

قال لَهُم: شَرَحْتُم صَدْري، وأعْظَمْتُم قَدْري. وزَيَّنْتُم المَرَابِعْ[4]، فَهَاكُمُ الرَّابِعْ. وهو لِلْمَلِكِ الضِّلِّيلْ، والشَّاعِرِ الفَحِيلْ[5]:

حَلَفْتُ لها باللهِ حِلْفَةَ فاجِرٍ
لَنامُوا فَمَا إنْ مِنْ حَديثٍ ولا صالي

(١) يافث: ابن نوح عليه السلام، وهو أبو الترك ويأجوج ومأجوج.
(٢) يقال: رَجِب كَفَرِحَ: فَزِع واستَحْيَا، والمصدر: الرَّجَب.
(٣) يرى النّحاة أن العَلَم إذا ثُنِّي أو جُمِع تُسْلَبُ عَلَمِيَّتُه، واستثنوا من ذلك ألفاظًا، منها: جمادى.
(٤) أماكن الإقامة.
(٥) الفحل، وهو امرؤ القيس.

فخَاضُوا في البيتِ وهامُوا، وقَعَدُوا وقامُوا، والشَّاهد في قَوْلِه: «لَنامُوا». والأصْلُ أنْ يأتي في الكَلامْ، بـ «قد» بَعْدَ اللاَّم[1]. والثَّاني - وهو عَلَيهم عَمى-: حَذْفُ خبرِ «ما». فَتَذَكَّروا ما نسُوهْ، ثُمَّتَ اسْتَخْمَسُوه[2].

فاسْتَوْقَفَ هُنَيَةْ[3]، وأنْشَدَ قَوْلَ الحُطيئَةْ:

ثَلاثَــةُ أنفُسٍ وثَلاثُ ذَوْدٍ

لَقَدْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى عِيَالي

قالوا: نعم، كِلا الشَّاهدين في الصَّدْر، يا جَلَيلَ المَكَانَةِ والقَدْر[4]. أَنَّثَ فيه المُذَكَّرْ، وذَكَرَ فيه المُؤنَّثَ فذَكَّرْ[5]. قال أوْسَطُهم - وهو الخامسْ -: فما البيتُ السَّادس؟

(١) المراد: أن البيتَ بِشاهِدَيْه لم يفطنوا إلى موضع الاستشهاد منه هذه المرَّة، وإيضاح الشاهد الأول: أن القياس في مثل القسم المذكور أن يكون الجواب مصدّرًا بـ «قد»، أي: لقد ناموا. والشاهد الثاني: أنّ «ما» حُذِف خبرها؛ تشبيهًا بـ «لا»، التي جاءت بعدها، والتقدير: فما حديثٌ، ولا صالٍ مُصْغٍ إلى حديث.

(٢) أي: طلبوا بيتًا خامسًا.

(٣) أي: شيئًا يسيرًا.

(٤) يشيرون إلى خُروجه عن شَرْطه الأوّل: المُلْتَزِم بشَاهِدٍ في كلٍّ شَطْر.

(٥) وذلك في قوله: «ثلاثة أنفس»، الأصل: أن يقول: ثلاث أنفس؛ لأنَّ النَّفْسَ مؤنثة، وكذلك قوله: «ثلاث ذود» الأصل أن يقول: ثلاثة ذود؛

فأنشدهم قَوْلَ عَبْدِ يَغُوثْ(١):

وتَضْحَكُ مِنِّي شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ(٢) كأنْ لَمْ ترَى قَبْلي أسِيرًا يَمَانِيَا

فبادَرَ بالجوابْ، شيخٌ مِنْ أُولي الأَلْبَابْ. وقال في صَرْخَةْ: دَخَلَتِ التّاءُ على شَيْخَةْ. وثَبَتَ الألفُ مع الجازِمْ، للأمرِ الحازِمْ(٣). فَأَلْقِ عَلَيْنا السَّابعْ، فَكُلُّنا لك سَامِعْ.

فأنشدهم مِنَ الرَّجَزْ الجَليّ، لِجَرِيرٍ البَجَليّ:

يَا أقْرَعُ بنَ حابسٍ يا أقْرَعُ إنكَ إن يُصْرَعْ أخوكَ تُصْرَعُ

فَقَال بَعْضُ الفُضَلاَ وفيهِ شَيْبٌ وَجَلاَ(٤):

إلْغَاءُ شَرْطٍ، حَذْفُ ألْ جَوَابُ ما عَنْهُ تَسَلْ(٥)

= لأنَّ الذَّودَ مُذكَّر، ولكنه جاز؛ لأنه عنى بالنفس: الشخص. وأمَّا الذَّود فاسم جمع يشمل المذكَّر والمؤنَّث.

(١) عبد يغوث: ابن وقّاص الحارثي.

(٢) منسوبة إلى عبد شمس.

(٣) أي: للضرورة.

(٤) الجَلا: أن يذهب شعر الرأس من مقدّمه، أو: هو قريبٌ من الصَّلع.

(٥) الشاهد الأول: حذف «أل» من «الأقرع» من أجل النداء. والثاني: إلغاء عمل «إن» الشرطية للضَّرورة، حيث رفع الفعل «تصرع»، ومن =

فجِـــــيْ لَنَــــا بِـالـــشَّـامِـــــنِ
لِكَـشْــــــفِ مــــا بالبَـاطِـــــــنِ

فعلَّقَ عَلَى نَظْمِي[1] وأوْجَزْ، وأنشدَ قولَ مَنْ أرْجَزْ:

لاهُــــمَّ إنْ كُنْــتَ قبلـــتَ حِجَّـــتِجْ
فـــلا يـــزالُ شـــاحجٌ يأتيـــكَ بِـــجْ

قلنا: لا يكُن في صَدْرك هَمٌّ، فالشَّاهد في «لاهُـمّ». وأُبْـدِلَتِ الياءُ جيمًا[2]، وصلّى الله وسلَّم تسْليمًا. فألْقِهْ إلينا تَاسِعَهَا، آتـاك الله منَ الرَّحْمة واسِعَها. قال: نعم! وإنَّكُم لَنُجَباءْ، وطلاَّبٌ أُدباءْ.

قال: على الكَرامَةِ والمحبّةْ، دُونَكُم قولَ شَاعرِ بَني ضَبَّةْ[3]:

أعْــرِفُ مِنْهَـــا الجِيـــدَ والعَيْنَانـــا
ومِنْخَــــرَيْنِ أشْـــبَهَا ظَبْيَانــــا

= العلماء من يقول: حذف الجواب للضرورة، و«تصرع» في آخر البيت خبرُ «إن»، وهو المشهور.

(١) ما كان من شعر غيري فإني أنسبه إليه، أو أذكر ما يدلّ على أنه لي أو لغيري في الأصل أو في الهامش، وما كان بلا قرينة فهو من شعري.

(٢) أصل «لاهمَّ»: اللَّهُمَّ، فحذفت «ال» شذوذًا، وأما إبدالُ الياء جيمًا فهي لغة لبعض العرب، وكذلك العكسُ.

(٣) قال العيني في تخريج شواهد الأشمونيّ: «قال أبو زيد: أنشدني المفضّل لِرَجُل من ضبّة هلك منذ أكثر من مئة سنة»، ولم يذكره.

فقامَ كبيرُهُمْ وقَحَزْ[1]، وقال: ما أحْسَنَ هَذَا الرَّجزْ! افتحوا العُيونْ، أيُّها المؤمنونْ، واعْلَمُوا أنَّ الشَّاهِدَ في النُّونْ. فإنَّها قد فُتِحَتْ، وفي التَّثْنيةِ إذْ لزِمَتْ[2].

فَاْخْتِمْ بِعَاشِرِهِ، مَعْ ذِكْرِ شَاعِرِهِ
إنّا لِذَاكِرِهِ بالشُّكْرِ نَسْتَبِقُ

قال: أحسنتُمْ أيُّها النُّبلاء، الأماجد الفُضَلاء. إليْكُمُ البَيْتَ الخاتِمْ، وإنه كَالخَاتِمْ، وهو لابْنِ وَابِصَةَ واسْمُهُ سَالِمْ. وفيهِ شَاهِدٌ فرْدْ، لِنُوتِرَ في العَدّْ.

ولا يُواتيكَ فيمَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ
إلاَّ أخُو ثِقَةٍ فَانْظُرْ بِمَنْ تَثِق[3]

فهزَّهم به طربًا، وقالوا: أسمعتنا عجبًا. بيتٌ كَبَيْتِنا، ودقيقٌ في زيتنا. وإليكَ الجوابْ، المؤيّدَ بالصّوابْ.:

الباءُ زائدةٌ عن أُخْرَى ووارِدَةْ
في البَيتِ شَاهِدَةٌ يا قومُ فَانْطَلِقُوا

---

(١) وثب.
(٢) أي: لزمت الألف.
(٣) يقولوا النّحويون: أصل الكلام: فانظر من تثق به، فحذفت هذه الباء، وعُوِّضَتْ بِبَاء زائدة، وهي الدّاخلة على «من».

فَاعْتَنَقَهُم الشَّيخُ وسَلَّمْ، وصَلَّ عَلَى النَّبيِّ وسلَّمْ. وانصرفَ الجماعةْ، لا يَدْرُونَ كَم السَّاعةْ. فَلَذَّة العِلْم تَطْوي بِسَاطَ الزَّمانْ، وَتَطْرُدُ هُمُوم الجَنانْ. وغُمَومَ الخِزان[1]، وتَخَاليطَ الجُلْجُلان[2].
والله وَحْدَه المُسْتَعَانْ، وعَلَيهِ التُّكْلان !

(١) القلب.
(٢) من أسماء القلب.

المَقامَة المَدَنِيّة

قال أبو العينين:

حَدَّث أبو إسحاقْ، في يوم تلاقْ. قال: حَدَّثني رَفيق العُمُرْ، في لَيلَةِ سَمْرْ[1]. قال: طابَ لي المُقامُ واحْلَولَى، بِمكَّةَ شرَّفها المَوْلَى. والقلبُ مُذَبْذَبْ، بينها وبين يَثْرِبْ. فَرَمَتْ بي سَفينَةَ التَّعْليمْ، إليها في أَحْسَنِ تَقْويمْ. فأَقْبَلْتُ عَلَى العُلُوم بِعِشْقْ، ولم أمِلْ إلى سواها بِكُلٍّ ولا شِقّْ.

وكان لي رِفاقٌ ضِعافُ الهِمَمْ، لا يَطْمَحُون إلى عِلْمٍ أو عَلَمْ. يَعْجَبُون من جَلَدي، واطِّراحي للهَوى ودَدِي[2]. وتميَّز بعضُهم من الغَيْظْ، حين رآني في أشدِّ القَيْظْ. أُسْرِع إلى مَسْجِد النَّبيِّ المُكرَّمْ، صلَّى اللهُ عليه وسلَّمْ. لِتَشْراب لَبانِ العُلُومْ، وغِذاء الفُهُومْ. وأدَعُ طعامَ الجاشِريَّة[3] للأصيلْ، ببطنٍ طاوٍ وجسدٍ هزيلْ. وأجِدُ للعلومِ حلاوةً في الجِرِشَّى[4]، أحلى ممَّا أتغدَّى[5]

(١) سمر سمْرًا: لم ينم. والسمَر بالفتح: الليل وحديثه.

(٢) الدَّدُ: اللهو واللعب.

(٣) الجاشرية: نصف النهار.

(٤) الجِرِشَّى: النَّفس.

(٥) الغداء عند العرب: طعام الإفطار في عُرفنا اليوم.

به وأتعشَّى. ولم يكنْ لي يَوْمها صاحِبَةْ، ولا صَبْوَةٌ غالِبَةْ. تَرَجَّل إليَّ الجِدُّ ودَنا، فصادف قلبًا خاليًا فتمكَّنا. وكان لَنَا في ذلك المَسيرْ، أشْياخُ عِلْمٍ سَراسيرْ[١]. ورَدْنَا عِذابَ مَناهِلِهِمْ، وشَرِبْنا كُؤوس مَسائِلِهِمْ. ولمَّا ارْتَقَيْتُ دَرَج الكُلِّيَّاتْ، كُنْتُ مُشَتَّتَ العَزَمَاتْ. في اختيار الأوْلَى، والكُلِّيَّة الفُضْلَى. ثم اعتزمتُ بعد آنْ[٢]، على الانتظام في كُلِّيَّة القُرْآنْ. وقيل: اُدْخُلْها مع الدَّاخِلين، ولا تَكُنْ من الغافِلِينْ.

ولمَّا رأيتُ الطلاَّبْ، يَمُوجُون في الارتيابْ. كشفتُ لهم قناعَ الرَّيْبْ، وهَتَكْتُ لهم حِجابَ الغَيْبْ[٣]. ودَرَأْتُ عنهم هُجُومَ التَّرَدُّدْ، بِجُنُود التَّعَدُّدْ. ونظمتُ كُلِّيَّات الجامِعَةْ، في أبياتٍ نافِعَةْ. فاسْتَمِعُوا لها ولا تَعْذِلُوا[٤]، وإذا قُلْتُم فاعْدِلوا. ولْيَعْلم التِّلْعابَةْ[٥]، أنَّ بعضَها دُعابَةْ.

والكُلِّيَّاتُ خَمْسَةٌ: شَريعَةْ

ذِكْرٌ وهَدْيٌ دَعْوَةٌ ولُغَةْ[٦]

---

(١) سراسير: جمع سُرْسُور: العالم الفَطِن، الحاذِق بالأمور.
(٢) بعد حين.
(٣) الغَيب: الشَّكُّ.
(٤) لا تلوموا.
(٥) التِلْعابة: كثير اللَّعب.
(٦) أي: كلية الشريعة، وكلية القرآن، وكلية الحديث، وكلية الدعوة، وكلية اللّغة.

أفْضَـــــلُها: كُلِّيَّـــــةُ القُـــــرْآنِ

ثُـــمَّ الحَـــديثُ في المَقَـــامِ الثَّـــاني

ثُـــمَّ الشَّــريعَةُ، وقَـــوْمٌ رجَّحـــوا

لأنَّهـــــا لِلأوَّلَـــــيْنِ[1] تَشْــــرَحُ

وقـــال قَـــوْمٌ: دَعْـــوَةٌ، ذا حَسَـــنُ[2]

لِقَوْلِهِ في «فُصِّـلت»: ﴿مَـنْ أحْسَـنُ﴾

ومـــا رأيـــتُ غالبًـــا مَـــنْ أمَّـــا[3]

ســـاحتها إلاَّ بليـــدًا فَـــدْمَا[4]

إلاَّ رجـــالاً منـــهمُ كَوَالِـــدِي[5]

ورَجُـــلٍ يُنسَـــبُ لابْـــنِ خالِـــدِ

---

(١) للقرآن والحديث.

(٢) أي: هذا حسنٌ، مبتدأ وخبر.

(٣) قصد.

(٤) غبيًّا.

(٥) تخرّج فيها، وكانت في أيّامه من أصعب الكليّات، ثم حذف منـها بعـض المواد. ثم صارت بعد ذلك مبتغى من يعسر عليه التخصصات الأخـرى، ثم عادت بعد ذلك بأقسام مختلفة.

والخَــــامِسُ: اللُّغَــــةُ باتِّفــــاقِ
وهــــي الأخــــيرةُ علــــى الإطْــــلاَقِ
ودَاخِلُوهَــــا أهْــــلُ زَهْــــوٍ زَاهِــــي
وتِلْــــكَ جَرْحَــــةٌ لَعَمْــــرُ اللهِ[1]

وكنتُ أوَّلَ الأقْوَامْ، في جميع الأعْوَامْ. ولم يكنْ أَبْلُغُ من ذلك جَهدي. ولا كانتِ المُذاكرةُ مِنْ وُكْدي. ولكنَّ العُلُومَ مُتَصافِحَةْ، وكُلُّ صَفْقَةٍ فيها رَابِحَةْ. فمَنْ شَرِبَ مِنْ بَعْضِهَا، لم يُذَدْ[2] عن حَوضِهَا. فأغناني زادِي، ونَفَعَني اجتهادي. ولِلَّه هاتيك اللَّيالي المِلاَحْ، التي وصَلْتُ مساءَها بالصَّباحْ. وقد جَفَا الأجْفانَ طَيْفُ الكَرَى، وحَنَوْتُ على دَفاتري وحَنَيْتُ القَرَا[3]. أبِيْتُ أفضُّ أبكارَ المعاني بِلاَ جُناحْ، وأطيرُ في سَماء العُلُومِ بِلاَ جَناحْ. فإذا اللَّيلُ أدبرْ، وتَنَفَّسَ الصُّبحُ وأسفَرْ. قُمْتُ عَنِ المَعاني وهُنَّ مُطَرَّحاتْ، وبناتِ الصَّدرِ وهُنَّ مُبَرَّحاتْ.

(١) هذا ما كتبته يومئذٍ، وقد تغيّر الحال اليوم والزّمان، ومن كلام القدماء: «من أراد أن يجد في نفسه الكبر؛ فليتعلم النّحو»، ولكن ليس ذلك على إطلاقه.

(٢) لم يُدفع.

(٣) الطّهر.

أبيـــتُ أنـــا والمُقْفَـــلاتُ سَـــوَاترٌ
وُجُوهًـــا فـــأُغْرِيهنَّ بِـــالفَهْم والفِكْـــرِ
ألاعبُهـــا بِالضَّـــمِّ والفـــتح تـــارةً
وبِالكَسْرِ أحْيانًـا فتَسْكُن في حِجْـرِي[1]
وأجْــزِمُ أنَّــي لــو رَفَعْــتُ حجابَهــا
إذا انْتَصَبَتْ خَجْلَى لَمَـا رَفَضَـتْ جَـرِّي
ويُصْبِحْنَ صَرْعَى بَيْنَ عَقْلِـي ودَفْتَـرِي
ضَجِيعَات نَثْري راقِصَاتٍ على شِعْرِي[2]
وكُــنَّ لِفَهْــم الفَــدْم[3] يُظْهِــرْنَ عِفَّــةً
يُطالِبْنَــهُ بِــالمَهْرِ وهــو بِــلاَ مَهْــرِ[4]

---

(١) الحِجر: موضع مجلس الصبي من الإنسان، والعقلُ، وهو الذي أردته هنا.

(٢) المراد: بنات الفكر ومسائل العلوم.

(٣) البليد.

(٤) من قصيدة طويلة كتبتها عام ١٤١٤هـ.

ثُمَّ أسبحُ أطـرافَ النَّهـارْ، في بِحَـار الأحبَـارْ. فمِـنْ دَرْسٍ في «حرزِ الأماني»، إلى آخرَ في علم المعاني. ومِنْ دَرْسٍ في «مَراقي السُّعُودْ»، إلى دَرْسٍ في سُلَّمِ الصُّعُودْ. إلى خامس في الحَـديثْ، وسادٍ[1] في علم المواريثْ. وسابعٍ في المُعَلَّقاتِ السَّـبعْ، وثـامنٍ في القِراءاتِ السَّبعِ. وآخرها «بانتْ سعادْ»، ثُمَّ أَبَبْتُ إلى مَعادْ[2].

واستقرَّ بي المُقامْ، ولا يزال في النَّفسِ كلامْ.

---

(١) أي : سادس.

(٢) مكة.

المَقَامَة اللِّسانِيّة

قال أبو العينين:

اجتمعَ في طريقِ مكّةْ، ويُقالُ لها: بَكَّةْ. لأنّها تَبُكُّ[1] أعناقَ الطّغاةْ، وظهورَ[2] البُغاةْ. أفئدةٌ[3] مِنَ البَشَرْ، يُرى عليهم أثرُ السَّفَرْ. وكُلُّهم مَنَ الأعرابِ الأقْحاحْ[4]، والنَّسبِ الصُّراحْ[5]. من ربيعةَ ومُضَرْ[6]، وعُمَانَ[7] وحِمَيَرْ[8]. وقيسٍ[9] والأزْدْ[10]، وهُذيلٍ[11] وسَعْدْ[12]. وبني كَلْبٍ وقُضَاعَةْ، وغيرهم من

(١) تقطع.

(٢) جمع ظهر، ويصلح أن يكون مصدرًا.

(٣) فاعل «اجتمع»، ومعناه: جماعة من البشر.

(٤) الخُلَّص، ومفرده: قُحّ.

(٥) الصّريح.

(٦) ربيعة ومضر ابنا نزار بن معد بن عدنان من أولاد إسماعيل عليه السلام.

(٧) أهل عُمان أصلهم من قبيلة عبد القيس، هاجروا إليها، وأقاموا بها.

(٨) حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

(٩) من قبائل قُضاعة، يُنسبون إلى قيس بن وائل بن عوف بن مناة بن أد.

(١٠) الأزد: جُرثومة بن جراثيم قحطان، ينسبون إلى: الأزد بن الغوث.

(١١) هذيلٌ بطون كثيرة، منهم: لحيان بن هذيل، وصاهلة بن كاهل.

(١٢) ابن بكر.

الجماعَةْ. أتَوْا مِنْ كُلِّ فجٍّ[١] عميقْ، قاصدين البيتَ العتيقْ. يَجأرون[٢] بالتَّلبيةْ، ويَضْرَعُون إلى الله بالأدعيةْ. فسُبْحان خالق اللُّغاتْ، ومَنْ لا تَخْتَلِطُ عنده الأصواتْ!!

وكان وراءهم عَلَمُ الأعلامْ، الحشْكَظِيُّ الإمامْ، يسمعُ جَلَبَتَهمْ[٣]، ولا يتبيَّنُ قولَتَهمْ. فسأله صاحبُ سِوادِهْ[٤]، وأصغرُ أولادِهْ: إنِّي لم أفهمْ ما يقوله القومْ، في سائر اليومْ؟! قال: لا تثريبَ[٥] عليكَ، ولا لومْ. فلَهَجات العرب لا تُحْصَى، ولُغَاتُها لا تُسْتَقْصَى. فَادْنُ منهم واقترِبْ، واصْطَبِرْ ثُمَّ ارتقِبْ. وأسمعني جُؤارَهمْ[٦]، أُوضِحْ لك تَهْدارهمْ[٧].

فإذا به يسمعُ أحدَهم يقول: عَسْعَلُك[٨] الجِنانْ. وعَسْتعيذُ بِك[٩] من النِّيرانْ.

---

(١) طريق، وأصله: الطريق بين الجبلين.

(٢) يصرخون.

(٣) أصواتهم.

(٤) سرِّه.

(٥) الترثيب: اللَّوم، والتعيير بالذَّنب.

(٦) صياحهم.

(٧) مصدر: هدر الحمام: إذا صَوَّت.

(٨) أصلها: أسألك، لكنهم يقلبون الألف عينًا.

(٩) أصلها: أستعيذ.

قال الحشكَظِيُّ: هذه يا بُنيّ عَنْعنةُ قَيْس[1]، وهم من فصحاء النِّيس[2].

ثم سمعَ آخرَ يُنادي، من ثنية[3] الوادي. اللَّهم عِطَّةْ، أي: حِطَّةْ.

قال: هذه فَحْفحَة الهُذَلِيِّين، يُصَيِّرون الحاءَ إلى العَينْ، ويقولون: عتَّى حِين.

وثالثًا يقول - في هَيْش[4] -: لبَّيش اللَّهم لبَّيش[5]. ورابعًا يقول لحليلته[6]: باركَ اللهُ فِيشْ، وباعَدَ عنَّا تجافيش[7].

قال: هذه لهجةُ ربيعة ومُضَرْ، يا معشر من حَضَرْ. وهي الكَشْكَشَة المشهُورَةْ، وما هي بمَهْجُورَةْ. واستمع إلى ذلك العُلَيْكِم[8]، الذي يقول: السّلامُ عَليْكِم[9]. إنه وكْمُ ربيعةْ، القبيلة

---

(١) إبدال الألف عينًا.

(٢) (الناس) بالإمالة الكبرى، وبها قرأ أبو عمرو البصري.

(٣) طريق العقبة، أو: طريق إلى الجبل، وفيه.

(٤) في تحرّك وهيجان.

(٥) لغة يمانية.

(٦) امرأته.

(٧) تجافيك، أي: بعدك.

(٨) تصغير العُلْكُم، وهو الشديد. وأصله: الشديد من الإبل.

(٩) يقولون: بِكِم وعليكِم، حيث كان قبل الكاف ياء أو كسرة.

الرَّفيعةْ. وانظروا هل تسمعون كَلْبَا[1]، يلـهجون ﴿لوَليـت مِنـهِمْ رُعبا﴾[2]. أو من يقـول: رميـتُ بالعَشِـجّْ، مَـعَ الشَّـيخ عَلِـجّْ[3]. أولئكَ الجماعَةْ، مـن قبيلـة قُضـاعَةْ. ولغتـهم: الجَعْجَعَـةْ، أيّهـا الكُرْسُـعَةْ[4]. اليـوم تسـمعون مـا لا تعلمـونْ، وتعلمـون مـا لا تسمعون، تَعْلمون اختلاف اللِّسـانْ، وإن لم تَخْتَلـف الألـوانْ. وأنَّها آيةْ، كما جاء في الآيةْ[5].

أرأيتم إلى قَبيلة سَعْدْ[6]، وهُـذيلٍ والأزْدْ. وقَـيسٍ والأنصـارْ، وآخرين في الأمْصَارْ. يَقْلِبُون النُّونَ[7] عَينًا عنـد الطَّـاءْ، ويُسـمَّى ذلك الاستنطاء[8].

وبَيْنا[1] نحن كذلك؛ إذ طلعَ علينا رَجُلٌ كبيرُ الجَعْبَةْ[2]. يقول: طُفْتُ بالجَعبةْ[3]، وربِّ الجَعْبَةْ[4]. فقـال لـه رجـلٌ مـن عُمـانْ،

---

(١) أي: قبيلة كلب.

(٢) يكسرون الهاء في (منهم) ونحوه، ولو لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة.

(٣) أصله: العشيّ، وعليّ.

(٤) الكُرسُعة والكُرسُوعة: الجماعة من الناس.

(٥) هي قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزمر].

(٦) سعد بن بكر.

(٧) النون الساكنة.

(٨) وعليه القراءة الشاذة: ﴿إنّا أنطيناك الكوثر﴾.

مَشَا اللهُ كانْ[٥]. وآخر من شكلِهْ، يقول لبنيه وأهلِهْ: طابَ امْهواءْ، أي: طاب الهواءْ. قال الحَشْكَظيّ: هذه الطُمطُمانيَّةْ، تَعرضُ في اللُّغة الحِمْيَريَّةْ.

ثم مَرَّ بنا رجلٌ جَافْ[٦]، يجعل القافَ كَالكَافْ[٧]. ورَهْطٌ ينادي: أمَا مَرَرْكَ بِالوادي، ونَزَلْكَ[٨] بِحَيِّ البَوَادِي؟[٩]

قال أبو إسحاق: فلمَّا جنَّ[١٠] علينا اللَّيلْ، حَسَونا[١١] قَهْوةً[١٢] بالهَيْلْ. وانقلبنا إلى أهْلِينا فَاكِهِينْ[١٣]، غَير خَزايا ولا فارِهِينْ[١٤].

---

(١) بَيْنا، كبينما.
(٢) بفتح الجيم: وعاء النَّشَّاب، ويشبه البطن بها، وهو المراد هنا.
(٣) أي: بالكعبة.
(٤) بإبدال الكاف جيمًا، وهي من أردإ اللغات.
(٥) ذكر الثّعالبيّ أنها اللّخْلَخانيّة، وهي لغة أعراب الشِّحر وعُمان، وأصله: ما شاء الله كان.
(٦) من الجفاء، أصله: جافي، والأفصح حذف الياء.
(٧) نسبها ابن فارس لتميم، كما في «المزهر» للسيوطي (١/ ٢٢٢).
(٨) أصله: مررتَ، ونزلتَ.
(٩) حيٌّ معروف بمدينة جُدَّة.
(١٠) غطّى بظلامه.
(١١) الحَسْو: شرب في مصّ.
(١٢) أي: قهوة بُنٍّ، بقرينة (الهيل). والقهوة - في الأصل - اسم من أسماء الخمر.
(١٣) ضاحكين.
(١٤) فرحين فرح بطر.

نَحْمَدُ مولانا الرَّحمانْ. على ما علَّم مِنَ البَيانْ، وجعل لنا السَّمْعَ والأبصار والأفئدَةْ، وقد سمع اللهُ لمن حَمِدَهْ.

المَقامَة الحَرَمِيّة

قال أبو العينين:

تزَّوج طامِرُ[1] ابن طامرْ، طَباخيَةً[2] من الحَرائرْ. لِيَسْكُن إليها في رَوَاحِهْ، ومَسائه وصَبَاحِهْ. ويقرَّ بها عينًا، ويَصِلَ بها بينًا[3]. ولِيَؤُوبَ معها إلى سَعَةٍ ودَعَةْ، وجَفنة مُدَعْدَعَةْ[4]. فبلغتْ به قُلَلَ الأماني[5]، وألبسته حُلَلَ التَّهاني. ورَقَت به إلى سَماء السَّعادَةْ، وفَلَكِ السِّيادَةْ. فحَمَلَتْ حَمْلاً خَفيفًا، وصارَتْ وحْمَى[6]. فلمَّا أثْقَلَتْ دَعَوَا الله ربَّهما دُعاءً خَفيًّا، أن يَهَبَهما غُلامًا زكيًّا. فارتكض في بطنها الجَنينْ، وجاءها المخاضُ[7] المُبينْ. فلمَّا مالت وتدلَّتْ، وألقَتْ ما فيها وتخلَّتْ. طابت بذلك نفسًا،

---

(١) يُكنى به عن المجهول.

(٢) المرأة الشّابة المُمْتلئة.

(٣) بُعدًا وفراقًا.

(٤) جفنة مملوءة، يقال: دعدع الجفنة: إذا ملأها.

(٥) أعالي الأماني، القُلة: أعلى الجبل.

(٦) وحِمَت المرأة: إذا اشتدَّت شهوتها لنوع من الأكل.

(٧) دنوُّ الولادة.

وقدَّموا لها خَوِيَّةً[1] وخرُسَا[2]. ولكأنَّ قائلاً مِنْ بَعيدْ، يُخاطب الولَيدْ:

ولَـدَتك أمُّـكَ يـا ابـنَ آدمَ باكِيَا
والنَّاسُ حولـكَ يَضْحكُون سُرورَا
فاعْمِدْ إلى عَمـلٍ تكـون إذا أتَـوا
يـوم القيامـة ضـاحِكًا مَسْرُورَا[3]

وعاش في دَعَةٍ وسَرهَفَةْ[4]، وعيشةٍ مُرَفْرِفَةْ[5]. وزَهْرَفَةٍ[6] وتَنْزِيَةْ[7]، ورخاء وبُلَهْنِيَةْ[8]. حتَّى بَلَغ الفِطامْ، وأطاقَ القيامْ. وارْتَفَع حتَّى صار كالجَحْوَشْ[9]، أو كَالحَزوَّرِ[10]

(١) ما تأكله المرأة عن الولادة.
(٢) ما يُعمل للمرأة حين الولادة.
(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾، ولا أعرف قائلهما.
(٤) سَرْهَفتُ الصَّبي: أحسنت غذاءه ونعَّمتُه.
(٥) واسعة.
(٦) عيشة مزوّقة.
(٧) نزّا الصبيَّ تنزيةً: إذا لاعبه رفعًا ووضعًا.
(٨) سعة في العيش.
(٩) مرحلة للصبيِّ بعد الفطام.
(١٠) الصبيّ إذا قويَ.

واجْحَنْشَشْ[1]. ولم يبلغْ ذلـك الآنْ[2]، إلاَّ وقـد حفـظ القُـرآنْ. وصار يافعًا مُراهِقًا. ومُتَرَعْرِعًا فائِقًا. ومُدْركًا حانطًـا[3]، وحالمًـا فارطًا[4]. وأشْهَدَ وتَفيَّلْ[5]، ومَرِدَ وجْهُهُ[6] وتبقَّلْ[7]. وهو في هذا مُسَامِرٌ للدَّفاترْ، مُلازِمٌ للمَحابرْ. طَلاَّبٌ لِلْعِلْمْ، مُصَـاحبٌ لأولي الحِلْمْ. كان يَدَعُ أقْرانه لِدَدْ[8]، في طَرائق قِدَدْ[9].

وينفذ من باب المَرْوة أو الصَّفا، يطلب رياض العِلْم والصَّـفا. يقول قبل دُخولِهْ، والسَّلام على رَسولِهْ:

خَلِيلَـيَّ مُـرَا بي علـى صَـحْن كَعْبَـةٍ

لِنَقْضـى لُبانـات[10] الفـؤادِ المعـذَّبِ

(١) الصبيّ إذا قارب الاحتلام.

(٢) الزّمان.

(٣) المدرك والحانط: الغلام إذا بدا البِثْر في وجهه.

(٤) محتلمًا. وفَرَط بمنعى سبق.

(٥) ازداد شبابه.

(٦) مَرِد وجهه: نبت وجهه، وبدا شاربه.

(٧) تبقل: نبت شعره.

(٨) الدّد: اللّهو.

(٩) مختلفة.

(١٠) حاجات.

تبصَّرْ خَلِيلي هل ترى من مَقَاعِدٍ
عليها رِجالٌ يَرْشَحُون بِصَيِّبِ[1]

وحَولهمُ طُلاَّبُ عِلْمٍ كأنَّهم
على مَنْهَلٍ عَذبِ المَواردِ طَيِّبِ

يقولون أنبانا وحدَّث مالكٌ
بإسْناده المَوصُولِ رَفعًا إلى النَّبي[2]

وقال ابنُ سيرينٍ عن الحَسَنِ الرِّضا
أو السَّيّد المَولى سَعيدِ المُسيَّبِ

وهل ثَمَّ من يُقْري الخُلاصةَ[3] والتي
بتَصْريفِ أفعالٍ[4]، وتثليثِ قُطْرُبِ[5]

---

(١) الصيِّب: المطر.
(٢) صلَّى الله عليه وسلَّم.
(٣) خلاصة الكافية «ألفية ابن مالك».
(٤) أعني بها «لامية الأفعال».
(٥) «مثلث قطرب»، وقطرب هو: محمد بن المستنير البصريّ، وكان على طريقة المعتزلة النظامية (ت ٢٠٦هـ).

ومـــا شِـــئتُ ممَّـــا أشْـــتهي ويَلـــذُّ لي

من العلـم تَشْـرابًا علـى كُـلِّ مَـذْهَبِ

ولم يَزَلْ ذلك عَادته ودَيدَنَهْ، وهِجِّيراه[1] الحسنَةْ. يغوصُ على الدّقائقْ، ويستكشفُ مُخبّآت الحَقـائقْ. وهـو اليـوم قُمُـدٌّ[2] بـل عَنَطْنَطْ[3]، تارة يَتَمَصَّرُ[4] وتارةً يَتَشَنقطْ[5]. وحينًا يُنْجِدْ[6] وأحيانًا يُتْهِمْ[7]، وطَورًا يُعْـرِقُ[8] وأطـوارًا يُشْـئِمْ[9]. يُنَقِّـبُ في الـبلادْ، للعُلوم لا للتِّلادْ[10]. فإذا الشَّبابُ تَولَّى، وصار بعد ذلـك كَهْـلاَ. فالزَّهادة له أوْلَى، وإنَّه لَيَحْدُوني الحادي، ويَسُوقني التَّمادي. أن أسْتَطْرِدَ في بيان الأطْوَارْ، مِنَ الكُهولَةِ إلى البَوارْ[11]. فمَنْ شَـابَ

(١) العادة والدّيدن والهجِّيرا: ألفاظ متقاربة المعنى.

(٢) القُمُدُّ: الشَّديد، والغلام من خمس عشرة إلى خمس وعشرين.

(٣) من الخامسة والعشرين إلى الثلاثين.

(٤) يميل إلى مصر، والمراد: أخذه العلم عن أهل مصر.

(٥) يأخذ عن أهل شنقيط.

(٦) يأخذ عن أهل نجد.

(٧) عن أهل تهامة، ومكة منها.

(٨) عن أهل العراق.

(٩) عن أهل الشام، غفر الله لأولئك الأشياخ، ورفع درجاتهم، وأحسنَ ذِكرهم في العالمين، آمين..

(١٠) المال.

(١١) الموت.

فهو: أشمَطُ[1] أو أشْيَبْ. ومَن بلغ الخمسين فهو: شَيَخٌ لا يلعبْ. وهـو: مُخْلَـد[2] فنَهْشَـلْ[3]، والمُسِـنُّ لفـظٌ أشْـمَلْ. فَـيَـفَـنٌ[4] فقحْمٌ[5]، فقحر[6] فمُقْلَحِمٌ[7]، ورَضَمان[8] وهِـمٌّ؟[9] وهَـرِمٌ[10] ودليفٌ[11]، وهو الكبير الضَّعيفْ. وماجٌ[12] ومُفْنَدٌ[13]، ويقـال: مفنَّدْ. وخَرِف ونَعْثَلٌ[14]، وعَلٌّ[15] وحَوقَلٌ[16]. وعُنجُلٌ ودَحْمَلْ. وقَعْضَمٌ وهِبِلّ، ويطلقُ هذا على الإبلْ. ولله القائل:

---

(١) الذي وخطه الشيب.

(٢) الذي أسنّ، ولمَّا يَشِب.

(٣) بعد المخلد.

(٤) اليَفَن: المُسنّ.

(٥) الذي ارتفع عن المسنّ

(٦) الذي تضعضع لحمه.

(٧) الذي أسنّ، وفيه جلدٌ.

(٨) الشيخ إذا ثقل.

(٩) الذي بلغ الغاية القصوى من العمر، والشيخ الفاني.

(١٠) الهرَم: أرذل العمر، وأقصى الكبر.

(١١) الذي تقاربت خطاه؛ لكبره، وضَعْفه.

(١٢) الذي لا يستطيع أن يمسك ريقه لكبره.

(١٣) المنسوب للفَنَد، وهو الخرف بسبب الكبر.

(١٤) المسنّ الخرف.

(١٥) المسنّ النّحيل.

(١٦) الشيخ المسنّ الذي فتر عن الجماع، ولم يذكره القاموس.

ابـن عشـر مـن السِّـنين غـلامُ رُفِعـت عـن نظـيره الأقـلامُ
وابن عشرين للصِّـبا والتَّصـابي لـيس يَثْنيـه عَـنْ هَـواه مَـلامُ
والـثَّلاثين قُـوَّةٌ وشـبابٌ وهُيَـامٌ ولَوْعَـةٌ وغَـرامُ
فـإذا زاد بَعْـد ذلـك عَشْـرًا فكمـالٌ وشِـدَّةٌ وتَمَـامُ
وابـنُ خَمْسين مـرَّ عنـه صِباهُ فَيَـراهُ كأنَّـه أحـلامُ
وابـن سـتينَ صـيَّرتهُ اللّيـالي هـدفًا للمنـونِ فهـي سـهامُ
وابـن سـبعينَ لا تَسَـلْنيَ عنـه فـابن سَبعينَ مـا عليـه كَـلامُ
فـإذا زاد بعـد ذلـك عشْـرًا بلـغ الغايـة لا تـرامُ
وابن تسعينَ عاش ما قَـدْ كَفَـاه واعتـراهُ وَسَـاوسٌ وسَـقامُ
فـإذا زاد بعـد ذلـك عَشْـرًا فهـو حـيٌّ كميِّـتٍ والسَّـلامُ
[فـإذا زاد بَعْـد ذلـك عَشْـرًا فَعَلى القَبرِ جَثـوةٌ ورِجَـامُ[1]]

(١) أي: تراب وحجارة - نسأل الله حُسنَ الختام وطِيبَهُ -، والبيت الأخير من زيادتي، ولا أعرف قائل هذه الأبيات، أملانيها الوالد (رحمه الله) عن ورقة بخطّ أحد علماء اليمن، نسيتُ اسمه، وللأبيات ألفاظ أخرى منها ما هو في «فتح الرحيم الرحمن»، وما كتبته هو أحسن ما رأيته من ألفاظها.

المَقامَة الحَزْمِيّة

قال أبو العينين:

السَّلامُ عليكَ يا أبا محمَّدْ، وعَلِيَّ بْنَ أحمَدْ. وسَلامٌ على قُرْطُبَةْ، وبَلَدٍ أنْجبَهْ. طَوَّقني كتابُك «الطَّوقْ»[1]، بِعَالي أدبه والذَّوقْ. الَّذي يجري كَعُبام[2] الماءْ، وسَحاب السَّماءْ، وتَنْحلُّ به عُقدة العَبامَاءْ[3]. ودخلتُ عليه من كُلِّ بابْ[4]، وبلغتُ منه الأسبابْ. أسبابَ سماء الحُبِّ وما هيَّتِهْ، ورأيتُ هناك بابَ علامتِهْ. ومَنْ أحبَّ في نَومِهْ، ومَنْ أحبَّ بوصفِ شادِنهِ ورئمِهْ. ومَنْ أحبَّ مِنْ نَظْرَةْ، ومَنْ لا يحبُّ إلاَّ بعد فَتْرَةْ، ومَنْ أَحبَّ لِوَصْفٍ لا يَسْتحسنُ غيرَهْ. ووَلَجْتُ بابَ التَّعريضْ، وإشارة العينِ بالتَّمريضْ. ثم جَنَحْتُ إلى المُراسلة والسَّفيرْ، وإلى طَيِّ السِّرِّ الخَطيرْ. ودخلتُ بابَ الإذاعةْ، ثم بابَ الطَّاعةْ. وخرجتُ إلى المخالفةِ والعاذِلْ، والمُساعِد من الأفاضلْ. ورأيتُ ثمَّة الرَّقيبْ، عند الواشي إلى الحبيبْ. ولقيتُ الوَصْلَ والهجْرْ، والوفاء

---

(١) الطوق: «طوق الحمامة في الإلف والأُلاّف».

(٢) الماء الكثير.

(٣) الأحمق.

(٤) سأذكر جميع أبواب كتابه «طوق الحمامة» اللفظ أو المعنى على الترتيب إجمالاً.

والغَدْرْ. والبَيْنَ والقُنوُعْ، ووجدتُ الضَّنى بين الضُّلوعْ. وخِفتُ السُّلوَّ والمنيَّةْ، وعرفتُ قُبْحَ المَعْصية الدَّنيَّةْ، ووقفتُ عند العِفَّةِ السَّنيَّةْ. ولم أبْرَح بابَها، ولا فارقتُ أعتابَها.

وأمَّا كتابُك «المُحَلَّى»، فقد دنا إلى القلبِ وتَدلَّى. وتولَّى من أمرِه ما تولَّى. ولا يزال موقوفًا على سَبيلِ الوِصَالْ، بالغُدوِّ والآصالْ، حتَّى يلقى «الإيصالْ»[1]. أكبر كُتُب الإسلامْ، في فقه الأحكامْ.

ولقد وصَّلتَ القَولْ، وجئتَ بِالعجيب والزَّوْلْ[2]. في كتاب «الفِصَلْ»، في المِلَلِ والأهواء والنِّحَلْ. وأمتعتَ أولِي الألبابْ، بـ «جمهرة الأنسابْ». وإنَّ الأعينَ والأسماعْ، لتَلذُّ بـ «مراتبِ الإجماعْ»، و«حَجَّةَ الوَداعْ». و«نقط العروسْ»[3]، و«مداواة النّفوسْ». وكتابك العجيب، المَوْسُوم بـ «التقريبْ»[4]. وسِفْرِك الماتِعْ، المنعوت بـ «الصّادِعْ»[5]. وممَّا أبهجَ السَّريرَةْ، كتابُك «جوامع السِّيرَةْ»، ورسائلك الصّغيرَةْ. ولقد أحْكَمْتَ غاية

---

(١) كتابه «الإيصال» في سبعين مجلدًا، مفقود، وهو أكبر كتبه، بل أكبر كتب الإسلام في بابه.

(٢) العجب.

(٣) نقط العروس في النوادر (مطبوع).

(٤) التقريب في حدّ المنطق.

(٥) الصّادع والرّادع فيمن كفّر أهل التّأويل من المسلمين، والردّ على من قال بالتقليد.

الإحكامْ، تصنيفك في أُصول الأحكامْ. وقَدَّمت الأُصُولَ على طَبقٍ مِنْ ذهبْ، بِقَبَسٍ ذي لَهَبْ، فسُبْحَانَ مَنْ وَهَبْ !!

وأمَّا كتابك «التَّلخيص والتَّخليصْ»[1]، فقد قرأتُه بإمعانٍ وتمحيصْ. وطالعتُ من بَعْدْ، «الرَّدَّ على الهاتف من بُعْدْ». وكذا رسالتك الباهرة، وقصيدتك الظَّاهرةْ. في الرَّدِّ على الجاحد الكَفُورْ، الملك نَقْفُورْ.

ولا سامَحَ اللهُ مَنْ أحْرَقَ تَصَانيفك الغَواليْ، وتَواليفَك العَواليْ. بتَحْريض الحاقدين، وحَسَد الحاسِدين!! أمَا عَلِم الفَجْفاج[2]، ما اشْتَمَلَت عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ وحِجاجْ!! أترى الهَوَج[3] أعارَه أثوابَهْ، والإبْعاط[4] فتحَ له أبوابَهْ!! لقد أفِكَ وافْتَرَى، وأثِمَ واجْتَرَا!! وما أحرقَ الأخْرَقُ[5] الضَّبيس[6]، سِوَى الكاغِد[7] والقراطيسْ. ولقد أبقى لهم الحَيُّ القيُّومْ، ما يسدُّ الغَلاَصِم[8] والحُلْقُومْ. وسيُرَدُّ الجَميع إلى عالم الغَيبْ، ويُكْشَف عَن قناع الرَّيبْ.

---

(١) طبع مرّات.
(٢) الكثير الكلام، المُتشبِّع بما لم يُعْط.
(٣) الهَوَج: الطَّيش والحُمق والنَّزق.
(٤) الغلوُّ في الجهل.
(٥) الحمق والطيش والعجلة.
(٦) الثقيل الروح.
(٧) الورق.
(٨) جمع غلصمة، لها معانٍ، منها: أصل اللسان، والعقدة على ملتقى اللَّهاة والمرئ.

ولله أنت! ما أشدَّ عزمَك الذي لا يَـني[1]، ومـا أرْوَعَ موقفَـك السَّني، وشِعْرَكَ الذي آنَقَني. وأنتَ تُخاطب الأوْباشَ[2]، بِربـاطـة جاشٍ[3] !!

فَإِنْ تَحْرِقُوا القِرْطَاسَ لاَ تَحْرِقُوا الَّذِي
تَضَمَّنَهُ القِرْطَاسُ بَلْ هُـوَ فِـي صَـدْرِي
يَسِـيْرُ مَعِـي حَيْـثُ اسْـتَقَلَّتْ رِكَـائِبِي
وَيَنْـزِلُ إِنْ أَنْـزِلْ وَيُـدْفَنُ فِـي قَبْـرِي
دَعُـوْنِيَ مِـنْ إِحْـرَاقِ رَقٍّ وكَاغَـدٍ[4]
وَقُولُوا بِعِلْمٍ كَي يَرَى النَّاسُ مَنْ يَدْرِي
وَإِلاَّ فَعُـوْدُوا فِـي المَكَاتِـبِ بَـدْأَةً
فَكَـمْ دُوْنَ مَـا تَبْغُـونَ للهِ مِـنْ سِـتْرِ
كَـذَاكَ النَّصَـارَى يَحْرِقُـوْنَ إذَا
عَلَتْ أَكفُّهم القُـرْآنَ فِـي مُـدُنِ الثَّغْـرِ

(١) لا يتعب.
(٢) الجهلاء.
(٣) رِباطة الجأش: ثبات القلب عند الفزع.
(٤) الرّق والكاغد: ما يكتب فيه.

وما نَقَمُوا من نَهْجِك الجَلِيلْ، إلاَّ أنك مُعْتصمٌ بالدَّليلْ. مُطَّرِحٌ للتَّاويلْ، وبعض الأقاويلْ. وما ضَرَّ تصانيفَك وقد بلغت الآفاقْ، إحْراقٌ ولا إغراقْ، بل يَدْرُسُها أهلُ العِلْمِ بِالعَشيِّ والإشْراقْ، وما دَرَسَها دارسٌ إلاَّ أفاق وفاقْ. كما قالْ، من صالْ وجالْ، في هذا المجالْ.

مـا يَضُـرُّ البحْـرَ أمسـى زاخـرًا

أنْ رَمَـى فيـه غُـلامٌ بحَـجَـرْ

كَمْ ناظرتَهُم حتَّى حَرِدُوا[١]، وبَالَحْتَهُم[٢] حتَّى قَرِدوا[٣]!! ولَكَمْ أعْوَصْتَ بالخُصوم[٤]، وأقْذَعْتَ[٥] بالفُهومْ. حين كنتَ تَصُكُّهم صَكَّ الجَنْدَلْ[٦]، وتُنَشِّقُهم[٧] نَشْقَ الخَرْدَلْ !!

تَالله ما آثرناك إلاَّ لِسَعْيِك الحَثيثْ، في نُصرةِ الحَديثْ. ونُهُوضك بالتَّجديدْ، وقد فشا التَّعصُّبُ والتَّقليدْ. وغضبك للحقِّ

(١) غضبوا.
(٢) أعييتهم.
(٣) سكتوا عِيًّا.
(٤) جعلتهم في حيرة؛ من فرط ما أبديتَ لهم من عويص العلم وشديده.
(٥) رميتهم بالسوء.
(٦) الحجارة.
(٧) تُشِمُّهم.

وأهْلِهْ، والجهد دُونَه ومِنْ أجلِهْ. ولِصِدْقِكَ ولِلْصِّدْقِ آياتْ، وعلاماتٌ ودلالاتْ. يَعْرِفها أهل التَّرسُّمْ[1]، ولا تَخْفَى على ذَوِي التَّوَسُّمْ[2] !! ولستُ فيك بِغَالي، وإنْ حَسبوا أنْ لَسْتَ بِغَالي[3]، وسأُسَارعُ إلى الحقِّ بِخَيْلي وبِغَالي[4].

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فيرمينَا بتقليدِ الرِّجالِ
كَدَاوُدِ الرِّضا وسَليلِ حَزْمٍ وغيرهما مِنَ افْراد الجبالِ
فإنَّ الحَقَّ أقْرَبُ يا خليلي مِنَ الخِلاَّنِ .. إنَّ الحقَّ غالي
وذلك نَهْجُ أصحاب المُقَفَّى[5] وأتباعٍ وأتباعٍ وآلِ[6]

وما عذَّبني شَيءٌ كَالْوَفَاءْ، لأهْلِ العرف وإخوان الصَّفاءْ. وإنَّ أولي العِلْم هم الأوْلَى، بالشُّكر على الجميلِ وأعْلَى. وإنِّي لأدعو المَوْلَى سِرًّا وعلانيَةْ، لِعُلَمَاء ثمانيَةْ. شَرْبتُ مِنْ مَعِينِ تَصَانيفِهِم حتَّى رَوِيتْ، واقتبستُ من نورِ نهجِهمْ حتّى قَوِيتْ.

(١) التتبع.
(٢) الفِراسة.
(٣) من الغلاء، ضدّ الرّخص.
(٤) جمع بغل.
(٥) صلى الله عليه وسلم.
(٦) أبيات من قصيدة كتبها في الرَّدِّ على بعض الأصحاب.

ثمانيــةٌ أُشْــرِبْتُ مِــنْ سَــيبِ عِلْمِهِــم
وما كنــتُ أَهْــوَى غيرَهــم مِـنْ ثمانيـةْ
علــيٌّ ابــن حــزمٍ والجُنَيــدُ[1] وأحمــدٌ
بِحَرَّانَ[2]، والجُعفيْ، بِأجْزا ثَمَانِيَـة[3]
مَعَ ابن الوزيرِ[4] الحِبْرِ والزَّرَعي[5] ولي
بأسْـيُوطَ شـيخٌ[6] والمنــارُ الثَّمانيَـة[7]

(١) أبو القاسم الجنيد بن محمد (ت ٢٩٧هـ)، ولكلامه وكلام السالكين من قبله ومن بعده - كالحسن البصري، ويحيى بن معاذ، وبشر الحافي، وداوود الطائيّ، والدّارانيّ، والهرويّ، والكرمانيّ - أثرٌ في تحريك القلوب وإصلاحها وقُوْتها وقوّتها، وهي من كلام الحكمة التي يؤتيها الله من يشاء ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾، ومنهم المنتفعون بالحكمة.

(٢) أحمد ابن تيمية الحرّاني (ت ٧٢٨هـ).

(٣) محمد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ، والأجزاء الثمانية: صحيحه «الجامع الصحيح».

(٤) محمد بن إبراهيم ابن الوزير (ت ٨٤٠هـ).

(٥) أبو بكر ابن قيم الجوزية الزّرعي (ت ٧٥١هـ).

(٦) جلال الدّين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ولِلّه درُّه، ما كان أعظم فضل مصنّفاته على المكتبة الإسلامية !!

(٧) مدرسة المنار، لا سيما تفسير المنار، ومجلّة المنار، أنصح بقراءتهما لأنهما من أوسع المعارف المتأخرة وأصفاها. وطالب العلم إذا انتفع بخبرة علماء عصره اختصر على نفسه وقتًا طويلاً وجهدًا كبيرًا. ولمدرسة

وسَلامٌ على المُرْسَلِينْ، والحَمْدُ للهِ ربِّ العالمينْ.

= المنار وثورتها على التقليد والخُرافة والتّعصب ونصرة الإسلام، فضلٌ على النهضة الحديثة في المشرق والمغرب ورجال الدّعوة والعلم والإصلاح، أمثال حسن البنا، وابن باديس، والإبراهيمي، وابن عاشور، والقاسميّ، وابن سعدي، ومن جاء بعدهم كالألبانيّ وسواه. كلٌّ قد مسَّه قبسٌ من منارها في التّحرر والتجديد، لا في كل شيء.

المَقامة الفَخْرِيّة

(بين المذياع والتِّلفاز)

قال أبو العينين:

حدَّث هَيُّ بْنُ بَيٍّ[1]، قال: تَساجَلَ الشَّاهِدُ والمَشْهُودُ[2]، عَلَى مَلإٍ مِنَ الشُّهُودْ. قال أحدُهما - والقومُ قعودْ -: أنا الحَقيقُ بالفَشْأَةْ[3]، لأنِّي قَبْلَكَ في النَّشْأَةْ. والفَضْلُ لِلأوَّلْ، كما قال الأوَّلْ:

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيْتُ صَبَابَةً[4]
بِلَيْلَى شَفَيْتُ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
ولَكِنْ بَكَتْ قَبْلِيَ فَهَيَّجَ لي البُكَا
بُكَاهَا فَقُلْتُ: الفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

---

(١) علَمٌ على مجهول، ويقال: هيّان بن بيَّان.

(٢) أردتُ بالشاهد: المذياع. والمشهود: التلفاز.

(٣) الفَشْأة: الفخر، من الفَشْء.

(٤) محبّة وشوقًا.

وفي أمْثَال العَوَامْ، وأثيرِ الكَلاَمْ[1]: قَديمُك نَدِيمُكْ، ونَـديمُك حَمِيمُكْ. وما أنتَ إلاَّ طَوْرٌ مِنْ أطْوَاري[2]، ووتَـرٌ مِـنْ أوتـاري. نَظَـرُوا إلى مُقتَبلِـي[3] وعُلْـوَاني[4]، وبَـدَاهَتي[5] وعُنفُـواني[6]. فَأخْرَجُوا جَسَدًا لَهُ خُوَارْ[7]، قُرُونه فوقَ الجِدَارْ[8]. كَثير الكُلْفَـةْ، ولو كان في الغُرْفَةْ.

فلمَّا سَمِعَ المَشْهُودْ[9]، كلامَ الرَّادُودْ[10]. فَكَّ مِنْ حَبْوَتِهْ[11]، وأسْرَعَ في قَوْمَتِهْ. وأنْشَدَ - وهو يَخْتَالْ - قولَ من قالْ:

مَنْ يُسَاجِلْني[12] يُسَاجِلْ مَاجِدًا يَمْلأُ الدَّلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ[13]

---

(١) مأثور الكلام.
(٢) حالٌ من أحوالي اللاَّحقة؛ لأن المذياع اُكْتُشف أوَّلاً.
(٣) حالي الأول.
(٤) عُلْواني: عنواني.
(٥) بداهتي: أوَّلي.
(٦) أوَّل تألّقي.
(٧) صوتٌ، وأصل للبقر.
(٨) المراد ما يُسمّى بالإريل.
(٩) هو التلفاز كما تقدّم.
(١٠) هو المذياع كما سلف.
(١١) احتباء الرجل يكون بجلوسه منتصب السَّاقين، ويَلُفُّ عليهما ثوبًا يحيط به.
(١٢) يفاخرني.
(١٣) البيتُ للعباس بن عتبة بن أبي لهب. والكَرَب: الحبل الذي يَشُدُّ الدَّلو.

أنا مِرْآةُ الزَّمانْ[١]، وسُلْوَانُ بني الإنْسَانْ. زادَني اللهُ بَسْطَةً في الجِسْمْ، ومَزِيْدًا في حُروفِ الاسْمْ[٢]. وزيادَةُ المَبْنَى، جَلالَةٌ في المَعْنَى[٣]. وإنَّه لأغْنَى وأقْنَى. الوُجُوهُ إليَّ ناظِرَةْ، والأفْوَاهُ نَحْوي فاغِرَةْ، والأنامُ خَلْفي ساهِرَةْ. أنْتَقي الخَبَرْ، مِمَّا بَقي وغَبَرْ[٤]. فَلَيْسَ الخَبَرُ كَالعِيانْ، يا رَفيقَ العُمْيانْ. وليس كُلُّ سَبْق فَضْلاَ، ولا كُلُّ طَلٍّ وَبْلاَ[٥]. كما قال مَنْ هَضَمْ، هذا المَعْنى ونَظَمْ.

والطَّلُّ قد يبدُو أمامَ الوَبلِ والفَضْلُ لِلْوَابِلِ لا لِلْطَّلِّ

فانْتَفَضَ المِذْياعْ، وهو مُلتاعْ. يقول: أيُّها المَاكِرُ النَّاكِرْ، والحَكَمُ الجَائِرْ. إنْ تريدُ إلاَّ أنْ تَحْجُبَ ضَوءَ الغزَالَةْ[٦]، بيَدِ الجُحُودِ والبَطَالَةْ. تُفاخِرُ بالضَّخامة والسِّمْنَةْ، وذاك مِنْ قِلَّةِ الفِطْنَةْ. وتَزْهُو بطُولِ الاسْمْ، وبَسْطَةِ الجِسْمْ. تَقْليدًا لِلْقَاعِدَةِ المَكْذُوبَةْ، والجُمْلَةِ المَخْنُوبَةْ[٧]. هل سَمِعْتَ يا ابْنَ الأتانَةْ[٨]،

---

(١) لأنه يُصوِّر الأشياء.

(٢) لأنّ اسمه (تليفزيون).

(٣) زيادة المبنى، جلالة في المعنى: قاعدة مشهورة، ولكنَّها غيرُ مُطَّردة، فقد يكون اللّفظ كبيرًا وما صدق عليه صغيرٌ، كَالْقَرَعْبَلانَة.

(٤) ذهب.

(٥) الوَبل والوابل: المطر الكثير، والطلّ يكون قبله.

(٦) الشمس.

(٧) المَخْنُوبة: الفاسدة. والمراد: الجملة التي ذُكِرَت قبلُ: وهي: زيادة المبنى دليلٌ على زيادة المعنى.

(٨) لغة في الأتان، وهي أنثى الحمار.

عن القَرَعْبلاَنةْ. أكبرُ أسْمَاءِ العالمَيْنْ، بلا مَيْنْ. لِمَا يُشْبهُ الـذَّرَّةْ، أو البُرَّةْ. وهَلْ حروفُ العَرْشِ إلاَّ ثلاثةْ، مَعْشَرَ اللُّواثَةْ[1] !

ثُمَّ إنِّي خَفيفُ المَحْمَلْ، لَطيفُ المَخْمَلْ[2]، لا يَكَادُ يَخْلُو بَيْتٌ مِنْ أنينيْ، وطَنيني ورَنينيْ، وشَجْوِي وشُجُونيْ. ولا أعْلَمُ مَنْ يَرْمي مَالِكي[3] بِالتَّحْريمْ، ولا يَبْهَتْ شَافِعي[4] بالتَّجْريمْ. فَكُلُّهُمْ يَحْنِفُ[5] إليّ، ويَحْمَدُ مَولاهُ عَلَيّ. تُلْفِيني في قَصْرِ الخَلائفِ والمُلُوكْ، وبَيْتِ الفَقيرِ والصُّعْلُوكْ. وفي يَدِ الرَّاعي لأنْعامِهْ، والبَدَوِيِّ في آجامِهْ[6]. ولَدَى الزَّارعِ في بُستانهْ، والصَّانع بين دُخَانهْ. وفي دُورِ العُلَماءْ، ومَسَاكِنِ العُظَمَاءْ. في جميع الدِّيارْ، وكُلِّ الأقْطارْ.

انْظُرْ إلى صَحْبيْ، وهُمْ قُعُودٌ قُربْيْ. يَحْمِلُونَني كَالرَّضيعْ، ويَغْدُونَ بي في كُلِّ رِيعْ. ورُبَّما عُلِّقْتُ على الأغْصَانْ، أو في مَشاكِي[7] البُنْيانْ. كما قيل:

---

(١) بِضَمِّ اللاَّمِ: الجماعة.

(٢) من الخملة، كِساء كان يُلبَّس المذياع.

(٣) مالكي: مَن يملكني.

(٤) شافعي: أعني: وجوده مع المسجل في جهازٍ واحد، يشفع به.

(٥) بكسر النون: يميل.

(٦) الأجم: كلُّ بيت مربَّع مسطَّح، والأجمة: الشجر الكثير الملتف، والجمع: آجام.

(٧) جمع مشكاة: كُوَّةٌ غير نافذةٍ في الجدار.

بِلا فِتْنَةٍ تُخْشَى ولا سُوءِ عِشْرَةٍ ولا أَتَّقي مِنْهُمْ لِسَانًا ولا يَدَا

فَدَعْ عنكَ المُخَاضَنَةْ[1]، والمُحَاشنَةَ[2] والمُخاشَنَةْ.

فَأَقْبَلَ التِّلفاز في صرَّةْ[3]، ووَقَفَ في الصُّدْرَةْ[4]. وقال: اسْمَعْ يا هَذَا، ولا تَرُغْ لِوَاذَا[5]. إنْ كُنْتَ عِلْمَ اليقينِ فأنا العَيْنْ، بِلاَ مَيْنٍ ولا غَينْ[6]. ولَيْسَ مَعَ العَيْنِ أيْنْ، أتُسَوِّي بَيْنَ النَّقْدَيْن[7]، والحاضِرِ والدَّينْ. لقد سَلَبْتُكَ كُلَّ خِلالِكْ، ومَحاسِنِ خِصَالِكْ. فَمَا مِنْ خصلةٍ إلاَّ ولي منها نَصيبْ، ولا فَضَلَ إلاَّ كان لي مِنْهُ شآبيبْ[8]. وقد صِرْتَ أيُّها الأبلقْ[9]، في عُمُومي المُطْلَقْ[10]، فما مِنْ تِلْفازٍ في هذه السَّاعَةْ، إلاَّ وفي بَطْنِهِ إذاعَةْ. بِصَوتٍ

(١) المغازلة، والترامي بالقول الفاحش.

(٢) السِّباب.

(٣) صيحة.

(٤) الصدر.

(٥) مراوغة.

(٦) بين الذهب والفضة.

(٧) ولا لَبس.

(٨) جمع شؤبوب: أوَّل المطر.

(٩) البَلَق: سواد في بياض.

(١٠) العموم المطلق، كقولك: كلّ سعوديٍّ عربيٌّ، ولا ينعكس، وهنا تقول: كلّ تلفاز مذياع، ولا ينعكس. وهناك عموم وخصوص وجهيّ.

صَدَّاحْ، في كُلِّ صَحْصَاحْ[١]. وستُصْبِحُ مِنَ المَأْثُورْ، كَبَعْضِ الخَيْتَعُورْ[٢]. تُوضَعُ في المُتْحَفْ، كَمَا يُوضَعُ القَرْطَفْ[٣].

ولم يَقُلْ بتَحْريمي إلاَّ مَنْ عَجِلْ، أوْ وَرِعَ أو وَجِلْ، وبِئْسَ الصَّاحِبُ العَجِلْ! وبَعْضُ الوَرَعِ خَجَلْ. وما أَبَرِّئُ نَفْسي، ولا أَجْحَدُ نَوْسي[٤]. والكَيِّس مَنْ أخذ نَفْعي، واتَّقَى نَقْعي[٥]. فأنا كَالسَّيْفِ ذُو حَدَّينْ، والسِّكْينِ في اليَدَيْنْ. فَمَنْ شاء فَلْيَقْطَعْ، ومَنْ شاء فَلْيَكْنَعْ[٦].

قال المِذْياع: أيُّها المُتْلِفُ لِلْعُيونْ، المُسمَّى بالتِّلفزيون. خَيرُكَ وَفيرْ، وشَرُّكَ كثيرْ. كَمْ هنالك مِنْ عيونٍ مُحْمَرَّةْ، ووجوهٍ مُصْفَرَّةْ. وأجساد وانِيَةْ، وقُلُوب عانيَةْ. وجُسُومٍ أرِنَتْ[٧]، وبُطُونٍ سَمِنَتْ. جَرَّاءَ القُعُودْ، والنَّظَرِ والشُّهُودْ. ضَعُفَتِ القَمَاحِدُ[٨] والرِّقَابْ،

---

(١) ما استوى من الأرض.
(٢) السَّراب، وكُلّ ما لا يدوم على حالة ويَضْمَحِلُّ.
(٣) القطيفة.
(٤) النّوس والنَّوَسَان: التذبذب.
(٥) غُباري.
(٦) كَنَع، كمنع: انقبض، وانضمَّ.
(٧) امتلأت شحمًا.
(٨) آخر القفا.

وَوَنيَت الجُنُوبُ والأصْلاَبْ. يا مَشْهُودَ السَّادَةِ[1] والغَوْغَاءْ[2]، ومَرَاحَ القَذُورِ[3] والبغاءْ. والمجانين والعُقَلاءْ، والخِفاف والثُّقلاَءْ. هَلاَّ سألتَ أولي الأبصارْ! لِمَ قُدِّمَ السَّمعُ[4] على الإبصارْ، في كلام الجَبَّار؟ أنا آلةُ سَمْعْ، أيُّها السِّمْعْ. والشَّيءُ يشرُفُ بآلَتِهْ، ومُتعلّقهِ وحالَتِهْ. وإنَّما شَرُفْتُ بِذلِكْ، ولم تَشْرُفْ به هنالِكْ. لأنَّي خُصِصْتُ بالإسْماعْ، بالإجْماعْ. والسَّماع لك عَرَضٌ وإنْ تَجَوْهَرْ[5]، والنَّظر فيك جَوهَرٌ وإن تَجَهْوَرْ[6]. وممَّا زادني شرفًا وفخراً، وطِيبَ ذِكْرٍ وذِكْرَى. أنَّني أضمُّ بَيْنَ الأحْضَانْ، إذاعَةَ القُرْآنْ. وإذاعةَ نداء الإسلامْ، المناديةَ بالسَّلام. وقد بقي في الجَعْبَةْ[7]، ما يَغيظُ وربِّ الكعبةْ! والحُكْم لله العَليِّ الكبيرْ، وهو نِعْمَ المَوْلَى ونِعْمَ النَّصيرْ.

---

(١) الأشراف.

(٢) الجهلة.

(٣) المرأة التي اعتزلت الرجال.

(٤) الذِّئب.

(٥) وإن كان موجودًا بالأصالة، لكن الأصل الجلوس للتلفاز المشاهدة.

(٦) وإن صار مجهورًا به، أي: مصحوبًا بصوتٍ.

(٧) الكِنانة التي فيها الرِّماح، والعامّة يضمّون الجيم، وهو لحنٌ.

المَقامَة الأعْرَابيّة

قال أبو العينين:

خُيِّلَ إليَّ أنَّني لَقيتُ بِبَاب[1] خَرابْ، رَجُلاً مِنَ الأعْرابْ. مِـنْ بادِيَـةِ ذي الرُّمَّـةِ غَـيْلانْ[2]، غَـيرُ طَويـلٍ مُشْـعَانْ[3]. يَمِيـلُ إلى القَمَاءَةِ[4] والقَلاَشَة[5]، فسلَّمتُ عَلْيهِ تَسْلِيمَ البَشَاشَةْ. فَرَدَّ التّحيَّةْ، وتَكَلَّمَ بأرْيَحِيَّة[6]. وجاءَتْنا الخادِمُ[7] تَمْشي عَلَى رِسْـلْ، بِقَعْـبينِ مِـنْ رِسْـل[8]. وتَحادَثْنـا حَتَّـى انْـدَفَعَ الإيحَـاش[9]، وسَـرَى في عُرُوقِنـا الانْتِعَـاشْ. ولم يَـكُ يَفْهَـمُ الخِطَـابْ، إلاَّ بالفَصَـاحَةِ والإعْرَابْ.

---

(١) خراب.

(٢) غيلان ذو الرُّمَّة، شاعرٌ أمويٌّ، معظم شِعْره مُشْتمل على ألفاظ أهل البادية، لا سيما وصف الصحراء والإبل والقفار.

(٣) منتفش الشعر، ثائر الرأس.

(٤) القَماءة: الصِّغرُ والذُّل.

(٥) القلاشَة: الصِّغر والقِصَر.

(٦) بسخاء.

(٧) يقال للمرأة التي تخدم: خادم وخادمة.

(٨) بإناء من لَبَن.

(٩) الوحشة.

فقلتُ لَـهُ: أنْـتُمْ مَعْشَـرَ الأعْـرابْ، وسـاكِني البَـدْوِ واليَبَـابْ. مَسَـــاويكُ اللِّســـانْ، ومَعْجُـــونُ الأسْـــنان[1]. أســـاتِذَةُ ابـــنِ قُرَيب[2]، في الغَريبِ بِلا رَيـبْ. ومِـنْكُمْ تَلَقَّـنَ وَاضِـعُ اللِّسـانْ، عَمْـــرُو بْـــنُ عُثْمـــان[3]. وصـــانعُ وزْنِ القَصـــيدْ، فَتَـــى فَرَاهِيد[4]. والعالِمُ البِرْعِيْس[5]، محمَّدُ بْـنُ إدْرِيْـس[6]. وسَـحْبَانُ وائِل[7]، وغَيرُهُمْ مِنَ الأوَائِلْ.

وإلَيْكُمْ يَخْتَصِمُ النَّـاسْ، لِتَحْكُمُـوا بالقِسْـطَاس[8]. فَتَحْكُمُـونَ بالسَّـوِيَّةْ، وتَعْـدِلُونَ في القَضِـيَّة. وتُقْسِـطُونَ ولا تَقْسِـطُون[9]، وتَعْدِلُونَ ولا تَعْدِلُون[10].

(١) كناية عن أنهم يرجعون لتصحيح النطق بالألفاظ.

(٢) عبد الملك بن قُريب الأصمعيّ (٢١٦هـ)، روى عن الأعراب شيئًا كثيرًا.

(٣) أبو بشر عمرو بن عثمان (سيبويه)، واضع علم النحو (١٨٠هـ).

(٤) الخليل بن أحمد الفراهيدي، واضع علـم العـروض وشـيخ سـيبويه (ت ١٧٠هـ).

(٥) الصبور.

(٦) محمد بن إدريس الشافعيّ، أحد الأئمة الأربعـة، حُجّـة في العربيـة (ت ٢٠٤هـ).

(٧) سحبان وائل: خطيبٌ يُضْرَب به المثل في الفصاحة والبلاغة (ت ٥٤هـ).

(٨) بالعدل.

(٩) يقال: قسط: إذا جار، وأقسط: إذا عدل، فالهمزة فيه للإزالة.

(١٠) تَعْدِلُون في الحكم، ولا تَعْدِلُونَ عَن الحقِّ.

يُقالُ: إنَّكَمْ حَكَمْتُمْ بَيْنَ الْكِسَائيِّ وعَمْرٍو[1]، في بَعْضِ الأَمْـرْ. أعْني: مَسْأَلَةَ الزُّنْبُورِ والعَقْـرَبْ[2]، وكُنْـتُمْ إلى الكِسـائيِّ أقْـرَبْ. ولم تَقْدِرُوا عَلَى المُصَارَحَةْ، في تِلْكَ المُطَارَحَةْ. وقُلْتُمْ في وَجَلٍ وخِيفَةْ: القَوْلُ ما قالَ ذُو الكُوفَةْ. فَاغْتَمَّ لِذلكَ سِـيبَوَيْهْ، ونَكَـصَ عَلَى عَقِبَيْهْ. وانْطَلَقَ إلى العَرَاءْ[3]، وهو مِنْ قَوْلِكُمْ بَـرَاءْ. وغَـصَّ حينَهَا بِرِيقِهْ، وقَضَى[4] في طَرِيقِهْ. وبَقِـيَ النَّـاسُ في لَيْـتٍ ولَـوّْ، وأكثرُ النّاس بَوّْ[5].

ولَقَدْ صَوَّرَ ذلك النَّاظِمْ، أبو الحَسَنِ حازِمْ[6]. تَصْـوِيرًا يَنْخَلِـعُ له الفُؤَادُ حُزْنًا، وتَسِيلُ لَهُ الدُّمُوعُ مُزْنًا[7]. ونَقَلَ أبياته ابـنُ هشـامٍ

(١) سيبويه.

(٢) المسـألة الزُّنْبُورِيَـة: نِسْـبة إلى الزّنْبُـور، مسـألةُ محاجَّـة بـين الكسـائي وسيبويه، يقال: إن الكسائي أراد تغليط سيبويه، فقـال لـه: كيـف تقـول في: كنتُ أظنّ أن الزّنبور أشدّ لسعةً من العقرب، فإذا هو إيّاها، أم فـإذا هو هي؟ فقال سيبويه: فـإذا هـو هـي. فغَلَّطَـهُ الكسـائيّ، فـاحتكموا إلى الأعراب، ولُقِّنوا أن يوافقـوا الكسـائيّ، فـاغتمَّ سـيبويه لـذلك، ومـات بعدها. وحياكة القِصَّة فيها ما يشير إلى الوَضْع !

(٣) فضاء الصحراء.

(٤) مات.

(٥) البَوّ: له معانٍ، منها: الأحمق، قال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

(٦) حازم بن محمد القرطاجني، أديب من العلماء، له شعر (٦٨٤هـ).

(٧) المُزن: المطر.

الأريْبْ، في «مُغْنِي اللَّبيبْ». وقَدْ أحَسَنَ فيها ما شاء، وقـال في آخِرِ الإنشاءْ:

والعُرْبُ قَدْ تَحـْذِفُ الأخْبَـارَ بَعْـدَ إِذَا
إذَا عَنَـتْ فَجْـأةَ الأمْـرِ الَّـذِي دَهَمَـا

وَرُبَّمـــا نَصَـــبُوا لِلْحَـــالِ بَعْـــدَ إذَا
ورُبَّمـا رَفَعُــوا مِــنْ بَعْــدِها رُبَمَـا[1]

فــإنْ تَــوَالَى ضَــمِيرَانِ اكْتَسَــى بِهِمَـا
وَجْـهُ الحَقِيقَـةِ مِـنْ إشْـكالِهِ غَمَمَـا[2]

لِــذاكَ أعْيَــتْ عَلَــى الأفْهَـام مَسْـألَةٌ
أهْدَتْ إلى سِيْبَوَيْهِ الحَتْفَ والغُمَمَـا[3]

قَدْ كانَـتْ العَقْـرَبُ العَوجـاءُ أحْسِـبُها
قِدْمًا أشَدَّ مِـنَ الزُّنْبُـورِ وقْـعَ حُمَـى[4]

---

(١) بتخفيف الباء.
(٢) أي: خفيت الحقيقة.
(٣) جمع غُمَّة.
(٤) جمع حُمة: السُّمّ.

وفي الجَوَابِ عَلَيهَا هَلْ إذا هُوَ هِي
أو هَلْ إذا هُوَ إيَّاها قَدِ اخْتَصَمَا
وخَطَّأ ابنُ زيَادٍ[1] وابْنُ حمزةَ[2] في
ما قال فيها أبا بِشْرٍ[3] وقَدْ ظَلَمَا
وغَاظَ عَمْراً عَلِيٌّ في حُكُومَتِهِ
يا لَيْتَهُ لم يكُنْ في أمْرِهِ حكَمَا
كَغَيْظِ عَمْرٍو عَلِيًّا[4] في حُكُومَتِهِ
يا لَيْتَهُ لم يكُنْ في أمْرِهِ حكَمَا
وفَجَعَ ابْنُ زيَادٍ[5] كُلَّ مُنْتَخِبٍ
مِنْ أهْلِهِ إذْ غَدَا مِنْهُ يَفيضُ دَمَا

---

(١) المراد به الفرّاء، واسمه: يحيى بن زياد.

(٢) عليّ بن حمزة الكسائي.

(٣) كنية سيبويه.

(٤) المراد بعمرو وعلي في هذا البيت: عمرو بن العاص، وعلي بن أبي طالب، وفي البيت السّابق: سيبويه وعلي الكسائي.

(٥) الفرّاء.

كَفَجْعَـــةِ ابـــنِ زيَـــادٍ كُـــلَّ مُنْتَخِـــبٍ
مِـنْ أُهْلِـهِ إذْ غَـدَا مِنْـهُ يَفـيضُ دِمَـا[1]
وأصْـــبَحَتْ بَعْــدَهُ الأنْقَــاسُ[2] بَاكِيَــةً
في كُلِّ طِرْسٍ[3] كَدَمْعٍ سَحَّ وانْسَـجَمَا
وليس يَخْلُو امْرُؤٌ مِنْ حاسِـدٍ أضِـمٍ[4]
لولا التَّنافُسُ في الـدُّنيا لَمَـا أضِـمَا[5]
والغَبْنُ في العِلْمِ أشْجَى مِحْنَةٍ عُلِمَـتْ
وأبــرَحُ النَّــاسِ شَـجْوًا عـالِمٌ هُضِـمَا

كُلُّ ذلك والأعْرابيُّ ينتـفُ إبْطَـهْ، ولا يُظْهِـرُ الغِبْطَـةْ. فقلـتُ: ما لكَ أيُّها البادْ، أنا في وادٍ وأنتَ في وادْ؟!

---

(١) بكسر الدّال، جمع، والذي قبله بالفتح، مفرد، والذي وجدته في النسخ المطبوعة الفتح في اللّفظين..
(٢) جمع نِقْس: المداد.
(٣) صحيفة.
(٤) حاقد حاسد.
(٥) غَضِبَ.

فقالَ: بَلْ سَمِعْتُ هذهِ المُحاضَرَةْ، يا ذا الحاضِرَة. ولكِنَّني في شَكٍّ مِنْ حِيَاكَةِ الحِكَايَةْ، وتَفَاصيلِ الرِّوايَةْ. نَبِّئْني بإسْنادِها بعِلْمْ، ولا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمْ. لا تَقُلْ: هَذا خَبَرٌ مَشْهُورٌ عَلَى الألْسنَةْ، نَقَلَهُ فُلانٌ واسْتَحْسَنَهْ. فَما كُلُّ مَشْهُورٍ صَحيحْ، قلتُ: وَبَعْضُ المَشْهُورِ صَحيحْ.

فَقَال بِصَوْتٍ عالْ - بَعْدَ نَحْنَحَةٍ وسُعَالْ -: هَذِهِ جُزْئِيَّةْ، يا أخا الكُلِّيَّةْ. قلتُ: سُبْحانَ الله! أعْرابيٌّ يَنْطِقْ، بمُفْرَدَاتِ المَنْطِقْ. فَزَهْزَقَ[1] حَتَّى استَلْقَى، واسْلَهَمَّ[2] حين اسْلَنْقَى[3]. ثُمَّ نَهَضَ وقالْ، إنَّ البالْ، في بَلْبَال وبلْبَالْ[4]. وكَيْفَ لا آسَى[5]، وقَدْ جَعَلْتُمُونا عَصَا مُوسَى، تَلَّقَفُ ما يَأفِكُونْ، وتَلعَقُ ما تَسْفِكُونْ!!

ثُمَّ عَادَ إلى رَحْلِه، وانْقَلَبَ إلى أهْلِه. وقال: إلى اللِّقَاءْ، عِنْدَ شَجَرِ الآءْ[6].

---

(١) زَهْزَقَ: أكثرَ من الضَّحك.
(٢) اسْلَهَمَّ: تغيَّرَ لونه..
(٣) اسْلَنْقى: استلقى على ظهره.
(٤) همّ ووسواس.
(٥) لا أحزن وأتوجّع.
(٦) نوع من الشّجر، مفرده: آءة.

المَقامَة التّمهْذليّة

(بين تميميّ وهُذليّ)

قال أبو العينين:

اِلْتَقَى هُذَلِيٌّ فَتًى مِنْ تَمِيمْ، عِنْدَ كُرَاعِ الغَمِيمْ[1]. قال التَّميمِيُّ: كيف الحالْ؟[2] قال الهُذليُّ: ما هَذَا السُّؤالْ، أيَّها السِّحلالْ[3]؟ تَسْأَلُني فَلَطَا[4]، وأمْرًا خائبًا فُرُطَا! وجَبَذَ[5] بِيَدِهِ العَجُوزْ[6]، قائلاً: إنَّ هَذَا لا يَجُوزْ، ولولا أنَّك شَبَخٌ[7] عَجُوزْ. لفقأتُ عينَكْ، حتَّى تُبْصِرَ حَيْنَكْ[8]!

---

(١) الغَميم: وادٍ، أمام عُسفان بثمانية أميال.

(٢) الحال: المرأة، في لغة هذيل، وهذه اللَّفظة هي عقدة هذه المقامة، التي بُنيت عليها المشكلة بين الهذليِّ والتميميِّ.

(٣) كبير البطن.

(٤) فجأة، في لغة هذيل.

(٥) لغة في جذب، لدى التَّميميِّين.

(٦) اليد اليُمنى.

(٧) هو الشيخ في لغة هذيل.

(٨) موتك.

قال التَّمِيمِيُّ - وكأنَّما صُقِعَ[١]، أو دُفِعَ فصُرِعْ -: وَيْلَكْ! عِنِّي[٢] لَمْ أَقُلْ هُجْرَا[٣]، ولا فَعَلْتُ حِجْرَا[٤]. أفلِطْ[٥] يَدِيْ، أيُّها الرَّدِيْ. فإنِّني وإنْ كُنْتُ قَحْمَا[٦]، أَكْنَزُ مِنْكَ لَحْمَا. وأشدُّ بَأسَا، وأعظمُ فأسَا، وأصْلبُ رأسَا. وما أنتَ إلاَّ رَبَذة[٧] البِعِير[٨]، أو نُخالةُ الشِّعير[٩]! وجاءت سَيَّارةْ[١٠]، فاسْتَقْدَمَهُم بالإشارةْ. قال الهذليُّ - وهو في ذُعْرْ -: أيُّها العُبْر[١١]، اُحْكُمُوا بَيْنَنا بالحقِّ ولا تُشطِطُوا، وأقسِطُوا ولا تَقْسِطُوا[١٢]. إنَّ هذا الرَّجُلَ السَّبندَى[١٣]، فَعَلَ شَيئًا إدًّا[١٤]. تَخِرُّ مِنْهُ الجَعَاميس[١٥]،

---

(١) صُقِعَ بمعنى: صُعِقَ عند التَّميميّين.
(٢) عِنِّي: أصلها: إنِّي، والتميميُّون يبدلون مثل هذه الهمزة عينًا.
(٣) قولاً فاحشًا.
(٤) حرامًا.
(٥) أي: أفلت.
(٦) الشيخ الهَرِم الكبير.
(٧) هي الصُّوفة أو الخِرْقة التي يُطلى بها الجمل الأجرب، وهي لفظة تميمية.
(٨) بكسر الباء، على لغة تميم.
(٩) بالكسر أيضًا.
(١٠) جماعة تسير.
(١١) الجماعة في لغة هُذيل.
(١٢) أقسط بمعنى: عَدل وأزال الظلم. وأما قسط: فمعناه: جار وظلم.
(١٣) الطويل في لغة هذيل.
(١٤) عظيمًا.
(١٥) النخل في لغة هذيل.

الطِّوالْ، وتَنْفَطِرُ له مَنَاكِلُ[١] الجِبَالْ. يَسْأَلُني عَـنِ الحَـالِ بوقاحـةٍ وجُرأةْ، يسألني واللهِ عَنِ المَرْأة !

بِأَيَّـة عُــرْفٍ أَمْ بـأيٍّ مُـــرُوءَةٍ
تَسَلْ[٢] أَيُّها المِسْكينُ عَـنْ عَـوَرَاتي[٣]؟!
إذا زَالَ مِـنْ وَجْـهِ الحَيَـاءِ إشَاحُـهُ[٤]
تخـوَّفَ[٥] ذَاكَ الوَجْـهُ في لحَظَـاتِ
ألاَ فَسَلُوا[٦] هَذَا السَّميجَ[٧] عن الـذِي
أَبَـانَ بـه جَـهْـرًا عَـلَـى الطُّـرُقَـاتِ !!

وجَعَـلَ يَشْـعُرْ، مِـنْ حَيْـثُ لا يَشْـعُرُ[٨]. والقَـوم في ضَـحِكٍ وقَرْقَرةْ، وعَجَبٍ وكَرْكَرةْ. فازْدَادَ غَيْظُ الهُذَليِّ وتَنمَّرْ، وجاشَ مِنَ

(١) جمع مَنْكَل، وهو الصخر في لغة الهذليين.
(٢) بإسقاط الهمزة، لغة هذيل.
(٣) بفتح الواو، هُذَلِيَّة.
(٤) الإشاح: لغة في الوشاح، هُذَلِيَّة.
(٥) تنَقّص، ومنه قوله تعالى في سورة (النحل): ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾.
(٦) بإسقاط الهمزة، لغة هذيل.
(٧) السّميج: الذي لا ملاحة له، في لغة هذيل، وأعني به سؤاله عن (الحال).
(٨) أي: يقول الشعر من حيث لا يدري.

الحَنَقِ[١] وتَسَعَّرْ. قالوا: أيُّها الرُّجلْ، إنَّك لَوَجلٌ عَجِلْ. يكفي أنْ نقولَ: إنَّكَ عريضُ القفَا، وحَسْبُك بهذا وكفى. إنَّه يَسْألُ عن ذَاتِكْ، لا عَنْ شَرِيكَةِ حيَاتِكْ. فَلَيْسَ في لِسَانِ العَرَب والبَربَرْ، إطلاقُ الحَال على ذاتِ المِحْجَرْ. أصْلَحَ اللهُ بالَكْ[٢]، وشَفى بَلْبَالَكْ[٣]. وأَقْصَى خالَكْ[٤]، وأرَاكَ عِيَالَكْ!! فَصَرَخَ التَّميميُّ وضَرَبَ بالمِحْجَنْ[٥]، وقالَ: واللهِ كِدتُ أُجَنّْ. والحَمْدُ للهِ الذي نَجَّاني مِنَ القَتْلْ، وأنْقَذَني من البَسْلْ[٦]. وذُهُول هذا الهُذليّ، عن اخْتِلافِ لسَانِهِ ومِقْوَلِي!! ما هَذِهِ الغُلْظَةْ[٧]، التِي أصَابَتْني بكَظَّةْ[٨]. أفزعْتني بمَخُوفْ، حتَّى صِرْتُ كالمدْوُوفْ[٩]؟! تاللهِ ما أنتَ إلاَّ صَاحِبِ تَوْهيق[١٠]، ضَلِلْتَ[١١] عَنْ سَوَاءِ الطَّرِيقْ.

---

(١) الغضب.

(٢) عقلك.

(٣) همّك.

(٤) ظنّك وتوهمك.

(٥) العصا.

(٦) الهلاك.

(٧) بضم الغَين، لغة تميم.

(٨) كرب وجهد.

(٩) المعلول أو المسحوق، والقياس: مدوف، ولكن التميميين يقولون ذلك، كما يقولون أيضًا: مَدْيُون ومَزْيُون ومقوُود.

(١٠) يقال: توهَّق فلانٌ فلانًا في الكلام: إذا اضطرَّه إلى ما يَتَحَيَّر فيه.

(١١) بكسر اللام، لغة تميم.

كيف لي أن أسألَ عن الزَّوجةْ[1]، ولَمْ أرَكَ قبلُ في وادٍ ولا لُجّةْ. ولا أكلتُ معك في جَفنَةٍ أو صَحْفَةْ[2]، ولا لقيتُكَ ضُحًى أو سُدْفَةْ[3]؟! إنَّ هذا لشيءٌ عُجابْ، ما سَمِعْنا بِهِ ولا قَرَأناه في كتابْ. ولم نِعْهَدْه[4] في جدٍّ ولا لِعابْ! ضيقتَ عليَّ الأرضَ بما رَحْبَتْ[5]، وهَلَكْتَ[6] نَفْسي بِلا رَحْمَتْ[7]. أين أنتَ أيُّها الغافلْ، عن خُلُقِ ابن غَافلْ[8]؟ عليه الرَّحمةُ والرُّضوان[9]، في كلِّ وقتٍ وأوانْ. صَاحِبُ العِلْمِ والحِكَمْ، الرَّامي أفْلاَطُونَ

(١) الأفصح: زوج، والتميميون يقولون: زوجة.

(٢) الجَفْنة: القَصْعة الكبيرة، والصحفة نحوها.

(٣) السُّدْفَة: الظُّلمة، لغة تميمية.

(٤) بكسر النون، وأهل تميم يكسرون أول المضارع في نحو هذا.

(٥) بسكون الحاء، على لغة تميم.

(٦) يقول التميميُّون: هَلَكَني، وهَلَكْتني، والمشهور في اللّغات الأخرى: أهلكني وأهلكتني.

(٧) بالتاء المفتوحة، وقريشٌ وسائر الحجازيين يَقِفُون - في مثل هذا - بالهاء، وقد رُسِمَت كثير من التاءات في القرآن على التاء المفتوحة، ومن ذلك: ﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣١]، ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ [هود: ٨٦].

(٨) عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، الصحابي الجليل، المشهور بالفقه والزهد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (ت: ٣٢هـ).

(٩) الرُّضْوَان: ضِدُّ السُّخْط، بضم الرّاء، على لغة تميم.

بالبَكَمْ[1]. وعَالِي الرُّتبةْ، عَبْدُ الله بن عُتْبةْ، مُفْتي طَيْبةْ[2]. وعظيم الشَّأنْ، القاسم بن مَعْنْ[3]. والهُـذليُّ بـالوَلاءِ المَنْقُـولْ، التَّـابعيُّ مَكْحُولْ[4]. والشُّعَرَاءُ البَوَاقِعْ، والفُصَحَاء المَصَاقِعْ: أبو ذُؤَيْب[5] وأبو بَكْرْ[6]، وأبو خِراشٍ[7] وأبو صَخْرْ[8]. والشَّاعِرُ الفَحْلْ، أبو كبير بن سَهْلْ[9].

فَتَهَلَّلَ وَجْهُ الهذليِّ وبَـرَقْ، وهَـدَأَتْ سَـورَتُه[10] وَرَقّ. وإنَّمـا دَوَاءُ العَرَبيِّ وشفاؤهْ، أن يُـذْكَرَ لـه آبـاؤُهْ. وأنْ يُشَـبَّهوا بـالنُّجُومِ

---

(1) أفلاطون: .

(2) مفتي طيبة: عبد الله بن عتبة بن مسعود، مفـتي المدينـة، وأحـد الفقهـاء السبعة (ت ٩٨هـ).

(3) القاسم بن معن المسعودي الهذلي، قاضي الكوفة، من حفاظ الحديث (ت ١٧٥هـ).

(4) مكحول الشّامي، فقيه كثير الإرسال، توفي سنة بضع عشرة ومئة.

(5) خويلد بن خالد بن محرث الهذلي، شاعر فحل، مخضرم، توفي نحو ٢٧هـ.

(6) سُلمى بن عبد الله، وقيل في اسمه: رَوح. أخباريٌّ (ت: ١٦٧هـ).

(7) خويلد بن مُرّة خراشة بن عمرو الهذلي، شاعرٌ مخضرم، وفارسٌ فاتك، توفي نحو ١٥هـ.

(8) عبد الله بن سلمة، شاعرٌ من الفصحاء، وكان مواليًا لبني مروان، متعصبًا لهم (ت ٨٠هـ).

(9) شاعرٌ مخضرمٌ، (ت ١٥هـ) تقريبًا.

(10) حدّة غضبه.

الطَّوالعْ، والبُدُور اللَّوامعْ. فاتَّقَدَ خاطرُهْ، وتقلَّبَ ناظرُهْ. وقال: سأردُّ على ثنائكَ بِثَناءْ، وأرفِدُه بِسَنًا وسَناءْ. وسأكون لك يا ابْنَ تميمْ، مِثْلَ أخٍ حَمِيمْ. وأذكُرُ أسلافَكَ الأسَاودْ[1]، وآباءكَ الأماجدْ. فأعِينُوني بِقُوَّةْ، يا أُولي القُوَّةِ والفُتُوَّةْ. ثُمَّ أَلْقى السَّمعْ، إلى ذلك الجَمْعْ. فَجَمَعَ ما قالوا في صَدْرِهْ، ثم نَظَمَهُم في شِعْرِهْ.

إنّ التَّمِيمِيِّينَ بينَ النَّاس
كَذَهبٍ أو جَوْهَرِ الأَلْمَاسِ
مِنْهُم أَبُو عَمْرٍو فَتَى العَلاء
وابْنُ المُبَارِكِ عَلَى وَلاءِ[2]
وأَكْثَمٌ وأَقْرعٌ وابنُ شُمَيلْ[3]
والزِّبْرِقَان وابنُ عَمْرٍو والفُضَيلْ[4]

---

(١) الأجلاَّء.

(٢) أبو عمرو بن العلاء البصري، أحد القراء السبعة (ت ١٥٤هـ). وابن المبارك، هو عبد الله، التميميّ بالولاء، الإمام المشهور (ت ١٨١هـ).

(٣) أكثم بن صيفي، حكيم العرب في الجاهلية (ت ٩هـ). والأقرع، هو ابن حابس المجاشعيّ، صحابيٌّ، ومن سادات العرب في الجاهلية (ت ١٣هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وابن شميل، هو: النضر المازني، أحد أئمة اللُّغة، أخرج له أصحاب الكتب التسعة (ت ٢٠٣هـ).

(٤) الزّبرقان بن بدر السَّعديّ، صحابيّ، من رؤساء قومه، شاعر فصيح (ت ٤٥هـ) تقريبًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وابن عمرو هو القعقاع، أحد الفرسان =

وصَـاحِــــبُ التَّـوحيــــدِ ذُو التَّجْـــدِيدِ

والـمُـوصِلـــيُّ، وعَـــدِيُّ زيـــدِ[1]

والـشُّـــعَرَاءُ: مَـالِــــكٌ، وقَـطَـــــريُّ

ورُؤْبَـــــة والـــــدَّارِمِي والمِنْــقَرِيُّ[2]

ثُمَّ قام فَنَحَرَ قَلُوصَهْ، وقـال: دَوَاءُ الشَّـقِّ أن تَحُوصَـهْ[3]. وقَـدْ قَسَوْتُ عَلَيْكَ في الطَّغْيِ[4]، وتَجَاوزتُ في البَغيْ. ويَـوم تَـأتِ[5]

= المخضرمين، لـه صُـحبة، وكـان شـاعرًا فحـلاً (ت ٤٠هــ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
والفضيل هو ابن عياض، من كبار العُبّاد وأئمة الحديث، جـاورَ بمكـة، وتوفي بها (سنة ١٨٧هـ).

(١) صاحب التوحيد، هو: محمـد بـن عبـد الوهـاب، الإمـام المُجَـدِّد (ت ١٢٠٦هـ). والموصلي، هو: أبو يعلى، صاحب المسند (ت ٢٠٧هــ). وعديّ بن زيد، هو: العبّادي، شاعرٌ من دهاة الجاهليين (توفي نحـو ٣٥ ق. هـ).

(٢) مالك، هو: ابن الرّيب المازنيّ، شاعرٌ فاتكٌ، رُوِيَتْ عنه أخبارٌ في قطـع الطريق مُدّة (ت ٦٠هـ). وقَطَري، هو: ابـن الفُجَـاءة المـازنيّ، خطيـبٌ شـاعرٌ مـن رؤوس الأزارقـة الخـوارج (ت ٧٠هــ). ورُؤْبـة، هـو: ابـن العَجَّـاج، الشـاعر المشـهور (ت ١٤٥هــ)، وتـوفي أبـوه (٩٠هــ). والدّارميّ، هو: المسكين، شـاعرٌ مـن أشـراف التميـميين (ت ٨٩هــ). والمنقريّ، هو: اللّعين، سمعه عمر بـن الخطـاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ينشـد شـعرًا والناس يُصَلُّون، فقال: من هذا اللَّعين؟ فَعَلِقَ به (ت ٧٥هـ).

(٣) الحوص: الخياطة، وهذا مثلٌ يضربُ في رَتْقِ الفَتْق، وإطفاء الفتنة.

(٤) الصوت، بلغة هذيل، والأبيات من نظمي في «ما هبّ ودبّ».

(٥) بحذف الياء، على لغة هذيل، مثل: لا أدر، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود: ١٠٥].

إلى دِيَارِنا، وتَحلُّ بِرِحَالِنا، وتأكُلُ مَتَى[1] طعامِنا. تَجِدْ كُلَّ إكْرامْ، مِنْ إخوةٍ كِرامْ. وما تَفَرَّقُوا إلاَّ مِنْ بعد عِناقْ، وانْحِدَارِ الدَّمْعِ مِنَ الآماقْ، وزَفَرَاتِ الحَسَرَاتِ مِنَ الأعْماقْ. وقال التَّمِيمِيُّ: سأدْعُو لك في وِتْرِي[2] وصَلاتي. وقال الهُذَلِيُّ: لَنْ أنْسَاك مَحْيَايْ[3] ومَمَاتي. وقال مَنْ هَوَى مِنَ الأفئدةْ[4]: سُبْحَانَ مُقَلِّب الأفئدة! وسَأَلُوا المَوْلَى لِلْهُذَلِيِّ أن يُسْعِدَهْ، ولِلتَّمِيمِيِّ أنْ يُرْفِدَهْ[5].

(١) متى: بمعنى: مِن، في لغة هذيل.
(٢) بكسر الواو، لغة تميم، وغيرُهم بالفتح.
(٣) بإسكان الياء، لغة هذيل، وقرأ بها نافع باختلاف عنه.
(٤) أي: مَن نزل في ذلك المكان من الناس، كقوله تعالى: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم: ٣٧].
(٥) يهَبُ له رِفدًا (عطاءً).

المَقَامَة الدُّرَيْدِيّة

وهي نثرٌ للقصيدة البديعة المعروفة بـ (مقصورة ابن دُريد)

قال أبو العينين:

يا ظَبْيَة تَرْعَى بين الأشجارْ، ألا تَـرَيْ رأسـي المُشـابه للنَّهـارْ. فكان كاللَّيلِ البهيم[1]، حَلَّ فيه شُعاعٌ عَميمْ. وغاضَ ماءَ الشِّرَّةِ[2] والمِرَّةْ[3]، حُزني مرَّةً بعد مرَّةْ. وآضَ[4] رَوضُ لَهْـوي ذاويـا[5]، بعد ما كان عَلَى الرِّيّ ثاوِيَا[6]. وضَرَّمَ[7] النَّأْيُ[8] الألـيمْ، جَـذْوَةً (بتثليث الجِيمْ). تَسْفَع أثناء حَشَاي[9]، حتى جَفا الكَرَى عَينـاي. وكُلُّ ذلك مُطَّرَحْ، في جَنب ما أبقاهُ النَّوى واطَّرَحْ. وكُـلُّ غُصْـنٍ

(١) المظلم.

(٢) من الحدّة والنشاط.

(٣) القوّة.

(٤) كصار، وزنًا ومعنًى وعملاً.

(٥) ذابلاً.

(٦) مقيمًا.

(٧) أشعل.

(٨) البُعد.

(٩) تحرق وسط حشاي.

إذا ذَوَى، غُناماه[1] نَفادٌ وتَوَى[2]. فَفِي كُـلٍّ مَصَّـةْ، تُجْرِضُـني[3] غُصَّةْ. إنْ مَنَع التَّجلُّدُ مِنَ الـدَّمْعْ، فالقلـبُ مَوقـوفٌ علـى سُبُل الهَمْعْ. مَنزلة يأباهـا الأريـبْ، والعاقِـلُ الأديـبْ. شَـيمُ سـحابٍ خُلَّبْ[4]، ومواقفُ قُلَّبْ. وجدٌّ يلاقي العذابْ، وحالٌ لا ترضـى بها الضِّبـــــاب[5]. أرمِّقُ[6] العيشَ علـى بَـرْضٍ[7] عَنيـدْ، أمَّـا الارْتِشافُ فبَعِيدْ.

اتَّئدْ[8] يا دهرُ إنْ لَمْ تَكُ عُتْبَى، فَسَوَاءٌ عليَّ إرْوادُكَ[9] والعُتْبَى. رفِّهْ[10] عليَّ فقد طال النَّصَبْ، واسْتَبْقِ بَعْضَ غُصْـنٍ كَالحَطَـبْ. لا تحسبَنِّي ضـارعًا لِنَكْبَـةْ، تَعْـرِقُني عَـرْق حَرْبَـةْ. مارَسْـتَ مَـنْ لَو هَوَتْ عليه الأفلاكْ، لم يُنادِ بالهَلاكْ. لكنَّها نَفَثةُ مَصْدُور[11]،

(١) منتهى أمره، وكذلك حُمَاداه وقُصَاراه.
(٢) هلاك.
(٣) تقف في حلقي.
(٤) كاذب.
(٥) جمع ضبٍّ.
(٦) أسدِّ.
(٧) شيء قليل.
(٨) تأنّ.
(٩) رفقك.
(١٠) خفّف عنِّي، وأنلني الرَّغد.
(١١) تفلة مصابٍ في صدره.

تُخْرِجِ ما في الصُّدورْ. ما كنتُ أدري أنَّ القضاءْ، يَقْذِفني في فَضاءْ. وتلك عادة الزَّمانْ، وما يُبليه الجديدانْ[1]. إنَّ امْرَأَ القَيس[2] وابنَ أبي الجبْرْ[3]، ساقَهُما الأملُ إلى القَبْرْ. وكذلك ابن الأشجِّ[4] وابن المُهلَّبْ[5]. والوضّاحُ[6] المغلَّبْ. فهل أنا بِدْعٌ مِنْ عَرانينْ[7]، جارت عليه صُروفُ[8] السِّنينْ.

إنْ أنالني القَدَرُ ما أريدْ، لم آلُ[9] في تَقْريب البَعيدْ. وقد سَمَا عَمرٌو[10] إلى الدِّمَا، فاحْتطَّ منها كلَّ عالي المُسْتَمَى. واسْتنزل الزَّباءَ[11] بالقَسْرْ، وهي في أعالي القَصْرْ، أمنعُ من عُقابٍ ونَسْرْ.

---

(١) اللّيل والنهار.
(٢) امرؤ القيس بن حُجر الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق (هلك سنة ٨٠ ق هـ).
(٣) عمرو بن أبي الجبر بن عمرو بن شرحبيل الكندي، شاعر مخضرم.
(٤) قيس بن معدي كرب الكندي، من ملوك اليمن في الجاهلية (مات نحو سنة ٢٠ ق هـ).
(٥) يزيد بن المُهلب بن أبي صُفرة، من القادة الأجواد (ت: ١٠٢هـ).
(٦) جَذِيمة الوضاح القضاعي، من ملوك العراق في الجاهلية، عاش عمرًا مديدًا (مات نحو سنة ٣٦٦ ق هـ).
(٧) سادة.
(٨) تقلباته.
(٩) لم أقصّر.
(١٠) عمرو بن عدي، طالبَ بدم خاله الذي قتلته الزبّاء.
(١١) الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان ابن أذينة بن السميدع، صاحبة تدمر وملكة الشام والجزيرة (ماتت سنة ٣٨٥ ق هـ).

وسيفٌ[1] جرَّعَ الأُحبوشَ السَّمّ[2]، وابن هندٍ[3] باشرتْ نيرانُهُ الدَّمْ. ما اعْتَنَّ[4] لي يأسْ، إلاَّ صِحْتُ به: لا تأسْ!

قَسَمًا باليَعْمُلاتْ[5]، النَّاجياتِ في الفَلَواتْ. الخُوصِ[6] الضَّوامِرْ، الرَّاسيات كالبواخِرْ. الحاملاتِ في البَرّْ، كُلَّ مُحْقَوْقِفٍ[7] بَرّْ. يَنْوي التي فضَّلها على البُنى[8]، والمَرْوَتين ومِنى. والتَّعريفَ وجَمْعًا[9]، وعَيناه تَسيلُ دَمْعًا. بَلْ أُقْسِم بالتي تعدو المَرَطى[10]، وهي أسرع خُطا. تَعَادى كالسَّراحِين[11]، والشَّبا[12] يبارينْ. يحملن كل باسِلٍ[13] شَمَّري[14]، شَهْم الجَنانِ

(١) سيف بن ذي يزن الحميريّ، من ملوك اليمن ودهاتهم (مات سنة ٥٠ ق هـ).
(٢) بفتح السِّين، ويُضمُّ، وقد يكسر.
(٣) عمرو بن المنذر اللخمي، اشتهر بنسبته إلى أمّه هند، مَلَك الحيرة في الجاهلية (مات نحو ٤٥ ق هـ).
(٤) عَرَض وتَبَدَّى.
(٥) جمع يعملة: الناقة النجيبة.
(٦) غائرات الأعين.
(٧) معوجّ.
(٨) جمع بنية، كلّ شيء مبني.
(٩) عرفة ومزدلفة.
(١٠) ضرب من السير.
(١١) جمع سرحان: الذئب.
(١٢) اسم جمع شباة: الرماح.
(١٣) كريه المنظر.
(١٤) مشمّر ثيابه، كناية عن استعداده لملاقاة الأبطال.

جَرِيٌّ. لا يهابُ العِدا، ولا يخافُ الرَّدى. إنِّي لا أزال في دِرْعِ الثَّنا، على مَنْ أحببتُ في تلك البُنى. إنَّ العراق لم أفارقْ ساكنيهْ، عن شَنَإٍ[(١)] ولا زُهدٍ فيه. هُم شَناخيبُ[(٢)] السَّاهِرَةْ[(٣)]. والبحورُ الزّاخِرَةْ. لم يَزِغْ عنهم فؤادي، لكني تبعتُ مرادي. ولو أشاء لاعَبَتْني غادَةْ[(٤)]، تُضْني[(٥)] وفي رَشْفها السَّعادَةْ. في خدِّها حُمرةٌ ببَياضْ، كَرَوضٍ مِنَ الرِّياضْ. ولو ناجت أعْصَم[(٦)] الجَبَلْ، لانحطَّ لها وَقبِلْ. ولو أصابتِ القانت المُعْتَزِلْ، لَغَفَل عَنْ تَسْبيحِهِ ونَزَلْ.

قَدْ مَارَسَتْ مِنِّي الخُطُوبُ خَبيرًا، يُساورُ الهَولَ عَسيرًا. طَعمي شَرْيٌ[(٧)] للألِدَّاء، والأرْيُ[(٨)] بالرَّاحِ[(٩)] لِلأودَّاءْ. لا تَطَّبيني[(١٠)] الأطْماعْ، إذا استمالَت الرَّعَاعْ[(١١)]. والنَّاسُ كالشَّجرْ، فَمِنْهُ ما يروقُ النَّظَرْ. ومنها ما يَقْتَحِمُه البَصَرْ.

---

(١) بغض.
(٢) جمع شنخوب: رؤوس الجبال.
(٣) الأرض المخيفة التي تُسهِر سالكيها.
(٤) امرأة ناعمة.
(٥) تمرض.
(٦) الوعِل إذا كان أبيض الذِّراع.
(٧) الشَّريُ: الحنظل.
(٨) العسل.
(٩) الخمر.
(١٠) لا تستميلني.
(١١) الجَهَلة.

ودُونَكَ هذه الحِكَمْ، الـتي تَرْمـي سُـقْراط[1] بِـالبَكَمْ. الشَّـيخُ لا يتركُ أخلاقَهْ، حتَّى يَلُفَّ ساقُهُ ساقَهْ. مَن ظلَمَ عَـزّْ، ومن عَـزَّ بزّْ[2]. ومَنْ لم يكُن له من دَهْرِهِ واعظْ، لم ينتفع بالمواعِظْ. ومَـنْ لم تُفِدْهُ العِبَرْ، فهو أعمى البَصيرةِ والبَصَـرْ. ومَـنْ قـاسَ الغائـبَ على الشَّاهِدْ، قَرَّب إلى ذهنـهِ الأباعِـدْ. ومَـنْ عـارضَ الأطْمـاعَ باليأسْ، أحَبَّهُ النَّاسْ. ومَنْ نهى نفسَـه عَـنِ الهَـوَى، كـان الغِنَـى صاحبه حيثُ انْتَوَى[3]. ومَنْ ضيَّعَ الحَزْمَ نَدِمْ، ومَنْ عَجبَ رُجِمْ. والنَّاسُ واحدٌ كأمَّةْ، وألْفٌ كَغُمَّةْ. وإنَّما المَـرْءُ حَـديثٌ حسَـنْ، فكُنْ كَالحَديثِ الحَسَنْ. وإنَّ آفةَ العَقْلِ الهوَى، فمِنِ اتّبعَ الهَـوَى فَقَدْ هوَى. عَوِّلْ على الصَّبرِ الجميلْ، فهو أهْدَى سَـبيلْ، وعلـى اللهِ قصدُ السَّبيلْ، وهُو حسْبنا ونِعْم الوكيلْ.

(١) فليسوف يوناني، أحد مؤسسي الفلسفة الغربية (مات ٤٦٩ ق م).
(٢) غلب.
(٣) قصد.

المقامة الصّداعيّة

قال أبو العينين:

حدَّث أبو إسحاق، قال: عَرَضَ لي عارضٌ مِنْ لاظْ[1]، ونَوْعٌ مِنَ الجُوَاظْ[2]، فانطلقتُ إلى سُوق عُكَاظْ[3]. لَعَلِّي أطَّلِع إلى الهُمامْ[4]، الحشكطيِّ الإمامْ. فأُطْرِبَ سَمْعي بِغَوالي غُرَرِهْ[5]، ولآلئ دُرَرِهْ. فَوَافَيْتُ السُّوقَ بِالعَشِيّْ[6]، والقَوْم مِنْ حَول الحَشكَظيّْ. وهو يُلْقي عَلَيهم من سِحْرٍ هو الحَلالْ، وكَلِمٍ هو المَاء الزُّلاَلْ. يَنْثُرُ لهُم من أسرار العَرَبِيَّة كُلَّ عَجيبْ، ومِنْ أعْمَاق بَحْرِها كُلَّ غريبْ.

---

(١) اللاَّظ: الغَمّ.

(٢) الضَّجر.

(٣) عُكَاظ - بضم أوله، وآخره ظاء معجمة - قال اللَّيث: سُمِّي عُكاظ عكاظًا؛ لأن العرب كانت تجتمع فيه فيعكظ بعضهم بعضا بالفخار، أي: يدعك. وقال الأصمعيّ: عكاظ نخل في وادٍ، بينه وبين الطائف ليلة، وبينه وبين مكة ثلاث ليال، وبه كانت تقام سوق العرب.

(٤) الهُمام: السَّيِّد الشُّجاع السَّخيّ، ولا يكون ذلك في النساء.

(٥) غُرَرِه: جمعُ غُرَّة: أنْفَس الشَّيء وخِيارِه. والمراد: نَفَائس قوله.

(٦) العشي والعشية: آخر النهار.

فقلتُ: أدنو منه حتَّى لا أُفَوِّتَ حَرْفًا، ولا أُطْبِقَ عَنْ رُؤْيةِ مُحَيَّاه[1] طَرْفًا. فقال في صَدْرِ كلامِهْ - بَعْدَ حَمْدِهِ وسَلامِهْ -: يا مَعْشَرَ أهْلِ الضَّادْ[2]، نَحْنُ في زَمَنِ العَجَائِبِ والأضْدَادْ. عَسْعَسَ[3] اللَّيلُ قُبيلَ الصُّبحْ[4]، وغَدَتِ الطُّيورُ الصُّبحْ[5]. والسَّحاب لم يُخْفِهَا[6]، وهو مِنْ فَوْقِهَا. ومَرَرْتُ بقَانِعْ[7]، غيرِ قَنُوعٍ ولا قَانِعْ. يَتَصَدَّق بإلْحَاحْ، فأَطْلَبْتُه[8] وراحْ. ولَقِيْتُ حَميمًا[9] نَجْدِيًّا، قد صار[10] بَدْرًا[11] بَدْرِيًّا. يَشْرَبُ مِنَ الحَميم[12] الدَّائِمْ، وهو قائمٌ غَيرُ دائِمْ[13]. وقد أمْعَنَ بما مَعَه إلى

---

(١) مُحيَّاه: وجهه.
(٢) تُسمَّى لغة العرب لغة الضاد؛ لأنَّ حرف الضاد لا يوجد في لغة غيرها.
(٣) عسعس اللّيل: أقبل بظلامه أو أدبر (ضد).
(٤) الفجر. أو: أول النهار؛ لأن الصبح يطلق على أول النهار، وعلى الفجر.
(٥) الطُّيور الصُّبح: ذات لون يضرب إلى الشُّهبة، أو: سوادٌ يضرب إلى الحُمرة.
(٦) أخفى بمعنى ستر وأظهر. قيل: منه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ [طه]، أي: أظهرها، وهو مرجوحٌ.
(٧) أي: طامع، والأصل في معناه: ضد الطَّمع، وعليه اللفظ الآتي.
(٨) يقال: أطلبه: إذا أعطاه ما يطلب، أو عرَّضه للطلب.
(٩) صديقًا.
(١٠) صار هنا بمعنى: أمسك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠].
(١١) البدر معروف، وهو أيضًا الغلام.
(١٢) الماء الحار.
(١٣) الدائم: يطلق على الساكن والمتحرك (ضد).

نَاحِيَتِـهْ، وانْقَبَضَ في حَاجَتِـهْ. ودخَـلَ بَعْـدَ[1] اليَـوْمِ الغَـابِرِ[2]، لِيَخْرُجَ أمسِ الدَّابِرْ. إلى قَومِهِ الأفْدَامْ[3]، وهُم يُضِبُّون[4] في فُنون الكَلامْ. ولم يُصْبَوا[5] ذلك اليَومْ، حتَّى غَشيهم النَّومْ.

قال: فانْكَفَأتُ[6] أرومُ الاطِّلاعْ، إلى التِّلاعْ[7]، مِنْ عَوالي البِقاعْ. فَلَمْ يَرُعْني إلاَّ سَيِّدُ الجَماعَةْ، يُنادِي في تِلْكَ السَّاعَةْ، مِنْ صَدْرِ القَاعَـةْ. فحَضَرْتُ لَدَيْـهْ، مَعَ والدِيْهِ وولَدَيْـهْ. وَالِدَيْـه اليَفَنَيْنْ[8]، وَوَلديهِ الحَزَوَّرَيْنْ[9]. فكُنَّا في أرْزَإ[10] ضِيافَةْ، وفي أمْنٍ بِلاَ مَخافَةْ. وألفيناهُ شُجَاعًا[11] جَبانًا، ولَقينا مِنْ بُخْلِهِ ألْوَانَـا.

---

(١) بعد تأتي بمعنى قبل، في ظنّ بعض اللّغويين.

(٢) الغابر: بمعنى الذاهب، ويأتي بمعنى الباقي (ضد)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأعراف: ٨٣]، على كلا التفسيرين.

(٣) جمعُ فَدْم، وهو البليد.

(٤) يقال: أَضَبَّ: إذا صاح وتكلَّم.

(٥) لم يدخلوا.

(٦) انْكفأتُ: رجعت.

(٧) جمع تَلْعة: المرتفع من الأرض والمنخفض (ضد).

(٨) المُسنَّين.

(٩) الصغيرين.

(١٠) يقال: رزأه رُزءًا: أصاب منه خيرًا، والشيء نقصه (ضد).

(١١) الشجاع: القوي، والضعيف. ذكر ذلك ابن أبي القاسم ابن الأنباري في كتابه (الأضداد ٣٨٥).

طويل السَّاقْ، مَشْمُول الأخْـلاقْ. ولَـهُ امْـرَأةٌ بَلْهـاءْ[1]، وأخـرى دُغَةٌ[2] بَلْهَاء. وبات الرَّكْبُ ما بين قـائم وهَاجِـدْ[3]، أو راكِـعٍ أو سَاجِدْ[4]. حتَّى ولَّـى اللَّيـلُ أدْبـارَهْ، وأسْـفَرَ الصُّـبحُ إسْـفَارَهْ[5]. واجْلَعَبَّت[6] الإبلُ في الفَدَافِدْ[7]، قَبل مَغيب الشَّـاهِدْ[8]. فقيـل: هذا يومُ البَيْنْ[9]، بَعْدَ ما كان مِنْ طُول البَيْنْ[15]. فأسَرَّ[10] أهْلُهـا النَّدامَةَ بصَوْتٍ عَالْ، وضَرَبُوا للنَّاس الأمثالْ. وهُمْ علـى آثـارهم يُهرَعُونْ، وفي الفلاةِ بعد ما تفكَّهوا يتفكَّهونْ[11]. ورأسُهم علـى حَـرْفٍ[12] عَظيمـةْ، بِحَـرْفِ سـبيل[13] مُسْـتقيمةْ. بـين شـجرٍ

(١) المرأة البلهاء: الكاملة العقل، ويقال أيضًا لناقصة العقل (ضد).

(٢) أي: حمقاء.

(٣) الهجود: النوم واليقظة، وهو المراد هنا.

(٤) المنتصب في لغة طيئ.

(٥) أسفر الصبح: أضاء وأشرق.

(٦) سارت بِجِدٍّ، واجلعبَّ: اضطجع (ضد).

(٧) الفَدْفد: الفلاة والمكان المرتفع، والأرض المستوية.

(٨) الشاهد في اللّغة له معانٍ، منها: النجم، وهو المراد هنا.

(٩) البين: الوصل والفراق.

(١٠) قيل: الإسرار يكون بمعنى الجهر في اللّغة، وحملوا عليه قوله - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [الأنبياء: ٣]، وهو قولٌ ضعيفٌ.

(١١) التفكُّه: الحزن، وأيضًا: التنعم، وهو الأصل.

(١٢) من معاني الحرف: الناقة الهزيلة والعظيمة (ضد).

(١٣) بشفير طريق، والسَّبيل تُذَكَّر وتؤنث.

أحْوَى[1]، يقصِدُ طريقًا يُطوَى. والْتَقَى ثَمَّ[2] رجلٌ وآخَرْ، وكلٌّ منهما مولًى[3] للآخَرْ. ولهما مواليَ من دون ذلِكْ، يرتعون في تلك المَسالِكْ.

قال أحدهما: ما أنتَ إلاَّ نِدِّي[4]، وشَبَهي وضِدِّي. ولقد خِفْتُ بكَ وما خِفتُ[5]، حين شَخَصْتَ ورائي[6] ومَا حِفْتُ[7]. وإنِّي لَظَنِيْنْ، أنْ أقولَ عنكَ: ظَنِيْنْ[8]. في كُلِّ خَطْب جَلَلْ، أو خُطَيبٍ جَلَلْ[9]. فلا تَكُ مِنَ الباخعين[10] سَمْدًا[11]، ولا مِنَ السَّاعينَ عَمْدًا. فكُلُّ ما أفْرَطْتَه مَكتُوبْ، وما فَرَطَ مِنْكَ

(١) الأحوى: يطلق على اليابس والأخضر (ضد).
(٢) هناك.
(٣) المولى: يطلق على السيّد والعبد، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى﴾ [الدخان: ٤١]، ويطلق أيضًا على القريب وابن العمّ.
(٤) النِّد: المثيل والضد، وكذلك الضد، بمعنى المثيل وعكسه.
(٥) خفت: يأتي بمعنى شككت، وأيقنت.
(٦) أمامي.
(٧) أي: وما ملت.
(٨) ظنين: بمعنى: مُتَّهم وبخيل، ورسمت بالظاء في بعض المصاحف.
(٩) الجلل: الأمر الكبير والصغير أيضًا.
(١٠) الهالكين.
(١١) السمد: بمعنى الحزن في لغة طيِّيء، وبمعنى اللهو: في لغة اليمن. وقال مجاهد: معنى ﴿سَامِدُونَ﴾ [النجم: ٦١]: مُبَرطِمون.

مَحْسُوبْ[1]. سَوَاءٌ عفَا أو قَلَصْ[2]، أو عفا[3] وما نَقَصْ. ولَسَوْفَ يُصْرَى ما قُطِعْ، ويُصْرَى[4] ما جُمِعْ. ولات حين صَرِيخْ، يوم يَصْرخُ الصَّرِيخْ[5]. بلا مُدارأةْ، لأحدٍ دَارأهْ[6]. يوم لا ينفعُ من أتْرَبَ[7] مالُهْ، ولا يجانبه[8] عيالُهْ. ويفرُّ منه الصَّاحب والسَّاقِب، فكيف بِالبعيدِ السَّاقِبْ[9]. فلا يَنْتفع امْرُءٌ بِصَقَبه بل يصقبْ[10]، وإنْ طلب العُتْبى لم يُستَعْتَبْ[11]. أين سَبْحُكَ الجَميلْ، وقد كُنْتَ في سَبْحٍ[12] طويلْ؟!! قُمْتَ وسَجَدْتْ، وأنِفْتَ وما سَجَدْتْ[13].

---

(١) أفرط: بمعنى: أخَّر، ويأتي بمعنى: قدَّم. وفرط معناه: سبق.

(٢) نقص.

(٣) زاد، أو: نقص.

(٤) صَرَى الشَّيءَ: جمعه، أو: فرَّقه.

(٥) الصريخ: المغيث، والمستغيث.

(٦) دارأه: دافعه وداراه ولاينه.

(٧) أتربَ: قلَّ ماله، أو: كثر (ضد). والأصل استعماله فيمن قلَّ ماله، ومنه قوله - تعالى -: ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [البلد].

(٨) جانب مجانبة: صار إلى جنبه، وهو معنى قوله - تعالى -: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾ [عبس]، ويأتي بمعنى: باعَدَه.

(٩) الساقب: البعيد، وأيضًا القريب.

(١٠) صقَب كفرَح، بمعنى: بعُد وقرُب (ضد)، والصَّقَب: القُرب والبُعد.

(١١) يقال: استعتبه: أعطاه العتبى، أي: الرِّضا، وطلب إليه العتبى.

(١٢) السبح: الانتشار في الأرض والتصرف في المعاش، والفراغ والنوم.

(١٣) سجد: خضع، وانتصب (ضد).

واطَّرَحْتَ المُخاوَذَةْ، ومِلْتَ إلى المُخاوذَة[1] والمُنابَذَةْ. ولم تَأخُذْ بالأَزْرْ، وأخَذْتَ بالأَزْرْ[2]. المُفْضي إلى الوِزْرْ. أُمِرْتَ أن تكون جَبْرَا، فصِرتَ على عِبادِ الله جَبْرَا، فلا نَبْغي لك جَبْرَا[3]. هذه صَحيفَتك الخَضْراءُ خَضْرَاءْ، وجلدتك الصَّفراء صَفَراءْ. مِنْ كَيْدكَ الأحْمَرْ، لِكُلِّ أبْيضَ أحْمَرْ[4]. فارْمَئِزّ[5] مكانَكْ، ولا تَرْمَئِزْ، وذُقْ من الذُّلِّ مكانَ العِزّْ. إنَّك من الفائزين[6]، الطَّربين[7] العاجزينْ. وما أنتَ إلاَّ فَيَّاشْ، لا كريمَ ولا فَيَّاش[8]. غَرَّكَ التَّقْريضْ، وما استمعتَ إلى أيِّ تَقْريض[9]. ركَنْتَ إلى

(١) المخاوذة: المخالفة والموافقة، والمعنى: تركتَ الموافقة، وأخذتَ بالمخالفة.

(٢) الأزْر: القوة، والضعف. والمعنى: أخذت بالضَّعف، ولم تأخذ ما أوتيت بقوة.

(٣) الجَبْر: الملك والعبد (ضد)، وجَبَر الكسر، أي: عَدَّله. والمعنى: كلفت أن تكون عبدًا، فصرتَ ملكًا جبارًا، فلا نطلب لك ما يجبر ضعفك.

(٤) الأخضر يطلق على لون الخضرة، وعلى الأسود، والأصفر يطلق أيضًا على الأسود، والأحمر للأحمر والأبيض. والمعنى واضح.

(٥) ارْمأزّ: لزم مكانه، وزال عنه (ضد).

(٦) الهالكين، الفوز: الظفر، والهلاك أيضًا.

(٧) طرب بمعنى: فرح، وحزن (ضد)، والمراد هنا: الثاني.

(٨) الفياش: الكريم المفضال، والمكاثر بما ليس عنده.

(٩) التقريض: المدح، والذم.

الدَّعَـــةْ[1]، وتَزَيَّنْـــتَ بِحُسْـــنِ الرِّعَـــةْ[2]. وتَوَقَّلْـــتَ في أرضٍ جَفْجَفْ[3]، وقاعٍ صَفْصَفْ. تَتَنصَّفُ[4] مـن تريـدْ، لأنَّـك جَبَّـارٌ عَنيْدْ. تَظُنُّ أنَّك أرْأيْتَ[5]، وغفَلْتَ عَنْ ﴿أَرَءَيْتَ﴾[6].

قال أبو إسحاقْ: ولم يَزلْ شَيْخُنا الحشكظيُّ على ذلكَ النَّسَقْ، حتَّى أقبلَ اللَّيلُ بِمَا وَسَقْ[7]. ولو شاءَ لَوَصَـلَ اللَّيـلَ بالإصْـباحْ، ولم يَسْكُتْ عَنِ الكَلامِ المُباحْ.

---

(١) السَّعة في العيش.

(٢) الرِّعة: حسن الهيئة، وسوؤها.

(٣) الجفجف: الأرض المرتفعة، والمنخفضة.

(٤) تنصّف: استخدم وخدم (ضد).

(٥) يقال: أرْأى إرْآءً: إذا صار ذا عقل، ويقال: أرْأى: إذا تبينت الحماقـة في وجهه.

(٦) إشارة إلى سورة «الماعون».

(٧) بما جمع.

المَقامَة الدّوَائيّة

قال أبو العينين:

حدَّثَ طامِرُ بن طَامِرٍ[1]، قال: لَقِيتُ في بَعْضِ الأسْفَارْ، في بَعْضِ الأقْطَارْ. عَالِمًا بمنافِعِ الأعْشَابْ، وهوَ شيخٌ في صُورَةِ شابٍّ. فبَيَّتُّ النِّيَّةْ، على أن تجْمَعَنا لَيْلَةٌ نابِغِيَّةْ[2]. أُبعْثِرُ فيها ما في فِكْرِهْ، وأُحَصِّلُ ما في صَدْرِهْ. مِنْ تَجْرِبَةٍ وخِبْرَاتْ، بمنافِعِ النَّبَاتْ. فَقُلْتُ: اجْعَلْ بَيننا وبَيْنك مَوعِدًا، ولا تَجْمَعْ مَعَنا أحَدًا !

وحِينَ جِئْتُهُ أكْرَمَ الوِفَادَةْ، فَعقَدْنا مجلِسَ الإفادَةْ. فَلَمَّا أنْصَتَ إلى كلامي، واطَّلع على إلمَامي. قال: سَلْ أيُّها الشَّابُّ، عمَّا شِئْتَ مِنَ الأعشَابْ. فإنَّ مَعْرِفَتي عن تَجْرِبةٍ وتَحْليلْ. ودِرَاسةٍ وتَأصيلْ! فَقُلتُ: أوَّل شيءٍ - أيُّها الجَليل -، أسألُكَ عنه الزَّنْجَبيلْ. فإنّه مِمَّا ذُكِرَ في القُرْآنْ، في سُورة الإنسانْ[3]. وأُلِّفَتْ

(١) طَامِرُ بن طامر: يُكنى به عن المَجْهُول.

(٢) طويلة، ويكنى بها عن الطُّول؛ نسبة إلى نابغة بني ذبيان، وكان كثير الرَّهبة والخوف، وهو القائل:

فإنك كاللَّيل الذي هو مُدْرِكي وإنْ خِلْتُ أنَّ المنتأى عنك واسعُ

(٣) في قوله سبحانه: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾.

فيهِ مُصَنَّفاتْ، في الزَّمَنِ الذي فَاتْ. ومِن ذلك: كتابُ الزَّنجبيل القَاطِعْ، في هَتْكِ ذاتِ البَرَاقِعْ[1]؟ فتَبَسَّمَ ضاحِكًا من مقالي، وقَهْقَهَ بِصَوتٍ عالي! وقال: اِعْلَمْ بأنَّ الزَّنجبيلَ مَعْروفْ، منذُ حوالي ثلاثةِ أُلُوفْ[2]. وهو أكثرُ عُشْبِ اِنْتَشَرْ، يَسْتَعْمِلُهُ البَشَرْ. لِلالْتِهابِ والمَفَاصِلِ والشِّريانْ، واضْطِرابِ المَعِدَةِ والغَثَيانْ. وهوَ لِتَسْخينِ الجسْمِ مِنَ البَرْدْ، خيرٌ من جُبَّةِ البُرْدْ[3]. وهو لِالْتِهابِ الحَلْقِ والغَلاصِمْ[4]، عاصِمٌ وأيُّ عاصِمْ. وللتَّقَلُّصْ، والتَّخَلُّصْ. ويُوصَفُ لِلْحَامِلِ قَبْلَ الوِلادَةْ، ونافعٌ لأهْلِ الفَدَامَةِ[5] والبَلادَةْ. وهُوَ الدَّواءُ الفَاصِلْ؛ لِداءِ المفَاصِلْ[6]. ويَحْمِي مِنَ الآثارِ السَّامَّةْ، لِلْعَدْوَى والأوْبِئَةِ العامَّةْ. ويذكرُ أنّه نافعٌ لِلْكُلُسْتُرُول والتَّصَلُّبْ، وتَغيُّرِ المِزَاجِ والتَّقَلُّبْ. هذه فوائِدُهُ المَعْلومةُ بِالتَّجريبْ، لا بالحَدْسِ[7] ولا بالتَّقريبْ. وأَثْبتتِ الدِّراسةُ اليومْ،

---

(١) الحرائر. وعنوان الكتاب مذكور في كتاب «كشف الظنون».
(٢) من الأعوام.
(٣) نوع من الثِّياب.
(٤) جمع غَلْصَمَة: مُلتقى اللّهاة والمريء، أو: رأس الحُلْقوم، أو: اللّحم بين الرأس والعُنُق.
(٥) الفَدّامة: العِيُّ في بلادة.
(٦) المعروف بالنقرس، والمفاصل: جمع مَفصِل، كمجلس، ويجعله العامّة كمِنبر.
(٧) الحَدْس: التَّخمين والظَّنُّ.

أنّه يزيدُ من فترَةِ النَّومْ. وأنَّ اسْتِعْمَالَهُ المَدِيدْ، يَتَعارَضُ مَعَ امْتِصَاصِ الحَدِيدْ. وبَيْنَا هو يَتَفَجَّرُ ويَتَبَحَّرْ؛ إذ قُدِّمَ لنا الشَّايُ الأخْضَرْ.

فَقُلتُ: هَذَا أَوَانُ الحديثِ عَنْه، قَبْل أنْ تَسْقينا مِنْهُ. وسَأجْعلُ ما تَقُولُهُ نَظْمَا؛ حتى يكونُ أكثرَ هَضْمَا. وهذا فَحْوَى ما قَالَهْ، في تلكَ المَقَالَةْ:

الشّايُ نافعٌ عَنَيتُ: الأخْضَرَا
لِتَلَفِ الأكْبَادِ والرَّبْوِ اذْكُرا
وسَرَطَانٍ وارْتِفَاعِ الدُّهْنِ
والضَغْطِ واللِّثاتِ[1]، عَدْوى الأُذْنِ
وَطَارِدٌ للبَرْدِ والتَّأكْسُدِ
تَسَمُّمٍ تَصَلُّبٍ تَجَعُّدِ
وَفَوْقَ هَذَا خَافِضٌ لِلسُّكَّرِ
يَزِيدُ في الطَّاقَاتِ والتَّفَكُّرِ

قُلتُ: فَمَا القَولُ في القِرْفَةِ والقَرَنْفُلْ، بإيجاز وتَرَسُّلْ؟ قال: كِلاهُما للهَضْمِ والقُرَحْ[1]، ويُوَلِّدَانِ النَّشَاطَ والفَرَحْ. والقِرْفَةُ أشدُّ

(١) جمع لِثة، بكسر اللام وتخفيف الثاء.

قوَّةً وأكثرُ نَفْعَا. وتَقْطَعُ نَزِيفَ الـرَّحِمِ قَطْعَـا. وفيهـا مـادَّةٌ تُوْقِـفُ خلايا السَّرَطَانْ، في الكَبِدِ والمُصْرَانْ[2]. ولْيُحْظَرْ بتاتًا، تَـدَاوُلُها بين مَرْضَى البُرُسْتَاتَا[3]. ويُوصَفُ القَرَنْفُل لأَلَمِ الأسْنَانْ، واللِّثَـةِ واللِّسانْ.

قلتُ: فإنِّي أشْكُرُكمْ، إذا ذَكَـرْتُم منـافِعَ الكُـرْكُمْ. فعظَّـمَ مِـنْ فوائِدِهْ، وشَمَّرَ عن سَاعِدِهْ. وقـال: مـا أكْتُبُـهُ شِـعْرًا، يُسَـطَّرُ في الشِّعْرَى[4] !

الكُــــرْكُمُ المعـــروفُ ذا بـــــالهُرْدِ
لِسَــــرَطَانٍ والْتِهَــــابِ الكِبْـــــدِ
ولِلمَــــرارةِ وعُسْــــرِ الهَضْـــمِ
والأَزَمَــــاتِ والْتِهَــابِ العَظْـــمِ
وَأَبــــيضِ المِيَــــاهِ بــــالعُيُونِ
وأصــــلُ نَفْعِــــهِ في الكُرْكُــــومِينِ[1]

---

(١) جمع قُرحة.

(٢) جمع مصير: الأمعاء الغليظة.

(٣) البُرُسْتاتا: غُدَّة صغيرة، أكـبر مـن حجـم البندقـة، تحْـت الخُصَـيَّة مـن الدَّاخل.

(٤) نجم معروف.

قلتُ: فَأخْبِرْني - حفِظَكَ الباري - عن البَلْمِيطِ المِنْشَارِي. قال: هو دواءُ البُرُوستَاتْ، قلت: فما يشبههُ من النَّباتْ؟! قال: عِنَبُ الدُّبّْ، حَمَاكَ الرَّبّْ.

قلتُ: فحدِّثني بالمرّةْ، عن المُرَّةْ. فقال ما معناهُ، مِمَّا عَنَاهُ:

المُـــرُّ صَـــمْغٌ للالْتِهَـــابِ الحَلْـــقِ
وَلِثَـــــةٍ ولِلْجُــــــرُوحِ مُنْــــــقِ
وضَـــابِطٌ إيقـــاعَ جِسْـــمٍ وبِـــهِ
نفـــعٌ لـــدورةِ الـــدِّمَا فانْتَبِـــهِ

ولم نزلْ معَه في بحثٍ ومناقشَةْ، ومساءلَةٍ ومفاتِشَةْ، حتّى ذهب عامّة اللّيلْ، بعدَ أن ختَمْنا بمنافع الهَيْلْ، واتّفقنا على مَوعِدةٍ آخِرَةْ، على هذه السَّاهِرَةْ[٢].

(١) اسم لعنصر من عناصره.
(٢) الأرض.

المَقَامَة المِسْيارِيّة

قال أبو العينين:

جَلَسَ ثلاثُ نِسَاءْ، يتحدَّثْنَ في المَسَاءْ. حديثَ اللَّهْوِ والمَسَرَّاتْ، على الشَّاي والمُكَسَّرَاتْ[1]. واتَّفَقْنَ أن يَكْشِفْنَ عن بُعُولَتِهِنَّ السِّتَارْ، وَيتَبَادَلْنَ الأسْرَارْ. وكأنَّمَا نَمَا إلى السَّمْعْ، حديثَ أمِّ زَرْعْ[2].

فقالت الأُولَى : زَوْجِي هو الشَّيخُ فُلانْ، زُغَادِبٌ[3] ريَّان[4]، ليس بِالدَّخْشَم[5] ولا بِالبَحْدَاح[6]، له صَوْتٌ صَدَّاحْ وعِطْرٌ

---

(١) هي في عرف اليوم: مجموعة من البذور والبقول، كبذور الدُّبَّاء، واللَّوز، والفستق .... .

(٢) حديث أم زَرْع: تتحدث فيه إحدى عشرة امرأة عن أزواجهنّ، آخرهنّ أم زرع. وقد أخرجه البخاريّ في النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل (ح ٥١٨٩)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب ذكر حديث أم زرع (ح ٢٤٤٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعًا.

(٣) غليظ الوجه.

(٤) ممتلئ.

(٥) الغليظ، الأسود.

(٦) اللَّيِّن.

فَوَّاحْ. لديه مسجدٌ يخطبُ فيه الجُمُعَـةْ، ويُصَـلِّي الخمـسَ بِمَـن مَعَهْ. وله مكتبةٌ ملأ بِهَا الدَّارْ، وطَمَسَ بها الجِدَارْ. جَعَلَهـا مَحَـلَّ نَومِهِ وسُهَادِهْ[1]، ومتعلَّق روحِهِ وفؤادِهْ، وطعامِهِ وسِـفَادِهْ[2]. إذا دَخَلَ لا يَدِبُّ إلاَّ إليها، وإذا أقبل لا يُقبِلُ إلاَّ عليها. عَشِـقَها مـن دُوني، وأعْرَضَ عن شُؤُوني. إذا كُلِّمَ حمَّجْ[3]، وإذا سَمِعَ صَـوتًا نفَّجْ[4]. يقولُ: لا تُكلِّموني وأنـا في المكتبـةْ، ولـو صِـرْتُمْ ذوي مَتْرَبَةْ[5]. ولطالمـا قـال في المَنَـابِرْ، وكتـبَ في الـدَفَاتِرْ. حقـوقَ ذَواتِ النُّونْ[6]، ودُعْجِ[7] العيونْ. وعَذَرْتُه في ذلـك ومثلـي مَـنْ يعذُرْ، وغفرْتُ له ما نَسِيَ أو يَذْكُرْ. له في كلِّ يوم عـادةْ، أفْقِـدُه ساعةً أو زيـادةْ. لا أجـدُ لـه وقتـها أثـرًا، ولا أرَى لـه عِثْيَـرًا[8]. ولا يستجيبُ لاتِّصالْ، من هاتِفٍ أو جـوَّالْ. فـأزْعَجَ ذلـكَ منِّـي البـالْ[9]، وحَـرَّكَ منِّـي البَلْبَـالْ[10]. وركِبَني جبـالٌ مـن الهَـمِّ،

---

(١) سهره.
(٢) جماعه.
(٣) فتح عينيه فزعًا.
(٤) فزع.
(٥) ملتصقين بالتراب؛ فَقْرًا.
(٦) نون النّسوة.
(٧) الدّعَج: سواد العين في سَعة.
(٨) غبارًا.
(٩) القلب.
(١٠) الخاطر.

وغَشِيني قِطَعٌ من ظُلُماتِ الغمِّ. فلمَّا تملَّكني الارْتِيَابْ، عَزَمْتُ على البَحْثِ عن ذلك الغِيَابْ. فإذا بالزَّوجِ النِحْرِيرْ، واللَّوْذَعِي[١] الخطيرْ. غارقٌ في بِحَارْ، من زَوَاجِ المِسْيَارْ[٢]!! فراجعتُ فِهْرِسَ حياتي، وكيف كان يخرجُ وكيف يأتي؟! فوجدْتُ شيئًا نُكرًا، ولم أسطِعْ عليه صَبْرًا. فعزَمْتُ على الفِرَاقْ، وطلبتُ الطَّلاقْ. وانقلبْتُ إلى أهلي، وتركتُ بَعْلِي. فهذا خَبَري، وذلك قَدَري.

فقالت الثَّانية: زوجي كثير الهَذَرْ[٣]، قليلُ الحذَرْ. لا يعصي أمْرًا، ولا يكتمُ سِرًّا. ضِرْبٌ[٤] سَمَعْمَعٌ[٥]، له نساءٌ أربَعْ. وكنتُ فيهنَّ اللَّبيقةْ[٦]، على الحقيقةْ. وكثَالِثَةِ الأثَافي[٧]، وكالقَوَادِمِ[٨] مَعَهُنَّ الخوافي[٩]. وعِشْنَا سُعَدَاءْ، في قليلٍ من العَدَاءْ. وكان

---

(١) الخفيف الذَّكي، الظريف الذِّهن، الحديدُ الفؤاد، الفصيح اللِّسان.

(٢) زواج مُحْدَث، تُسقِط فيه المرأةُ مطالبةَ الزَّوج بِالقسمة، ويسير إليها وعنها متى شاء.

(٣) الكلام الكثير الرَّديء.

(٤) بكسر الضّاد: الرّجل الماضي الندب، والخفيف اللّحم.

(٥) الصغير الرأس. وقيل: هو: الخفيف اللَّحم، السَّريع العمل، الخبيث اللَّبق طال أو قصر. وقيل: هو: المنكمش الماضي.

(٦) اللَّبقة واللَّبيقة: الحسنة الدَّلِّ واللِّبسة.

(٧) ثالثة الأثافي: الحَيْد النادر من الجبل، يجمع إليه صخرتان، ثم ينصب عليها القدر.

(٨) ريش الطائر في مُقدَّم الجَنَاح.

(٩) ريشه من الخلف.

مِمَّا يُطْفِي نيرانَ الغَيرَةْ، ويَحُدُّ من غُلَوَاءِ[1] الحَيْرَةْ. ما كان يَصُبُّ علينا من وَفْرِهْ، ورِيَالاَتِهِ ودَثْرِهْ. ورِيشٍ ورِيَاشْ[2]، وبُلَهْنِيةٍ[3] في المَعَاشْ. وكان أحدَ أعيانِ التُّجَّارْ، في بيعِ العَقَارْ. فأقبَلَ عليه في يومٍ من الأيّامِ قرينٌ كان ذا مالٍ قليلْ، وبَصَرٍ بالتِّجَارَةِ كَلِيلْ[4]. فنَظَرَ بَعْلُنَا إليهْ، بعد أن سَلَّمَ عليهْ. فرأى في وَجْهِهِ نَضْرَةَ النَّعِيمْ، بَعْدَ أن كانَ في سَواءِ الجَحِيمْ. فسَأَلَهُ عن سِرِّ غَيْبَتِهْ وبُعْدِهْ، وسَبَبِ بَخْتِهِ[5] وسَعْدِهْ. ومن أينَ له هذا الثَّراءْ، وقد كانَ مِنْ بني غَبْرَاءْ[6]. يُكثِرُ السُّؤَالَ والطِّلابْ، وإذا مَرَّ نَبَحَتْهُ الكِلابْ؟! فقال: سَأُنْبِئُكَ بذلِكْ، وأدُلُّكَ على إنْمَاءِ مَالِكْ، بما سَلَكْتُهُ من مَسَالِكْ. لقد جَمَعْتُ ما كان لي من قليلٍ مُتَفَرِّقْ، واقْتَرَضْتُ من البَنْكِ بالتَّوَرُّقْ[7]. وطَلَبْتُ الطَّارِفَ[8] والتَّالِدْ[9]، وجَعَلْتُهُ في مَحْفَظَةِ

---

(١) حدّة.

(٢) الوفر والدّثر والريش والرياش، كلها بمعنى المال.

(٣) سَعَة العَيْش ورَغَدُه.

(٤) ضعيف.

(٥) حظه.

(٦) الغبراء: هي الأرض، وبنوها: هم الفقراء. وفي ذلك يقول طرفة:

رأيتُ بني غبراء لا ينكرونني ... ولا أهلُ هذاك الطِّراف الممدّدِ

(٧) أن يشتري من البنك سلعة بثمنٍ مؤجّلٍ، ثم يبيعها البنك لغيره حالَّة.

(٨) الطارف من المال: المُسْتفَادُ المُسْتَحْدَثُ، ولم يكن أصليًّا من ميراث، ولا اعتقار.

(٩) المال التالد: القديم الثابت.

خَالِدْ. وهو صديقٌ حميمْ، وخبيرٌ قدِيمْ. في المُتَاجَرَةِ بالأسُهُمِ في الشَّرِكَاتْ، كثيرةِ الأرْبَاحِ والبَرَكَاتْ. فَلَمْ يَمْضِ عَامْ، إلاّ وقد عَلَتِ الأرْقَامْ. وصَارَتْ أضْعَافًا مُضَاعَفَةْ، والأربَاحُ بيننا مُنَاصَفَةْ. قالت المرأة: فلم يلبَثْ البعلُ الهُكَعَةْ[1]، أن جمَعَ ما كان مَعَهْ. ومِقْدَارُهُ عَشَرَةُ مَلايين، وتلَّها[2] في يد ذلك الأمينْ. واكْتَتَبَ عُقُودًا موثَّقَةْ، بتفْصِيلاتٍ مُدَّقَقَةْ. فسَاهَمَ فكَانَ من المُدْحَضِينْ[3]، وسقط في قَاعِ الخُسْرَانِ المُبِينْ. وخرَّت الأسهمُ على رأسِهَا، وأفْرَغَتْ مُعْظَمَ ما في كأسِهَا. وَظَهَرَ أنَّ ما انْطَوَتْ عليه قَعَاقِعُ[4] وفَرَاقِعْ[5]، ممزُوجَةٌ بتكاذيبَ وَجَعَاجِعْ[6]. فسُقِطَ الرّجلُ في يَدِهْ، وفُتَّ[7] في عَضُدِهْ. وَصَبَّ جَامَ[8] غَضَبِهِ على خليلِهْ، وتَفَرَّقَ بهما الحالُ عن سَبِيلِهْ. وخَذَلَهُ حَلائِبُهُ[9]،

---

(١) الأحمق.

(٢) طَرَحَها.

(٣) المزلَقين.

(٤) حكاية صوت السُّيوف والدُّروع.

(٥) صوت نقض الأصابع.

(٦) الجعجعة: صوتٌ فيه غلظٌ، كصوت دوران الرَّحى.

(٧) فُتَّ في عَضُدِه: وهنت قوّته.

(٨) الجام: إنَاء من فضَّة.

(٩) الحَلاَئب مُفردُها: الحَلبة بالفتح: الدُّفعة من الخيل في الرِّهان، وخيل تجتمع للسباق من كلِّ أوْبٍ للنُّصرة.

وطَيْسُهُ[1] وأقَارِبُهْ. والمرءُ إذا افْتقَرْ، مُقِتَ واحْتُقِرْ. فبَرَزَتْ معايبُ ما كان يَسْتُرُ بالسَّخَاءْ، وسَبَبًا للرَّخَاءْ. فقرَفَ[2] من حَيَاتِهْ، وطَلَّقَ زَوجَاتِهْ[3]. وكنتُ أوَّلَ من رُمِيَ بِسَهْمِ الطّلاقْ، في ذلك الإغْلاَقْ[4].

قالت الثَّالثة: زوجي خطيبٌ دَاعِيَةْ، تعي خُطَبَهُ آذانٌ واعِيَةْ. من أرقِّ النّاسِ طبعًا، خَطَبَ على أعْوَادِ مِنْبَري[5] سَبْعًا. رقيقة الحَواشي، في ليال غَوَاشي[6]. له في كل نادٍ مَقَام، وفي كل مَيدَانٍ كلامْ. يُعنَى بَدَرْسِهْ، ويَرْفُقُ بعِرْسِهْ[7]. نهارُه صائمْ، ولَيْلُهُ قَائِمْ. دائمُ الذِّكْرْ، كثيرُ الشُّكْرْ. أرْغَمَ حُسَّادَهْ، وأتْعَبَ رُوَّادَهْ. ثَاقِبُ الرَّأي والرُّؤيا، لا أرَبَ له في الدُّنيا. وكُنَّا معَهُ في رَاحَةِ بَالْ[8]، على أحْسَنِ حَالْ. حتَّى ابْذَعرَّت[9] هاتِهِ الفضائيَّاتْ[10]،

(١) كلّ ما في وجه الأرض من تراب وقُمام، والمراد: كلّ ما يملك.
(٢) ملَّها.
(٣) يقال للمرأة ذات الزوج: زوج، وهو الأفصح، وبالتاء جائز.
(٤) الغضب.
(٥) كناية عن معاشرته لها سبعة أعوام.
(٦) مظلمة.
(٧) امرأته.
(٨) قلب.
(٩) ظهرت.
(١٠) القنوات الفضائية.

الميَّالاتْ المُمِيلاتْ. التي لها رُؤوسٌ كَرُؤوس القَاقِ والقُـوق[1]، أو ذَنَبِ الغَرْنُوق[2]. فاجْتَذَبَتْـهُ تلـك القَنَـا[3]، وصـار يَظْهَـرُ هنـا وهنا، وهو الرَّجلُ الفَعْفَع[4]، والحُـذَاقِيُّ[5] اليَلْمَـع[6]، وحديثُـه السِّحْرُ الحلالْ، والعذبُ الزُّلالْ. فإنّه ذو ذَرَابَةٍ[7] ولَسَنْ[8]، وأمَّا خَلْقُهُ فكلُّ خَلْق الله حَسَنْ[9]. غير أنَّ لكلٍّ ما يسـقطُ مَـنْ يَلْقُـطْ، ولكلِّ رَسَنٍ[10] مَنْ يَربُطْ. فلم يكُ إلاَّ شهورْ؛ حتى تحوَّل الشـيخُ الوقُـورْ إلى عَنَطْـنَطٍ[11] خَيتُـور[12]. قَلَـبَ دِمَاغَـهُ المعْجَبُـونْ والمُعْجَبَاتْ، بِالسُّؤال والرَّسائل والاتصـالاتْ. وصَـارَ الخطيـبُ مَخْطُوبًا، ولدى الرَّعابيبِ[13] مطلوبًا. وضجيجُ الجوّال لا يَفْتُـرْ،

---

(١) القاق: الأحمق الطائش، والقوق: طائر طويل العنق.

(٢) طائر.

(٣) اسم جمع قناة.

(٤) الرّجل الخفيف.

(٥) الحُلْوِ الكلام، الرَّطب اللِّسان.

(٦) اسم برق، يُشبَّه به الكذوب.

(٧) فصاحة.

(٨) بلاغة.

(٩) تُعرِّض بِقُبحه.

(١٠) الحبل.

(١١) طويل العنق حسنه.

(١٢) الدَّاهية.

(١٣) السمين الممتلئ.

ورَنينُ الهَاتِفِ يَهْدِرْ، وصوتُ خاطفٍ[1] ظلّهْ يُصَفِّرْ. هذه مُعْجَبَـةٌ بِصَوْتِهْ، وأخرى ببسمتِهِ وسَمْتِهْ. وثالثةٌ بلَفْظِـهِ وسَـبْكِهْ، وجَـودَةِ فِكْرِهِ وحَبْكِهْ. ورَابعَةٌ تَدْعُو بأن يَجْمَعَهُمُ اللهُ في مُسْتَقَرِّ رَحْمَتِـهْ، وأنْ يَرْزُقَهُ اللهُ مَنْ هو في مِثْلِ طَلْعَتِـهْ. ومـا مُسـتَقَرُّ الرَّحْمَـةِ عنـدَ البُلْهَاءْ، إلاَّ غُرْفَةُ الشَّوْشَلاءْ[2]. ولو تراهُ وهـو يُكلِّـم سَـوْطَهْ[3]، لقلتَ: إنه قَحْمٌ[4] من الحوطَةْ[5].

فهَاجَتْ رِيَاحُ التغييرِ في حَظِيرَةِ المَوَدَّةْ، وهَبَّ إعْصَارُ الأَغْيَـارِ بنَارِ الغَيْرَةِ على البيتِ فَهَـدَّهْ. وتَضَـاءَلَ اللُّطْـفُ، وخَـرَّ السَّـقْفُ. فعَجلْتُ بالاسْتِطْلاَقْ[6]، والْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقْ[7]. وانْقَلَبْـتُ إلى أهْلِي في غير سُرورْ، ولا جَذَلٍ ولا حُبورْ[8].

---

(١) طائرٌ إذا رأى ظلّه في الماء أقبل ليخطفه، وجعلتُه اسمًا للفاكس.

(٢) غرفة النوم، والشوشلاء: الجماع.

(٣) جواله، وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يكلِّمَ الرَّجُلَ عَذَبَة سـوطه». وهـو جـزء مـن حـديث مرفـوع، أخرجـه أحمـد (٨٣/٣)، والترمـذيّ (٢١٨١)، عــن أبي سـعيد الخـدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وصــححه الألبــاني في (السلسلة الصحيحة: ١٢٢).

(٤) مسنّ.

(٥) حوطة بني تميم.

(٦) طلب الطلاق.

(٧) كناية عن الشدّة.

(٨) الجذل والحبور: الفرح والسرور.

المَقامَة العَقارِيّة

(مناظرة بين مالكٍ ومُستأجر)

قال أبو العينين:

حدَّث أبو إسحاقْ، في نَفَرٍ مِنَ الحُذَّاقْ، قال: تَشَاجَرَ مُسْتأجِرٌ ومالِكْ، مِنْ بَني مَالِكْ. قال المستأجرُ: الأرضُ كلُّها لي، أنزلُ حيثُ شِئتُ بمالي. أتبوَّأُ حيثُ أشاء، وأبتعدُ عمَّن أساء. إذا ضاق بي مكانْ، لم يَضِقْ بي مكانْ. إنْ جارَ عليَّ جاري، تركتُ له وِجَاري[1]. وإن قَلْقَلَني[2] صَوْتْ، فَلا فَزَعٌ ولا فَوْتْ. أعدِلُ إلى مكان قَريبْ، بِجِوار عالِمٍ أريبْ. أو عَالَمٍ غَريبْ، أو عاملٍ أديبْ. أو أُجاور البيتَ العتيقْ، أو مَسْجِدَ النَّبيِّ الشَّفيقﷺ[3]. أو في المَسْجد الأقْصَى، وهو أمَلٌ لا يُقْصَى[4]. بِلا فِتْنَة تُخْشَى، ولا سوءِ عِشْرَةٍ تُغْشَى.

---

(١) مأواي ومسكني.

(٢) أزعجني.

(٣) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

(٤) أمل غير بعيد، لا يُيْأس منه.

إنَّك أيُّها المالِـكْ، واقِـعٌ في المَهالِـكْ. تُكلِّـفُ نفسَـك جَمْـعَ المالْ، والتَّقْتِيرَ على العِيَالْ. وتَجْهَـدُ في الإشْـراف علـى البِنـاءْ، وتَلْقَـى عَنـاءً بَعْـدَ عَنَـاء. منـها خـداع المقـاول[1]، وصُـداع المَعَـاوِل[2]. وشـرهُ[3] العُمَّـال، وشِـرَّةُ[4] الحَمَّـالْ، وتَـزَاحُـم الأعَمْال.

ثم إنِّـي أيُّهـا المالـك الحَـزينْ، حَظيـتُ بِوَصَـاة الأمَـينْ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما دَفَعَ مسـتأجرٌ وسَـلَّمْ. في الحـديث الجليـلْ، «كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غَريبٌ، أو عابِرُ سَـبيلْ». أخرجَـه البخـاريُّ الأَبَرُّ، عن التقيِّ ابن عُمَرْ. وما العَابرْ، سِوَى المُسْتأجِرْ، وصِنْوُ[5] المُهـاجِرْ. الـذي جَـنَحَ إلى شـجرةٍ وقـال[6]، ثُـمَّ تركهـا ومـالْ. لا المالك التَّاجِرُ الذي ركَن إلى الدُّنيا، واستَبدل السُّفلى بالعُليا.

---

(١) المقاول: من يتعهَّد بالقيام بعمل مُعَيَّن، مستكمل لشروط خاصة، كبنـاء بيـت أو إصـلاح طريـق، وتوضـح التفصـيلات لـه في عقـد يوقِّعـه المتعاقدان.

(٢) جمعُ مِعْوَل.

(٣) جشع.

(٤) حِدَّتهم.

(٥) الصنو - هنا -: الأخ، وله معانٍ أخرى، منها: الابـن، والعـم، والحفـر المعطّل، وجمعه أصناء، وصنوان، والأنثى: صِنوَة.

(٦) من القيلولة.

إنَّك أيُّها المالِكْ، في دُنيا المهالِك. تركنُ إلى الـدُّنيا الفانيَـةْ، تبني عمارةً وتُفكرٍّ في الثَّانيَةْ. تظنُّ أنَّك في عَيش رَغيد[1]، ومقامٍ سَعيد. هَلُمَّ إليَّ حتَّى أُرِيَكَ السَّعادَةْ، وعـيش السُّـعداء والسَّـادَةْ. أتخفَّفُ من الثِّقَلْ، وأستمتع بالنُّقَل[2]. ولا أحمِلُ هَـمَّ التَّسْـوية، لما انقضَّ من الأبنيَةْ. إنْ عَرَضَ لي مُزْعِجَاتْ، في أيِّ وقـتٍ مـن الأوقاتْ. فَزِعْـتُ إلى بَـديلْ، بأخْصَـرِ سَـبيلْ. كـأنَّ الـدُّنيا كُلَّهـا مِلْكيْ، ومَراكبي وفُلْكي. وما أنتَ أيُّها المالِـكْ، إلاَّ عبـدُ بيتـك ومالِكْ. وقد قال الأوَّلْ، حِكْمَةً لا تُؤوَّلْ:

ولا يقـيمُ علـى ضَـيمٍ يُـرادُ بِـــهِ
إلاَّ الأذلاَّن عَيْرُ الحَـــيِّ[3] والوَتِـدُ
هذا عَلَى الخَسْفِ[4] مَرْبوطٌ بِرُمَّتـه[5]
وذا يُشـجُّ[6] فـلا يَـرْثي لَـهُ أحَـدُ

(١) واسع.
(٢) جمع نقلة
(٣) العَير: الحمار، ومن معانيه أيضًا: الوتد، والطبل، والجمل، وكـلّ نـاتئ وسط الشيء، وجبـل بعينـه، ورجـل بعينـه، والسيّد. وفي مثلـث ابـن مالك:

حمـارٌ العَـيرُ وطبـلٌ ووتِـد   ورجـلٌ وجبـلٌ ومـا تجـدْ
مـن نـاتئ وَسَـط شـيءٍ ويَـردْ   وهـو بمعـنى سـيّد الأصـحابِ

(٤) الإذلال.
(٥) بحَبْلِه.
(٦) يدق رأسه.

وإنِّي لا أزالُ لابِثَا، حتَّى أزيد ثالثَا.

إنِّــي أَضَــفْتُ إلى هَــذين صــاحِبَنا

مَنْ فضَّل المِلْكَ لو جُدرانُه مَسَدُ[1]

أَلَمْ تَرَ إلى ذلك الهَلُوعِ[2]، حين دَهَم بيتَـه مَشْـروعٌ[3]. فجـاءَه التَّعويضُ[4] المُخْجِلْ، كخُنْثى التَّبويضِ المُشْكِلْ. وضـاقَتْ عليـه الأرْضْ، بطولِها والعَرْضْ. وآخَرُ مِنَ شَـكْلِهْ، ضَـاقَ بأَهْلِـهْ. ولم يَأتِهِ عِوَضٌ أصْلاَ، فصار في نارٍ تَصْـلَى. لأنّـه لا يحمـلُ صـكًّا، فدُكَّ بيتُه دكًّا. وهامَ على وجْهِهِ في الفَدافِدِ[5]، ولم يَجِدْ لـه مِـنْ رَافِدْ. فالحَمْدُ لله الذي عافَانِيْ، ممَّا ابتلاكَ بِهِ وأنْجَانِيْ.

فتبسَّم المالِكُ ثم قَهْقَه[6]، وقال: يا أيّها الرُّفْقَةْ. لقد أضْـحَكَني هذه اللَّيلَةْ، صاحِبُ العَيْلَةْ[7]! أُوتي شيئًا من الفصَاحَةِ واللَّسَـنْ،

(١) مسد: حبلٌ من ليف.

(٢) الهَلُوع هو: كما وصفه الله - سبحانه -: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝٢١﴾ [المعارج].

(٣) المشروع - في هذا السياق - في عُرف اليوم: بناء مصلحة عامّة، أو شَـقُّ طريق ونحوه.

(٤) التعويضات القليلة تكون في المنازل التي لا يملك صاحبها صكّ ملكية.

(٥) جمع فدفد: الفلاة، والمكان الصُّلب الغليظ، والمرتفع.

(٦) القهقهة: ضحك شديد.

(٧) الفقر.

فقبَّحَ الحَسَنْ. وحَسَّنَ القَبيحْ، وضَعَّفَ الصَّحيحْ. وقَلَبَ وأدْرَجْ[1]، ووقفَ بِلا مَخْرَجْ. اِسْمَعْ يا صاحبَ الأباطيلْ، ومُتقَوِّل الأقاويلْ! لقد أحزَنَتْني أحْلامُكْ، وأزعَجني كلامُكْ. وكيف لا آسى[2]، وقد أذكرْتني قَومَ موسى. الذين أكثروا الكلامْ، ولم يَصْبِرُوا على طعامْ. واسْتَبْدَلُوا الأدْنى، بالَّذي هُوَ أسْنى[3].

أتريدُ أن أكُونَ كالقِطَّةْ، كُلَّ يَومٍ حَطَّةْ[4]. يَشْمَتُ بي ذوو الشَّنآنْ[5]، في كُلِّ وقتٍ وآنْ. يقولون: ما لِهذا يُغادِرْ[6]، أمَجْنون أمْ غَيرُ قادِرْ. لا يُحْسِنُ التَّدبير، ولا يُجوِّدُ التّفكيرْ. كُلَّ يومٍ في مِحْلالْ[7]، كأنّه مِنْ بَني إسْرالْ[8]. ضَيَّع نفسَه وولدَهْ، وأتلفَ كُلَّ ما وَجَدَهْ. أو قَتَّر على عيالِهْ، فَبَخِلَ عليهم بمَالِهْ. يحسبُ أنَّ مالَهُ أخْلَدَهْ، إذ جَمَعَهُ وعَدَّدَهْ! كَلاَّ .. أيُّها الغِرّْ[9]، وشَبيهَ الهِرّْ[10].

(١) أدخل في الكلام ما ليس فيه.
(٢) أحزن.
(٣) أعلى.
(٤) الحطّ: الحدرُ من علو إلى أسفل، والمرّة: الحَطّة.
(٥) البغض، ونونه تسكّن، وتفتح.
(٦) يترك مكانه.
(٧) المكان الذي يحلُّ فيه الناس.
(٨) إسْرال: بنو إسرائيل، الذين كانوا في التيه.
(٩) الجاهل الذي لم يجرِّب الأمور.
(١٠) لأنه في كل يوم في مكان.

لقد قُلْتَ قوْلاً شَطَطَا[1]، وأمْرًا خائِبًا فُرُطَا[2]. المِلكُ عِزٌّ وإعزازْ، وشِفاءٌ مِنَ الجَازْ[3]. وسَكَنٌ وقَرارْ، وراحةٌ للكبارْ. إنَّه لا مُلكَ لِصنديدْ[4]، إلاَّ بمِلْكٍ عتيدْ[5]. ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ١٩ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ٢٠ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ٢١ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ٢٢﴾ [فاطر].

كَمْ مِنْ مُسْتأجِرٍ في السِّجْنِ[6] قابِعْ[7]، لم ينفعْهُ خِلٌّ ولا شَافِعْ. لأنَّه لم يدفعْ ما عليهِ بالحُسْنَى، وضَيَّعَ مالَه وأفْنَى. وكَمْ طريدٍ أُخْرِجَ من دارِهْ، لِقِلَّةِ مالِهِ وضَعْفِ مِقْدارِهْ. أضْنَى[8] أهلَهُ وعِيالَهْ، وأتعبَ نفسَه وبالَهْ[9]. وخَلْخَلَ[10] أثاثَهُ ومتاعَهْ، ورُبَّما أعياهُ فبَاعَهْ. فأمَّا مَنْ كانت له مَكْتبةْ، فَهْيَ الطَّامةُ واللَّبْلَبَةْ[11]. كَيْفَ

(١) بعيدًا عن الحقِّ.
(٢) مجاوزًا للحدِّ.
(٣) الجأزُ: اسم الغَصَص في الصدر.
(٤) السيّد الشجاع.
(٥) حاضر.
(٦) بفتح السِّين وكسرها، وهو الأفصح.
(٧) ماكثٌ فيه، متخلف عن أهله وصحبه.
(٨) أمرض.
(٩) قلبه.
(١٠) أحدث فيه خللاً يؤدّي إلى فساده.
(١١) التّفرق.

يَحْمِلُهَا، وكَيْفَ يُجْمِلُهَا[1]. وكَيْفَ يُعِيدُها، وكَيْفَ يَشِيدُهَا ؟!![2]

قُلْ لي أيُّها المستاجِرْ، والمُمَارِي[3] المُشاجِرْ!![4]

ماذا تقولُ لأفراخٍ[5] تركتَهمُ
نهبَ العقارِ[6] عليهم ذِلّةٌ رهقَتْ

في كلِّ حينٍ يُدَقُّ البابُ يطلبُهم
ذو الدَّار أُجْرَتَهُ مَعْ أُجْرةٍ سَبَقَتْ

لهم نقودٌ ولكن لا تفي فَلَهُمْ
أمٌّ عجوزٌ وأخْتٌ مُرضِعٌ طَلُقَتْ[7]

مُهَدَّدون بإخراجٍ على عَجَلٍ
وفي الدُّيون هناك الأمُّ قد غَرِقَتْ[8]

---

(١) يضعها جملةً.
(٢) يبنيها. يقال: شاد البناء: إذا أعلاه ورفعه، أو طلاه بالشِّيد، ويقال: أشاد البناء: أعلاه أيضًا.
(٣) المجادل بالباطل.
(٤) المُنازع.
(٥) صبية صغار.
(٦) لأن أموالهم المدفوعة للإيجار ينهبها وتأكلها قيمته.
(٧) طَلَقَت من زوجها، على وزن: كَرُم، ونَصَر.
(٨) مقطوعة من أبيات التزمتُ فيها بما لا يلزم.

قال أبو العَيـنينْ: الجمـعُ بـين القَـولينْ. أن الإيجـارَ خـيرٌ مـن التَّمليكْ، للعُزَّاب الصَّعاليكْ[١]. ولمن كان قليل التَّابعينْ[٢]، مـن أولي الإرْبَةَ[٣] والأطفالْ، وغيرِهم من ذواتِ الحِجَالْ[٤]، ولمـن كان طويلَ البالْ، كثيرَ الأسْفارْ، قليلَ الأسْـفارْ[٥]. ولكـلٍّ وِجْهَـةٌ هو مُوَلاَّها[٦]، وعقيـدة يتولاَّهـا. والنّفـوسُ اللّطيفـةْ، والعـزائم الشَّريفةْ، لا تبني سعادتها على تحصيل الكمالْ، وكثرةِ العَـرَضِ والمالْ. ولا تركنُ إلى أمِّ دَفْرْ[٧]، وإن جَمعَتِ الرِّياشَ والـوَفَرْ[٨]. وهي إن ملكتِ العقارَ والبيوتْ، لَتعلمُ ما فـوق «العنكبـوت»[٩]. ولتذهب الدُّنيا الفانيَةْ، إذا بقيت الصِّحةُ والعافيَـةْ. وبقـي الأمـنُ والسَّلامْ، وقبل ذلك نعمةُ الإسلامْ، وطاعـة القُـدّوسِ السَّـلامْ، والسَّلامُ عليكمْ وعليكمُ السَّلاَمْ.

(١) جمع صعلوك، من لا مال له.

(٢) من يتبعه ممّن يعوله كالخدم.

(٣) أولي الحاجة والعقل.

(٤) جمع حِجل، وهو حليّ يوضع في الرّجل، تلبسه المرأة.

(٥) الأسفار هنا جمع سِفْر، وهو الكتاب، الأسفار الأولى جمع سَفَر، بالفتح.

(٦) بهذا اللّفظ قراءة ابن عامر الشامي.

(٧) كنية الدُّنيا.

(٨) المال الكثير.

(٩) سورة القصص، وهي قبل العنكبوت، وفي آخرها قصّة قارون.

المَقامَة التّخَيُّليّة

قال أبو العينين:

انْصَرَفتُ مِن المَسجدِ الحَرَامْ، في أحـدِ الأيَّـامْ. بعـدَ الصَّـلاةِ الوُسْطَى[1]، إلى دارٍ وُسْطَى. بينَ جَمْعٍ ومِنَى، في سَنَاء وَسَنَا[2]. على قُرْبَجٍ[3] واسِعْ، أمام سَـاحٍ شَاسِـعْ. فمـا هـو إلاَّ أنْ وَلَجْـتُ الطَّنَفْ[4]، وإذا بأبي إسحاقَ قَدْ هَتَفْ. يستأذنُ لِيَزُورْ، سَـاعةً ثم يَحُوْرْ[5]. فَرَآني مُطْرِقًا حِينَ ولَجْ، وظنني أذِنْـتُ بِحَـرَجْ، وَوَدِتُ لو أنَّه خَرَجْ.

قال أبو العينين: واللهِ ما لَكَ عليَّ يَمِيْنْ، إنّي لَعَلَى ما تَرَى مُنْذُ حِيْنْ، وإنّي لفي جِيمٍ وَسِين[6]. وإنَّ البالَ لَفي بَلْبـالٍ وبَلْبَـالْ[7]، وَخَيالٍ وَأَهْوَالْ.

(١) صلاة العصر.

(٢) في رِفعة ونور.

(٣) الحانوت.

(٤) صحن البيت، وهو الصّالة.

(٥) يرجع.

(٦) سؤال وجواب.

(٧) همّ ووساس.

كما أنشد مَن قال:

طَرقَ الخيالُ فهاجني من مَهجَعِي

رَجْعَ التَّحِيَّةِ في الظّلام المُهْلسِ[١]

إي وربِّي، لقد طافَ الخيالُ بي، ودنا بقربي. ووافاني بمرآة المئة السَّادسة بعد العجوز[٢]، ورأيتُ من خلالها ما يَجُوزُ وما يحُوزْ. رأيتُ النَّاسْ، أشباهَ النَّاسْ.

قال: لقد هَزَّني مَقَالُكْ، وحَرَّكني خيالُكْ. فباللهِ إلاَّ حدثتني بطيفِه[٣]، وجوَلانه وطَوْفِه[٤]. ففي الخيالِ ما هو حقائقْ، أو كَابْنِ ثَهْلَلٍ[٥] زاهِقْ.

قلتُ: سأنبئكَ بما تريدُ، بلا نقصٍ ولا مَزيدْ. فلا تسألنّي عن شَيْءْ، تراه كالفَيْءِ[٦]. حتَّى أُحْدِثَ لكَ منه ذِكْرًا، وتسمعَ له فَسْرًا[٧].

(١) الإهلاس: إسرار الحديث، وإخفاؤه.

(٢) من معاني العجوز: الألف من كلّ شيء، أي: (١٦٠٠هـ).

(٣) طائف الخيال.

(٤) طوفانه، يقال: طاف طوفًا وطوافًا وطوَفانًا.

(٥) تكني العرب الباطل بابن ثهْلَل.

(٦) كالظّل.

(٧) تفسيرًا.

إنِّـــي رَأَيْـــتُ سَـــمَاءَ الحَـــيِّ مُمْتَلِئًـــا
بالطَّـــائِراتِ كَأَسْـــرَابٍ مِـــنَ الحَجَـــلِ[1]
وَلِلْبُيُـــوتِ مَســـاراتٌ تَمُـــرُّ بهـــا
مَرَّ السَّـحَاب بِـلا رَيْـثٍ وَلا عَجَـلِ[2]
هِي الرَّوَاحِـلُ بَـلْ هُـمْ يَدْرُسُـونَ بِهَـا
وَيَعْمَلُـونَ عَلَـى أَجْـرٍ إِلَـى أجَـلِ[3]
وَالطِّفْـلُ مِنــهم يَقُــودُ القَــومَ مُــدَّرِعًا
ثَوْبَ الحَمَاسِ بِـلا خَـوفٍ ولا وَجَـلِ
وَالكُتْبُ قد أُدْرِجَتْ جَوفَ الجُحور ولَمْ
يَمَسَّها المَـرْءُ إلاَّ خَـافَ مِـنْ مَجَـلِ[4]

---

(١) نوع من الطير.
(٢) أي: أن البيوت متنقّلة.
(٣) بيوتهم هي رواحلهم ومدارسهم وأماكن عملهم.
(٤) مَجِلَت يده، كفرح ونصر: نفِطت من العمل، والمعنى: أن الكتب صارت مهجورة مغبّرة، ويخاف لامسها من أن تؤثر في يده.

وَلِلْقِــــرَاءَةِ شِــــبْهٌ لا يَشَـــكُّ بِـــهِ
في القَــارِئينَ مِــن الإنشــادِ والزَّجَــلِ[1]

وفي الخَرِيطَةِ أصْقَاعٌ خَلَـتْ وَمَضَـتْ
في وَسْمٍ كـان كَأخْبَـارٍ مِـنَ الـدَّجَلِ[2]

وَلِلأمَانَـــــةِ طَيْـــفٌ لامِـــعٌ فَـــإذا
كان الصَّبَاحُ خَلَتْ مِن هِمَّـةِ الرَّجُـلِ[3]

وَلِلْجَهالَـــــةِ فَـــــوْحٌ في ثِيَــــابِهِمْ
ولا مَكَــانَ بِوَجْـهٍ لاحَ مِـن خَجَـلِ[4]

وأُلْهِمــوا بعـــد ذا أن يعرفــوا عَــدَدًا
من الكواكب غيرَ الأرض في بَجَـلِ[5]

(١) يعني أن الناس يبالغون في تلحين القرآن، والتغني به، وتلحينه.
(٢) أي: أن بعض أجزاء من الأرض ستفنى بالبراكين ونحوها، حتى تصبح في خبر كان، ولا أثر لها، وبعضها سيفنى بسلطان القوّة.
(٣) هذا مصداق الحديث الوارد في الصحيح في أن الأمانة تنزع من القلوب.
(٤) هذا أيضًا مصداق الحديث الثابت في الصحيح في ذهاب العلم بموت العلماء.
(٥) البجل: العجب، والمعنى: أن الناس يكتشفون بعض الكواكب الأخرى الصالحة للإقامة، وقد يكون منها الأرضون الأخرى، لأن العلم لم يستطع إلى الآن تفسير ما أخبر به القرآن من وجود سبع أرضين.

وعرَّسوا[1] فوقها أيّامهم ورَعَوْا
أنعامَهم واحتسوا نهرًا من العُجُلِ[2]
هم يحسبون بأنّ الكونَ في يدهِمْ
وقادِرونَ على التّذليلِ للهُجُلِ[3]
لم يلبثوا بعدها إلاّ أُزَيمِنَةً[4]
حتى لقد حُصِدُوا بالآخِذ العَجِلِ[5]

فرفعَ أبو إسحاقَ رأسَهْ، وجَمَعَ نَفَسَهْ ونَفْسَهْ. وفي صدره ضِحكةٌ يكتُمُهَا، واعتراضةٌ يكْظُمُهَا. وأخذ يقلِّبُ كفَّيهْ، ويَعَضُّ على شَفَتيهْ.

(١) باتوا بها.
(٢) أصله: العُجل، بإسكان الجيم، وضمّت إتباعًا، وهو اللّبن الذي يجلبه المعجِّل.
(٣) الهجُل: الطريق التي تُمهَّد، والمراد: أنهم قادرون على تذليلها في ذلك الكوكب كما يفعلون في الأرض، وهو مصداق قول الله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ﴾ [يونس: ٢٤].
(٤) تصغير أزمنة.
(٥) وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤]، وقد التزمتُ في هذه الأبيات ما لا يلزم.

قلتُ: إنّك لم تَرَ مِنَ الجَمَلِ إلاّ أُذُنَيْـهِ[1]، ولا مـن الشَّـجرِ إلاّ فَنَنَيْهِ[2]. فمطيَّةُ خيالي لا تَنِي[3]، وأرضُهُ ذاتُ جَنِي[4]. وما علـى الخيالِ من سَبيلْ، ولا يقـفُ في سَـبيلِه مُسْتَحيلْ. وحكمـه في الجِرِشَّى[5]، كالحكمِ في الإنشَا[6]. لا يقال لصاحبه: كـاذِب[7]، ولا يغضبُ لقِيلِهِ[8] غاضِبْ، ولا يعاتِبُهُ معاتِبْ.

ومعاذَ الحقّ أن نجزمَ بظـنْ، فمـا الظَّـنُّ إلاَّ كـالمَنّ[9]. لـه[10] حلاوَةُ عَسَلْ، ثم يتبعه شَيءٌ كالأسَلْ[11].

واعلمْ أبا إسحاقْ، حفظَـكَ الخَـلاَّقْ. أنّ الأخبـارَ المصـدَّقةْ، والنُّصوص المُحقّقَةْ. قد دلَّتْ دلالةَ التِزامْ. علـى أنَّ النَّـاسَ قبـلَ القيامْ. يعودون إلى العاديات[12]، ويغيرون علـى المُغـيرات[13].

---

(١) أي: لم تر من الحقيقة إلا شيئًا قليلاً منها.

(٢) تثنية فَنَن: الغُصن، والجمع: أفنان.

(٣) لا تتعب.

(٤) أي: ذات ثمر جني.

(٥) النفس.

(٦) بالقصر.

(٧) لأنّ الإنشاء هو: ما لا يحتمل الصدق والكذب لذاته.

(٨) لقوله.

(٩) للمَنّ معنيان، شيءٌ كالعَسل، والمنّ بالصَّدقة والعطيّة.

(١٠) أعيد الضمير على أحد المعنيين للمَنّ، وهو العسل.

(١١) الأسل: الرّماح، والنّبل، وشوك.

(١٢) الإبل تعدو.

(١٣) الخيل يُغار بها.

ويَرعَونَ في المدائن أمّ جَعْفَرْ[1]، ولا يُسْمَع فيهم من استغفرْ. والله المستعانْ، وعليه التُّكلانْ.

(١) كنية الشاة عند العرب. وقد ثبت في الحديث: أن السّاعة تقوم وراعيان من مُزينة ينعقان بغنمهما عند ثنية الوداع، وهي وسط المدينة النبوية. والمراد من الكلام السابق: أنّ بعض الأخبار النبويّة قد يُفهم منها أن حالَ الناس في آخر الزّمان يكون كحالهم في أوّل الأمر، وقد عُطِّلت هذه الوسائل.

المَقَامَةُ السُّهَادِيّة

سبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم

قال أبو العينين - وهو في سَمَرٍ معَ أصحابِهْ، وصُدَقائه وأحبابِهْ -:

النَّومُ: ضَيفْ، لا يأتيك مع الخوفْ. إذا طلبْتَهُ أنِفْ[1]، وإن طلبكَ كَلِفْ[2]. غذاء الأرواحْ، وشِفاءُ الأتراحْ[3]، ومُولِّدُ الانشراحْ. أنفسنا حين ننامْ، في قبضةِ القَيَّام[4]. إلى أجلٍ مَحْدُودْ، وزَمَنٍ مَعْدودْ. يمضي في فلك الزّمان، وتَعَاقُبِ المَلوَان[5]. ليلٌ قد عَسْعَس[6]، وصبحٌ يتنفّس[7]. بحكمة وتدبيرْ، من لَدُن حكيمٍ خبيرْ. إنسانٌ يَنامُ على كُلِّ حالْ، بِكُلِّ الهَيْئات

---

(١) أبى واستنكف.

(٢) تعلّق بك.

(٣) الأحزان.

(٤) القائم بكل شيء وهو الله عزّ وجلّ، لغة في القيّوم.

(٥) الليل والنهار.

(٦) أقبل بظلامه وأدبر (ضدّ).

(٧) قال سبحانه: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير]: إذا تبلَّج وأشرق.

والأحْوَالْ. وذئبٌ يَهْجَعُ بإحدى مُقْلتيه[١]، وخُفَّاشٌ وهـو مُعَلَّقٌ رِجْلَيْهْ. وحِصَانٌ ينامُ على أربع[٢]، وفُهُودٌ تَرْقُدُ في كلِّ مَرْبَع[٣].

ومِنْ ثَمَّ كان آيةً من الآيـاتْ، كمـا في الآيـات البيِّنـاتْ. قـال الحَـيُّ القيُّـومْ، في سـورة [الـرُّومْ]: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [آية: ٢٣]، فإنّه - إذَن - في اللَّيل والنَّهارْ، كمـا قـال الجبَّارْ. وأكْثَرُ الامتنـانِ بـه في اللَّيـل[٤]، فهْـوَ أخْفَـى للوَيْـل[٥]. ومَحلُّ السَّكَنِ والسُّكونْ، والهَدْأةِ[٦] والكُمونْ[٧]، وهـو اللِّبـاس المَصُونْ.

---

(١) هذا إشارة إلى البيت المشهور في حَذَر الذئب:

ينام بإحدى مُقْلتيه ويتَّقي   بأخرى المنايا فهو يقظانُ هاجعُ

وإغماض إحدى العينين دون الأخرى ممكنٌ في النوم، أو ممكن تصوَّره، وأمَّا أن يكون نائمًا يقظان فغير ممكن، وإنَّما هو من زعمات العرب.

(٢) لأنَّ أكثر نومه وهو قائم.

(٣) المَربع: مكان الإقامة، والفهد كثير النوم، وفي المثل: أنْوَم من فهد.

(٤) كقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ [يونس: ٦٧]، وقرن النوم بالليل في غير آية، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ].

(٥) إشاة إلى المثل العربي: الليل أخفى للويل.

(٦) الهدوء.

(٧) كَمَنَ الشيء، بمعنى: استتر.

قال أبو العينين: دُونَكم أيُّها الإخوانْ، فوائدَ في هـذا الشَّـانْ. وفَرائدَ وشواردْ، وقواعِـدَ وشَـواهِدْ. قبسـتُ شـهابها مـن كتـب القَومْ، الَّذين صنَّفوا في النَّومْ. نافعةٌ لمَنْ جفا الكَـرى[1] جَفنيـهْ، وهَاجَره ولو أطبق عينَيه. فالأرقُ: حركةُ فِكْرٍ دائِمَةْ، لا تُرى مَعَها العَينُ نائمةْ. وسأخاطبُ هذه الوجوه السَّاجِدَةْ، كَخِطـابي للـذَّات الواحِدَةْ. لا تترك العَشاء ألبتَّةْ[2]، ولو لُقَيماتٍ[3] أو حَتَّةْ[4].

وقــد رَوَوا «تَــركُ العَشــاءِ مَهْرَمَــةْ»

أخرجَــهُ ابــن سَــورَةٍ في الأطعِمَــةْ[5]

---

(١) النوم.

(٢) بهمزة قطع، ويجوز الوصل، والقطع أفصح.

(٣) أي: ولو كان لقيمات، ويقع حذف كان كثيرًا بعد «لو» و«إن»، كما قال ابن مالك:

* وبعد إن لو كثيرًا ذا اشتهر *

(٤) شيئًا قليلاً.

(٥) أخرَجَه محمد بن عيسى بن سَورَةَ الترمذيُّ صاحب «السنن» في كتاب الأطعمة، باب ما جاء في فضل العَشاء (٤/٢٨٧): من طريق عنبسة بن عبد الرحمن القرشيّ، عن عبد الملك بن عَلاَّق، عن أنس بن مالك، قال: قال النبيُّ ﷺ: «تعشَّوْا ولو بكفٍّ من حَشَفْ، فإنَّ تركَ العَشاءِ مَهْرَمة». وهو حديثٌ ضعيفٌ جدًّا، قال التِّرمذيُّ: هذا حديثٌ منكرٌ، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، وعنبسةُ يُضعَّفُ في الحديث، وعبد الملك ابن عَلاَّق مجهولٌ. والبيتُ من منظومة لي في «منافع الأغذية».

ولا تُطِلْ نومَ القَيْلُولَةْ(1)، ودعْ نـوم الغَيلُولَـةِ(2) والعَيلُولـةْ(3).
واحْسُ حَسَواتٍ من رِسْل(4)، كقليلٍ من مَشْل(5). أوِ الْعَقْ لَعْقَتين
مِنَ الثَّوَابْ(6)، واتْلُ ما أوحي مِـنَ الكتـابْ. اقْـرَأهُ بـالعَينَينْ، يـا
خَليل أبي العَينينْ. فهـو أدْعَـى لِجَلْـبِ النُّعَـاسْ، ومَيـلِ الـرَّاسْ.
وامْشِ خُطُوَات بعد عَشائكْ، وارمِ همومَكَ من ورائكْ. ومن عدَّ

(1) النومُ قبل الزّوال بقليل - على غير المعهود عند كـثير مـن النـاس، مـن كونه قبل العصر - ونوم القيلولة نـافعٌ، ولا يصـلح تركُـه لمـن اعتـاده، ولكنه يُسبب الأرق لبعض الناس، فينصح بتركه، لا سيما إذا طال.

(2) النّوم بعد صلاة الصبح.

(3) النّوم بعد العصر. ولبعضهم في أنواع نوم النهار:

النومُ بعـد صـلاة الصـبح غَيلولَـةْ
فَقـرٌ وعنـد الضـحى فـالنومُ فَيلولَـةْ
وهو الفتورُ. وقبل الميل قيـل لـه:
إذْ زاد في العقـل أي بالقـاف قَيلولَـةْ
والنـــوم بعـــد زوال بَـــين فاعلـــه
وبـــين فـــرض صـــلاة كـــان حَيلولَـــةْ
وبعد عصرٍ هلاكًا مورثًا وكذا
كقلّـــة العقـــل بالإهمـــال عَيلولَـــةْ

(4) لبن.

(5) الحلب القليل.

(6) الثّواب له معانٍ، منها: الجزاء، والنحل، والعسل، وهو المراد.

من مئةٍ لواحِدْ[1]، وجدَ نفسَه كالرّاقدْ. قبل بلوغ السَّبعينْ، فإن تمادى فإلى الأربعينْ.

فإنْ غَشيك الوَسَنْ[2]، فأمرٌ حَسَنْ. وإلاّ فعُدْ إلى القراءةْ، حتى تُحِسَّ بالإغفاءةْ[3]. فإن قرأت في كتاب بَشَرْ، فما هو بِشَرّ. إلاَّ أن الشَّيطانْ، أحرصُ في كلِّ آنْ. على شَغْلِ الإنسانْ، عن النَّظرِ في القرآنْ. فمن مَكَرَ به للتَّهويمْ[4]، فما هو بمُليمْ[5].

ومن اعتاد النّومَ في أوَّل اللَّيلْ، لم يشْكُ من أَرَقٍ ولا وَيلْ[6]. وهو الأوفقُ للأبدانِ والأرواحْ، من النَّوم في الإصباحْ. واعلمْ بأنَّ اللَّيل نهارُ العُشاقْ، وذوي الآدابِ والأشْواقْ. ومطيَّة العلماء الحُذَّاقْ، وذوي المواجيد[7] والأذواقْ. لا سيَّما ليلُ الشِّتاء

(١) العدّ من مئة عدًّا تنازليًّا؛ لأن الانشغال به لا يدع منافذ لتشتت الذهن وتفريق جمعيته، فينحصر الفكر في شيءٍ واحدٍ. وخيرٌ من ذلك للحافظ إشغال الذهن بتذكر أسماء السُّور مرتَّبة دون تفكير مُجْهِد؛ لأن جدوى مثل هذه الأشياء إنما تحصل في محفوظ لا يحتاج إلاَّ إلى تركيز.

(٢) النُّعاس.

(٣) خفقة تكون أول النوم، أو النوم القليل، يقال: أغفى وغفا.

(٤) النوم.

(٥) أتى ما يُلام عليه.

(٦) يقول المجرّبون: من اعتاد النوم في أول اللّيل لم يصبه أرقٌ.

(٧) أصحاب الوجد.

الطَّويلْ، فهو الزَّمانُ الجميلْ. وأمَّا ليل الصَّيفْ، فكالضَّيفِ، بل كالطَّيفْ[١]، بل كالسَّيفْ. إن لم تقطعْهُ، قَطَعكَ هُوْ. فمن استغرقه في النَّومْ، فليس عليه من لَومْ. فإنَّ له في النَّهار سَبحًا[٢] طويلاَ، وإنَّ لنا في ذلك دليلاَ. والتَّجربة بُرهانٌ قاطِعْ، ودليلٌ صادِعْ. إنَّ الحياة عللٌ يا قومْ، يُسكَّنُ بالنّومْ. اصنع لنفسك ما ترى، ممَّا يُدني إليك الكَرَى. وإيَّاك والمُنوِّماتْ، فلها اختلاجاتْ، وتحدِثُ اضطراباتْ. وتُصيِّرها عادَةْ، وتَسْلُبُ السَّعادَةْ. إلاَّ أن تكون مُلجَأً، أو دنفًا[٣] طفنشأً[٤]. وثم حركاتٌ خَفيفةْ، غَير مُوجِعة ولا عَنيفةْ. ارْفَعِ السَّاقين ذِراعَا[٥]، ولا تَدَعْ بينهما اتِّساعَا. واضْمُمْ إليك جناحَكْ، تَجِدِ السُّرورَ صباحَكْ.

ولا تشرب الشَّاي ولا البُنّْ[٦]، إذا ما اللَّيلُ جَنّْ[٧]. واسْتعِضْ بمَنْقُوعِ الأُقْحُوَانْ[٨]، أو النَّعناع والرَّيحانْ[٩]. أو بِوَرَقِ

---

(١) الخيال في النوم.

(٢) فراغًا.

(٣) مريضًا.

(٤) ضعيفًا.

(٥) أي: قدر ذراع (نصف متر).

(٦) البنّ هو ما يُسمّى بالقهوة، وعدلت عنها؛ لأنها من أسماء الخمر.

(٧) غطَّى بظلامه.

(٨) هو البابونج.

(٩) الرَّيحان أنواعٌ كثيرة، ومنه ما يُسمَّى اليوم بالحبق.

الصَّفصافْ[1]، تصنعه ذات الإِهْنافْ[2]. ولْتَكُنْ مبالاتك بالأرقْ، كَوَجهٍ غُسِلَ بِمَرَقْ[3]. ولَيِّنْ فِرَاشَك والوطاءْ، وخفِّفْ الوِسَادَةَ والغِطاءْ. ونَمْ على الجنب الذي يُرْضيكْ، لا الذي يُردِيكْ. على اليمينِ نَومُ الصَّالحينْ، وعلى الشِّمال للمترفينْ. وعلى القَفَا لِلْمُفَكِّرينْ، وعلى البطون للبطَّالِينْ. هكذا قيلْ، ولَيْسَ عليه دَلِيلْ[4].

وسلامُ الله عليكم ورحمتُهْ، وبركاته ومغفرتُهْ.

---

(١) معروفٌ لدى أهل العطارة، مسكّن للصداع، وأصل أدوية الصُّداع اليوم مصنوعة منه.

(٢) ضَحِكٌ في فُتُور، خاصٌّ بالنساء.

(٣) يقال في أمثال العوام: وجهه مغسول بمرَق، يقال للذي لا حياء عنده، ولا مبالاة، والمراد: لا تُلقِ للنّوم بالاً.

(٤) لم يصحّ دليلٌ في النَّهي عن النَّوم على هيئة معيَّنة من هيئات الجسد، وأفضل النَّوم طِبًّا وشَرعًا: على اليمين وعلى الشِّمال، والنَّوم على الشِّمال أفضل للهضم. والأحسن ابتداء النوم على اليمين ثم الشِّمال، هكذا قال ابن القيم وغيره.

المَقامَة الإعْدادِيّة

قال أبو العينين:

حكَى أبو إسْحَاقْ، في يَوْم تَلاقْ. كُنَّا في مَعْهَدٍ بذاتِ الرَّوض[1]، في الطَّريقِ المُوْصِلِ إلى الحَوض[2]. نَتَناشدُ فيه أشعارَ العَرَبْ، ونَتَطَارح مُلَحَ الأدَبْ. في كُلِّ حِينٍ وناشِئَةْ[3]، ونحنُ يومئذٍ ناشئَةْ[4]. في سَنَةِ الكَفَاءَةْ[5]، وسِنِّ البَراءَةْ[6]. وكان لي صَاحبٌ رَجَّازْ[7]، وشَاعِرٌ كَالوَزْوَازْ[8]. احْتَنَكَ[9] شَيْطانُ

---

(١) الرّوضة: حيٌّ معروفٌ بمكة، في الطريق إلى منى.

(٢) موضعٌ معروفٌ – العزيزية الآن - كان يُسمّى بحوض البقر، في الطريق إلى مزدلفة.

(٣) ناشئة اللَّيل: ساعاته.

(٤) صغار.

(٥) الثالثة المتوسطة.

(٦) كان ذلك عام ١٤٠١هـ.

(٧) يكثر من نظم الرّجز.

(٨) طائرٌ.

(٩) أحاط بها، واستولى عليها.

الشِّعْرِ مَلَكاتِهْ، وغَلَبَ على أسمَائِهِ وصفاتِهْ. تارةً يُلَقَّبُ بِصَريعِ الغَواني، وحينًا يقالُ لَه: ابنُ هانِي[1].

ولَهُ حِفْظٌ ولَقانَةٌ[2]، وَظَرْفٌ وزَكَانَةٌ[3]. يُخاتِلُني[4] في حِفظِ العُلُومْ، من مَنثورٍ ومَنْظُومْ. ويُسَابِقُني إلى حِلَقِ الأساتِيذْ، دونَ سَائرِ التَّلاميذْ. لا سِيَّمَا في عِلْمِ البَيَانْ، وعُلومِ النَّحْوِ واللِّسَانْ. وكان بَيْنَنَا مُعَاياةٌ[5] في الإعرَابْ، في مُشْكِلِ الكِتَابْ[6]. وزَعَمَ في يومٍ من الأيَّامْ، أنَه حَافِظٌ إمَامْ. وأنَّه حَفِظَ ألفًا من الأبْيَاتْ، في إعرَابِ الآياتْ. ولا يُذكَرُ إعرابُ كَلِمة، إلَّا وقد عَلِمَه. فسألتُهُ بين الحِصَّتين[7]، عن هَاتَين الكَلِمَتين. وهما ﴿قَوۡمٗا طَٰغِينَ﴾، بين ﴿صٓ﴾ و﴿يسٓ﴾[8]. فتلهَّى عنِّي وأدْبَرْ، حين صَلْصَلَ[9]

(١) صريعُ الغواني، هو: مسلم بن الوليد الأنصاري ولاءً، شاعرٌ غَزِل، أكثر من البديع في شعره (ت: ٢٠٨هـ). وابن هانئ، هو: الحسن الحكمي ولاءً، أبو نُوَاس، شاعر العراق في عصره (ت: ١٩٨هـ).
(٢) فهمٌ.
(٣) فِطنة.
(٤) يخادعني.
(٥) مُطارحة في المسائل العَسِرة.
(٦) القرآن الكريم.
(٧) الحصّة: الجزء من الوقت في اصطلاح التّعليم اليوم.
(٨) سورة الصافات، وهي: بعد «يس»، وقبل «ص».
(٩) صوّت.

الجَرَسُ وأنْذَرْ. وقال: نُكْمِلُ القِصَّة، بعدَ انْدِراسِ[1] الحِصَّة. فما لَبِثَ أن كَرَزَ[2] إلى فَصْلِي، متظاهِرًا بوَصْلِي. وتَنَحْنَحَ واحْتَال، واسْتَذْكَرَ السُّؤَال. ورفَعَ بَصَرَهُ وتَمْتَم. وصلَّى على النَّبيِّ وسَلَّمْ. ثُمَّ قال بِلِسَانٍ طَلِيْقْ، وَصَوْتٍ صَهْصَلِيقْ[3].

وخَبَـــرٌ ﴿قَوْمًا﴾و﴿طَٰغِينَ﴾ صِـــفَةْ

فَافْهَمْـــهُ عَنِّـــي يـــا قَـــوِيَّ المَعْرِفَـــةْ

قلتُ: أنَّى لك هَذَا النِّظَامْ، يا أخَا الإسلامْ؟!. قال: مِنْ أَلْفِيَـةِ الإعْرَابْ، لألفَاظِ الكِتَابْ. وأنـا أحْفَظُها حِفْظَـا، وأستَحْضِـرُها معنًى ولفظًا. ثم تلا أبياتًـا مـن كَلْكَلِهَـا[4]، وأبياتًـا مـن أسْـفَلِهَا. فَارْتَاعَ - حِينئِذٍ - بالي[5]، واختَلجَ لَه بَلْبَالي[6]!!. فلمَّـا انصَـرفْنَا من صَلاةِ الفَجْرْ، صَادفتُه عِند الحِجْرْ. فَعَزمتُ لَأسألَنَّه الآنْ، في إعراب القرآنْ. لِأَعلمَ عَنْ يَقينْ، أصَـدَقَ أمْ كـان مـن الكَـاذِبينْ. قلتُ: مـا إعـرابُ ﴿أَمَنَةً﴾ في آيـة ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾، إن

(١) انقضاء.

(٢) دخل.

(٣) شديد.

(٤) صدرها.

(٥) خاطري.

(٦) البلبال: الهمّ والوسواس.

كنتَ من الأكيـاس[١]؟ فـرَاغَ[٢] إلى الـوَرَا، ورَجَـع القَهْقَـرَى[٣].

واستَعَادَ السُّؤالَ، ثم أنشَدَ وقال:

﴿أَمَنَةً﴾ يُنصَـــبُ مفعـــولاً لَـــهُ

يــا صَــاحِبِي فَــأْعْلَمْ عَــدَاكَ[٤] البَلــهُ

ثُمَّ تَركَني ومَشَى، وزَادَنِي دَهَشًا. ولم أزلْ أسألُه في كلِّ لِقَاءَةْ، وذَهَابٍ وإفاءَةْ[٥]. وهو يُجيبُ شِعْرًا مَشْعُورَا، ويَنْقلـبُ إلى أهْلِـهِ مسْرُورًا، ومن ذلك إجابتُه وهو في صَفِّه[٦]، عن إعِـرَابِ ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ﴾[٧]. إذْ قالَ في إجادةْ، بَعْدَ احْتِيالِهِ كَالْعَادَةْ:

﴿ثـــاني عِطْفِـــهِ﴾ عَلَـــى المُخْتَـــارِ

مِـــنَ الأعَارِيـــبِ بِـــلاَ تَمَـــارِي

(١) الحُذَّاق.

(٢) ذهب في خفّة وخُفية.

(٣) الخلف.

(٤) جانَبَك.

(٥) رجوع.

(٦) فصله، وهو مقعد الدِّراسة.

(٧) سورة الحج (آية ٩).

حالٌ، و﴿عِطفِه﴾ المُضَاف في مَحَلْ

نَصْبٍ على المَفْعُولِ بهْ يَا مَنْ عَقَلْ

فَاصْطَلَيْتُ بنَارِ الغَيْرَة[1]، وَزَادَني حَيرةً على حيرةْ. وشَكَكتُ في أَمْرِهْ، وَارْتَبْتُ في خُبْرِهْ. وقلتُ: لأَبْلُونَّهُ يَوْمِي هَذَا، وَلَوْ تَسَلَّلَ لِوَاذَا[2]. وَلأُسَلِّطَنَّ عليه سِهَامَ الرَّيبْ، ولأَرْجُمَنَّه بِالعَيْبِ بلا غَيْبْ[3].

فبَدَهْتُه[4] في أوَّلِ لُقْياهْ، عَنْ إعْرَاب ﴿زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ﴾[5]. فَمَالَ إلى الطِّرجَهَارَة[6]، وَاعْتَلَّ بتَجْدِيدِ الطَّهَارَةْ. وهُوَ في الحَقِيقَةِ يُزَوِّرُ بَيْتًا، وَيلتَمِسُ لِسِراجِهِ زَيْتًا. وقال: لقد تذكَّرتُ البَيْتْ، الذي جَاء بَعْدَ كَيتَ وكَيتْ.

و﴿زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ﴾ في ﴿طه﴾ بَدَلْ

مِنْ لَفْظِ ﴿أَزۡوَٰجٗا﴾ عَلَى القَوْلِ الأَدَلّ

---

(١) الغيرة العلمية، وما أذكاها من غيرة !!.

(٢) لاذ بالشّيء: اعتصم به.

(٣) أي: وهو حاضرٌ.

(٤) فاجأته.

(٥) سورة طه (آية ١٣١).

(٦) إناء صغير.

فَمَا هُوَ إلَّا أن فَطِنْتُ لمَكْرِهْ، وعَرْثِ[1] بَالِـهِ وفِكْـرِهْ. فَطَفِقْـتُ أسْتَسْئِلُهْ، وأُعْجِلهُ في ذلكَ ولا أُمْهِلُهْ. فَقَـالَ: إنْ كُنْـتَ جَـادًّا في الطَّلَبْ، فَمَا إعْرَابُ ﴿حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾؟ قَـالَ ذلـكَ؛ لِيَشْـغَلَ بَالي[2]، ويُفَرِّقَ بَلْبَالي[3]. فتَغَافَلْتُ عـن وَبْـهٍ[4]، وتَخَلَّصْـتُ في نُبْهٍ[5].

فلمَّا صَادفتُهُ في الفُسْحَةْ[6]، بَعْدَ الصُّبْحَةْ[7]. قلتُ لَهْ: أنَسِـيتَ المُطَارَحَةْ، في ليلةِ البَارِحَةْ؟!

قال: أسْمِعْني الإجَابَةْ، وتَحَرَّ الإصابَةْ. فَشَمَّرْتُ عن السَّاعِدْ، بلا مُسَاعِدْ. وقلتُ:

وأعْرَبُـــوا ﴿حمّالـــة﴾ بـــلا جَـــدَلْ

وَهُـــمْ بِـــذاكَ أيَّـــدُوا قَـــوْلَ الجَمَـــل[8]

---

(١) انتزاع.
(٢) قلبي.
(٣) همّي.
(٤) فطنة.
(٥) فطنة.
(٦) استراحة تكون غالبًا بعد الحصة الثالثة لا تزيد على نصف ساعة.
(٧) ما يُتناول من طعام قليل، من شطيرة وعصير ونحوهما، وكان ذلك بعد الحصتين الأوليين.
(٨) حاشية الجمل على الجلالين.

في قولـــه: حـــالاً، وقَـــدْ تَحْتَمِـــلُ
صِـــفَةَ قَطْـــعٍ ولِـــذمٍّ ينقُـــلُ
ابْنَـــا هشـــامٍ وعَقيـــلٍ والإمَـــامْ
جَـــلال الـــدِّين والحريـــريُّ الهُمَـــام

فَقَهْقَهَ[1] الصَّاحبُ واسْتَلْقَى، ورَمَى بكأسِهِ واسْلَنْقَى[2]. وقال: من أينَ لكَ هذا؟ قلتُ: ماذا؟ إنَها ألفيَّتُكَ التي تحفظُها، وأبياتُكَ التي تَلْفظُها. وبَدا لـه مـا لم يَحْتَسِـبْ، بَعْـدَ أنْ كـان في خَطْـبٍ عَصِبٍ[3]. وعَلِمَ أنّه كان مَكْرًا بَمَكْر، ونطَاحَ فِكْرٍ بِفِكْـر. وقـال: أتوبُ من سِجَالِكْ، والوُلُوجِ في تِلكَ المَسَـالِكْ. والسَّـلاَم علـيَّ وعليْهْ، في هذه[4] ويوم العرض عليه[5].

---

(١) ضحك بشدة.

(٢) نام على ظهره.

(٣) خطب عسر.

(٤) أي: في الدّنيا.

(٥) على الله.

المَقامَة المَنْطِقيّة

قال أبو العينين:

المَنْطِقُ: رِيَاضَــةُ الأذْهَــانْ، ومُـوقِظُ الوَسْـنَانْ[1]. وهـذِهِ نُبْـذَةٌ كافيَةْ، وخُلاَصَةٌ صَافيَةْ. لِمَنْ اشْرَأَبَّ[2] إلى عُرُوجِهْ، مِنْ مُصَنَّف إيسَاغُوجِه[3].

إذا دلَّ اللَّفظُ عَلَى ما وُضِعَ لَهُ وطَابَقَـهْ، فَهْـو: دَلالَـةُ مُطابَقَـةْ. وتَضَـمُّنٌ: إنْ دلَّ علـى بعضِـهْ، والْتِـزَامٌ: إنْ دلَّ عَلَـى لازمِـهِ وفَرْضِهِ[4]. ومـا دَلَّ جُـزْؤهُ عَلَـى مَعْنـاه، هـو: الفَـرْدْ، وعكْسُـهُ المُؤَلَّف غـير الفَـرْدْ. والمفـردُ: إمَّـا كُلِّـيٌّ كَـالحَيوَانْ، أو جُزْئـيٌّ كمَرْوَانْ.

والكُلِّيُّ: إمَّا ذاتيٌّ يدخلُ في جُزئياتِهْ، وإمَّا عَرَضِـيٌّ لا يـدخلُ في حَقيقةِ ذاتِهْ. والكُلِّياتُ: جنسٌ كحيوانْ، ونوعٌ كإنسانْ. وفصلٌ كناطِقْ، وخَاصٌّ كصادِقْ، وعامٌّ كفاسقْ. وكِلاَ هَـذَيْنِ عَرَضَـانْ،

---

(١) النائم.

(٢) امتدّ عنقه.

(٣) متن إيساغوجي، متن نثريّ مشهورٌ في المنطق.

(٤) أي: الدّلالة الواجبة.

وكُلُّ ذلك بِالنِّسبة للإنسانْ. والجنسُ: ثلاثةٌ فقطْ؛ قريبٌ أو بعيـدٌ أو وسَطْ.

القَوْل الشَّارِح

الجامِعُ لِكُلِّ ما كان منهُ، والمانعُ لكُلِّ ما صَـدَّ عنـهُ. هـو حَـدُّ الحَدِّ، أو ذو الانْعِكاسِ والطَّرْدْ. ويكونُ بالجِنْسِ القَرِيبْ والفَصْلِ خاصَّةْ، والرَّسـمُ بِـالجِنْسِ القريـب والخاصَّـةْ. وكُـلٌّ مِـنَ الحَـدِّ والارتِسَامْ: ناقِصٌ وتامّْ.

القَضَايَا

القَضِيَةُ والخَبَرُ سِيَّانْ، في اصْـطِلاحِ اليُونـانْ. وهـي قِسْـمَانْ: قضيةٌ حَمليَّةْ، وأخْرَى شَرْطيَّةْ. وهذه مُهْمَلَـة وشَخْصِـيَّةْ، وكُلِّيَّـةٌ جُزْئِيَّةْ. وكُلٌّ من الأربعـة - أيُّهـا الطَّالِـبْ، - إمَّـا مُوجَـبٌ وإمَّـا سَالِبْ. والأوَّلُ: من كُلٍّ يقـالُ لـه: مَوضُـوعْ، والثَّـاني: مَحْمُـولٌ مَرْفُوعْ. وأمَّا الشَّرْطيَّةْ: فهي إمَّا مُتَّصِـلَةْ، وإمَّـا شَـرْطيَّةٌ مُنْفَصِـلَةْ. نَحْو: إنْ كان النَّهارُ مَوجُـودًا فَالشَّـمْسُ طالِعَـةْ، ونَحْـو: إمَّـا أنْ تكون هذه ثالِثَةً أو رابعَةْ. وأوَّلُ الجزئين يُسمَّى المُقَـدَّمْ، والثَّـاني هـو التَّـالي المُسَـلَّمْ. والمُتَّصِـلَةُ: تُوجِـبُ تَـلازُمَ الجُـزئينْ، والمُنْفَصِلَةُ: عكْسُها بِلا مَينْ. وهي: إمّا مانعةُ جمعٍ كَالضِّـدَّينْ، أو: مَانِعَةُ خُلُوِّ الطَّرَفَينْ، أو: كِلَيْهِمَا كَالنَّقِيضَيْنْ.

التَّناقُض

هُوَ: اخْتِلافُ قَضِيَّتين بِالسَّلْبِ والإيجابْ، نَحْوُ: زَيدٌ مِنَ الأصْحَابْ، زَيدٌ لَيْسَ مِنَ الصِّحَابْ. ولا بُدَّ مِنْ صِدْقِ إحْداهُما، وكَذِبِ أُخْراهُما. ولا يَقَعُ التَّناقُضُ إلاَّ بِحُصُولِ ثَمانْ، اتِّحادُ المَوضُوعِ والمَكَانْ، والمَحْمُول والزَّمانْ. والجُزْءِ والكُلِّ، والقُوَّةِ والفِعْلِ. ووِحْدَةُ الإضافَةِ والشَّرْطْ، بِلاَ وكْسٍ ولا فَرْطْ[1].

العَكْس المُسْتَوي

العَكْسُ: جَعْلُ المَحْمُولِ مَوضُوعًا، والمَوضُوعِ مَرْفُوعًا. مَعَ بقاءِ الصِّدْقِ والكيفيَّةْ، والكَمِّ إلاَّ المُوجَبَة الكُلِّيَّةْ. نحو: لا شيءَ مِنَ البَشرِ بِحَجَرْ، ولا شيءَ مِنَ الحَجَرِ بِبَشَرْ. كِلْتا القَضيَّتينْ، آتت خبرَها بلا مَينْ[2]. ولكن المُوجِبَة الكُلِّيَّةْ، عَكْسُها مُوجِبَةٌ جُزْئِيَّةْ. نَحْوُ: كُلُّ إنسانٍ حَيوانْ، بَعْضُ الحَيَوان إنْسانْ. وما اجْتَمَعَ فيه الخِسَّتانْ[3]، فَلاَ عَكْسَ يُسْتَبانْ.

---

(١) أي: بلا نقص ولا غلبة. الوكس: النقص، والفَرْطُ: الغلبة.

(٢) أي: كلٌّ من القضيَّتين صادقة.

(٣) الخِسّتان: السَّلب والجزئية، نحو: بعض الحيوان ليس بإنسان. لا يصحُّ فيه العكس؛ لأنه سيؤول إلى: بعض الإنسان ليس بحيوان، وهو كذب. والعكس يشترط فيه بقاء الصدق، كما ذكرنا.

القِيَاس

قَوْلٌ تَرَكَّبَ من قَضِيَّتين فأكثرْ، يَلْزَمُ عَنْهُما قَولٌ آخَرْ. مثال هذا الأمْرِ، كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرْ. كُلُّ خَمْرٍ حَرامْ، الخَمْرُ حَرامْ.

والقياسُ قِسْمانْ، شَرْطيٌّ[١] وذُو اقْتِرانْ. ومَوضُوعُ النَّتيجَةِ حَدٌّ أصْغَرْ، ومَحْمُولُه حَدٌّ أكبرْ، والأوسطُ: ما تكرَّرْ، ومقدِّمة الأصغر: صُغرى، والأكبرِ: كُبرى.

والشَّكل عند أولئك الناسْ، هو: صُورَةُ القِياسْ. والشَّكْلُ: أربعةُ أشْكالْ، وهي على التَّرتيب في الكمالْ. ولِكُلِّ شَكْلٍ ضُروبْ، تَشْرَحُ المَطْلُوبْ. والحُكْمُ على كُليٍّ؛ لِوُجُوده في الجُزئيّْ. هو: قياسُ الاستقراءْ، بِلاَ مِراءْ. وعكْسُه: القياس المَنطقيّْ، وهو القَوِيُّ النَّقيّْ. وإذا كان الجُزئيُّ عَلَى الجُزئيٍّ هو الدَّليلْ، فَذَلِكَ قياسُ التَّمثيلْ.

أقسام الحجَّة (القياس)

حُجَّةُ نَقْلْ، وحُجَّةُ عَقْلْ. وهذه خَمْسَةَ أقسامْ: برهانٌ وخِصامْ. وخَطابة وشِعْرْ، وسَفْسَطَةُ كَرٍّ وفَرّْ. أجلُّها هو: البُرْهانْ، وهو:

---

(١) ويقال له: الاستثنائيّ، نحو: إنْ كان هذا مُسكرًا فهو خمرٌ، لكنَّه مُسكر، ينتج عنه أنه خمر.

ما أُلِّفَ من مُقدِّماتِ استيقانْ. مَعَ بَدَهيَّاتْ (أوَّليِّاتْ)، ومُشاهَدَاتٍ (وُجدانياتْ). ومُجَرَّبات ومُتَوَاتِرَاتْ، وحَدَسِيَّاتٍ ومَحْسُوساتْ.

والعِلْمُ: نتيجةٌ لازمةٌ عَقْلا، وقيل: عاديٌّ يُتلى. وقيـل: مُتَولِّـدٌ يُدْلى، وقيل: واجبٌ يُمْلي، والأوَّل عندهم أوْلَى.

وصَلَّى اللهُ عَلَى النَّبيِّ الأمينْ، وآلِهِ وصَحْبِهِ أجْمَعينْ، وأتْبَاعِـهِ إلى يَوْمِ الدِّينْ.

المَقامَة السّكاكِيّة

قال أبو العينين:

اخْتَصَرْتُ لكَ عِلْمَ المَعَاني[1]، في جُمَلٍ دَوَاني[2]. وإشـاراتٍ قَريبَـةْ، بألفـاظٍ عَجيبَـةْ. البَلاغَـةُ في الكَـلامْ: مُطَابَقَـةُ المقَـامْ، ويُوصَفُ بِهَا المُـتكَلِّمُ والكَـلام[3]. وإنَّ علـمَ المَعَـاني[4]: يَتَعلَّـقُ بأحْوَالِ المبَاني. وصِدْقُ الأخْبارْ: بِمُطابَقَةِ الواقِعِ عَلَى المُخْتَار[5]. وغَرَضُ المُخْبِر بها، الفائِدَة أو لازِمُهـا[6]. وَخَبَـرُ خـالي الـذِّهْنِ لا يُؤَكَّدْ، وهو لِلْمُتَرَدِّدِ يُؤَكَّدْ. وللمُنكِرِ العَنِيدْ، أكثرُ مِنْ تَوكِيد[7].

---

(١) مِنَ العُلماء من يُسمِّي علم البلاغة: عِلْم المعاني، ومنهم من يسمِّيه: عِلْم البيان، ومنهم من يفصِّل.

(٢) قريبة، مفردها: دانية. وفي القرآن: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة].

(٣) فيقال: كلامٌ بليغ، ومتكلم بليغ. ولا يقال للكلمة المفردة: بليغة.

(٤) المراد بعلم المعاني - هنا -: النوع الأول من أنواع البلاغة.

(٥) صدق الخبر: مطابقته للواقع، ولوكان المخبر كاذبًا.

(٦) أي: غرض المخبر بالأخبار: فائدة الخبر، أو لازمها، وهو: إفادة المخاطب أن المخبر عالم بالخبر.

(٧) يُلقى الخبر خاليًا من التوكيد لخالي الذهن، وأمّا المتردّد فيحسن التوكيد له بمؤكد، والمنكر يؤكد له بأكثر من توكيد.

وربَّما كانَ الإسْنَادُ غَيْرَ حقيقــيْ، نَحْــوُ: سَــارَ بي طَريقــي[1]. ويُحْذَفُ المُسْنَدُ إليهِ ويُذْكَرْ، ويُعَرَّفُ وَيُضْـمَرْ، ويُقـدَّمُ ويُـؤخَّرْ. وكذلكَ الأمرُ في المُسنَدْ[2]، نحـو: الإنسـانُ أحْمَـدْ[3]. ولِلْفِعْـلِ مُتَعَلَّقاتْ، بِالفاعِلِ والمَعْمُولاَتْ[4]. وقـد يجعـلُ الـلاَّزمْ، كَغَـيرِ اللاَّزِمْ. نحـو: يُعْطِـي ويَمْنَـعْ، وهـو يقـولُ ويَسْـمَعْ[5]. وحَـذْفُ المَفْعُولِ بهْ، أَيُّها الطَّالِبُ النَّبِهْ. إمَّا لِلْبَيَانِ بعدَ الإبْهَامْ، أو لِلتَّعْميمْ نحوُ: ﴿يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾[6]. وتَقْديمُهُ للتَّخْصيصِ والتَّعْيينْ، كَـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾[7]. والقَصْرُ حَقيقيٌّ وغَيْرُ حَقيقيٌّ، نَحْو: ما زَيدٌ إلاَّ صَديقيْ. وهـو قَصْـرُ صِـفَةٍ علـى مَوْصُـوف[8]،

(١) في الإسناد ما يُسمَّى بالمَجَاز الإسنادي أو الحكمـيّ أو العقلـي، وهـو إسناد الفعل أو معناه إلى غير ما هو له، كالمثال المـذكور، فـإنَّ الطريـق لا يسير، وإنما يسار فيه، ونحو: بنى الأميرُ المدينة.

(٢) المسند إليه: هو المبتدأ أو الفاعل أو نائبه، وأحواله وأمثلته مبسوطة في كتب البلاغة، ويستطيع الطالب معرفتها باجتهاده. وكذلك المسند، وهو: الخبر أو الفعل، يُحْذف ويُذْكر، ويُقدَّم ويُؤخَّر، ويُعرَّف ويُنكَّر.

(٣) صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٤) باب متعلقات الفعل من مهمَّات علم المعاني.

(٥) ونحو: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

(٦) سورة يونس (آية ٢٥).

(٧) سورة الفاتحة.

(٨) نحو: ما صديقٌ إلاّ زيدٌ.

وعَكْسُهُ مَعْرُوفْ[1]. وهـو أيضًـا قصـرُ قلـبْ، نحـو: هـذه كُلْيـةٌ لا قَلْبْ. وقَصْرُ إفرادٍ أو تَعْيينْ، نَحْو: إنْ أنْتَ إلاَّ أمينْ[2].

ومـــا، و إلاَّ، إنَّمـــا، تَقَـــدُّمُ

طُـرُقُ قَصْـرٍ ورَدَتْ (يـا فَنْـدِمُ!)[3]

والإنشاءُ طَلَبْ، غَيرُ حاصِلٍ وَقْتَ الطَّلَبْ[4]. وهو أمْـرٌ ونَهْـيٌ ودُعَاءْ، وتَمَنٍّ واسْتِفْهَامٌ ونداءْ. و(هل) لِلتَّصْديقِ أيُّها الصَّديقْ[5]. والهَمْزُ لِلتَّصورِ والتَّصْديقْ[6]. وقد يُسْتَعْمَلُ الأمـرُ لِغَيْـرِ صَـنْعَتِهْ، كَتَعْجِيـزِهِ[7] أو تَسْـوِيَتِهْ[8]، أو تَهْديـدِهِ[9] أو إهانَتِـهْ[10]. وعطـفُ

(١) ما زيدٌ إلاَّ صديقٌ.

(٢) قصر إفراد لمن اعتقد الاشتراك فيهما. والتَّعيين لمن اعتقد واحدًا منهما، لا بِعَينه.

(٣) على اللّهجة المصرية. وطُرُق القَصْر (ما مع إلاّ، إنَّما، والتقديم، نحو: شاعرٌ أنا، والعطف بـ «بل، ولكن، ولا»).

(٤) الإنشاء: استدعاء مطلوب غير حاصل وقت الطلب. وهذا هو الطَّلبيُّ.

(٥) نحو: هل زيدٌ عندك ؟

(٦) نحو: أزيدٌ عندك، أم عمرو ؟

(٧) نحو: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

(٨) نحو: ﴿فَاصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ [الطور: ١٦].

(٩) نحو: ﴿اعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

(١٠) نحو: ﴿كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٥٠].

بَعْضِ الجُمَلِ عَلَى بِعْضٍ هُوَ الوَصلْ، وضِدُّه هُوَ الفَصْل. الوَصْلُ نحو: يَرْجُو ويَهَابْ، ونحو: لا، وأكْرَمَهُ الوَهَّابْ. فالأوَّل لِتَمامِ الانْسِجَامْ[1]، والثَّاني لِدَفْعِ الإيْهَامْ[2]. والفَصْلُ لكمالِ الانْتِظَامْ[3]، نَحْوُ: ﴿أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ﴾[4]. أو كمالُ انقطاعٍ بها، نحو: أُرْسُو نُزَاولُها[5]. أو شبْهُ الكَمَالَين[6]، أو التَّوسُّطُ في الحالَينْ. والإيجازُ: أداءُ المَقْصُودْ، بِكَلامٍ مَعْدُودْ، أو لَفْظٍ مَحْدُودْ[7]. وضِدُّهُ الإطْنَابْ، وبَيْنَهُما المُسَاواة بِلا ارْتِيَابْ. والإيجازُ: حَذْفٌ وقِصَرْ، نحو ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾. والإطْنابُ: إمَّا بالإيضاحِ بعد الإبهام، أو الخاصِّ قبلَ العامْ. أو بالاحتراسِ والتَّذييلْ، أو التَّتميم والتَّكميل. أو بِالإيغالِ المُحبَّبْ، كالجِزعِ الذي لم يُثَقَّبْ[8].

---

(١) كمال الاتصال.

(٢) لأنه إذا لم يُعطفْ بِالواو، أوْهَمَ أن يكون دعاءً عليه، لا له.

(٣) كمال الاتصال.

(٤) سورة الشعراء.

(٥) إشارة إلى البيت:

وقال رائدُهم: ارسوا نزاولها ... فكلّ حتف امرئ يجري بمقدار

(٦) إذا كان بين الجملتين شِبْه كمال اتِّصال، نحو: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ﴾، أو شبه كمال الانقطاع.

(٧) مثال إيجاز القصر: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، والحذف: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، أي: أهل القرية.

(٨) انظر: الأمثلة في كتب البلاغة، ومنها كتابي: «البلاغة المُيسَّرة».

وهـذا عِلْـمُ المَعَـانيْ، المُتَعَلِّـقُ بِـأحْوَال المَبَـانيْ. وأمّـا علـم البيان[1]: فهو كَالْعَيْنِ مِنَ الإنسانْ. تَرَى المَعَاني المُؤتَلِفَةْ، بِطُـرُقٍ مُخْتَلِفَةْ. وَمَبَاحِثُهُ التَّشبيهُ والمَجَازْ. نَحْـوُ: زَيْـدٌ كَالبَـازْ، والتَّشـبيهُ ضِمْنِيٌّ ومَقْلُوبْ، وتَمثيلٌ مَحْبُوبْ. والمَجازُ: استعارةٌ ومُرْسَـلْ، نحو: زارني عَنْدَلْ[2]. وهي مُصَـرَّحَةٌ ومَكْنيَّـةْ، وأصـليَّةٌ وتَبَعيَّـة. وتمثِيلِيَّةٌ وَجيزَةْ، كَقَوْلِهِمْ: قَطَعَـتْ جَهِيـزَةْ ... والكِنايـةُ أبلـغُ في البَيَانْ، وهي أبلغُ من البَيان[3].

والثَّالثُ: عِلْمُ البَديعْ، وهـو زُخْـرَفٌ بـديعْ. يكـون في اللَّفْـظِ والمَعْنى، يَصيرُ به الكلامُ أقنَى[4]. فَمِنْ مُحسِّناتِ الألفَـاظْ، أيُّهـا الطَّالبون الأَيْقَاظْ. السَّجعُ والجِنَاس[5]، والقَلْبُ[6] والاقْتِبَاس[7].

---

(١) ما سبق هو علم المعاني، ومن هنـا الكـلام عـن علـم البيـان، والعلاقـة بينهما واضحة، فإن علم المعاني في أحوال الألفاظ ومطابقتـها للحـال، والبيان موضح ومبيّن.

(٢) العَنْدَلُ: البعيرُ إذا كان ضخم الرّأس، وهو مجازٌ هنا، وقرينته الزّيارة.

(٣) أعني التصريح.

(٤) أجمل.

(٥) نحو: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم: ٥٥].

(٦) نحو: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ [المدثر].

(٧) هو تضمن الكلام شيئًا من نصوص الكتاب والسّنة.

ومِـنْ مُحَسِّـناتِ المَعَـاني، يـا كِـرامَ المَعَـاني: الطِّبَـاقُ[1] والمُقابَلَـةُ[2]، والعكْـسُ[3] والمُشَـاكَلَةُ[4]. والتَّوريَـةُ[5] والاسْتِخْدامُ[6]، وحُسْنُ التَّعْليلِ[7] والخِتَامُ[8].

(١) نحو: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨].

(٢) نحو: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢].

(٣) نحو: عادات السادات سادات العادات.

(٤) نحو: «إنّ الله لا يملّ حتى تملّوا»، متفقٌ عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٥) نحو:

أَيُّهَا المُعْرِضُ عنِّي حَسْبُكَ اللهُ تعالى

(٦) كقوله:

وللغَزَالة شيءٌ من تلفُّته ونورها مِنْ ضِيَا خَدَّيه مُكْتَسَبُ

(٧) حُسْنُ التَّعليل: أن تدَّعي لأمر عِلَّة تناسبه باعتبار لطيف، كقوله:

ما كُلْفَةُ البدرِ المُنير قديمة ولكنَّها في وَجْهه أثر اللَّطم

(٨) حُسْنُ الخِتام: مِثْلُ ما ختمنا به.

المَقَامَةُ السُّبْكِيَّة

قال أبو العينين:

قال أبو إسحاق: عَزَمَ الحَشْكَظِيُّ في أحَد دُرُوسِهْ، أن لا يقومَ مِنْ جُلُوسِهْ. حتَّى يعصرَ لتلاميذه أُصُول الفِقْه عَصْرًا، ولو لم يَقُمْ مِنْ مَقَامِه إلاَّ عَصْرًا. فدَعَا بِقدَحَينِ من الشَّاي الأخْضَرْ، ثُمَّ تربَّعَ في جِلْسَتِهِ وشَمَّرْ. وقالْ: الحَمْدُ لله الوَالْ، الكبيرِ المُتَعالْ، وصَلَّى الله على نبيِّه والآلْ، والتَّابعين إلى يوم المآل.

أُصُولُ الفقهِ بالإجْمالْ: أدلَّة الفِقْه على الإجْمَالْ. وفائدته: العِلْمُ بِالأحكامْ؛ لِلْفَوز بالسَّعادةِ على الدَّوامْ. والحُكْم الشَّرعيُّ: تكليفيّ ووضعيٌّ. والأوَّلُ واجبٌ ومُسْتَحَبٌّ، ويقال له: نَدْبْ. ومَكْرُوهٌ لا يُرام، ومُباحٌ وحَرَامْ. والوَضْعيُّ: كالسَّبَبِ والمانعْ، وكالشَّرط القاطِعْ.

والكلامُ: مَجازٌ وحَقيقةْ، وهذه مسألةٌ دَقيقَةْ. والحقيقةُ: لغوية، وعُرفيّة وشرعيّة. والمَجازُ لُغَويٌّ، كَالثَّور لِلْقَويّْ. أو: حُكْميٌّ يستند إلى العقلْ، كَبَنَى الأميرُ الحَقْلْ. والأمْر: (افعلْ)، والنَّهْي: (لا تفعلْ). وهو دالٌّ على التَّحْريمْ، والأمرُ لِلْوُجُوب والتَّسْلِيمْ. والعامُّ: هو ما شَمَلْ، كَالمُعَرَّف بأَلْ. وكُلٍّ وما، ومَتَى وحَيْثُما.

والنَّكرة في سِيَاق الجَحْدْ، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ يَعُمُّ الكافرَ والعَبـدْ. ومِعْيارُ العُمومْ الاستثناءْ، أيّها الأبناءْ.

والتَّخصيص: قَصْرُ العُمُومْ، علـى أمْـرٍ مَعْلُـومْ. وهـو متَّصِـلٌ ومنفَصِلْ، كالاستثناء والبَدَلْ. وأمَّـا ذُو الفَصْـلْ، فكَالتَّخْصـيص بأصْلْ[1]، أو بِالحِسِّ والعَقْلْ. ويُحْمَل المُطْلَقُ علـى المُقَيَّـدْ، في القَول المُؤيَّدْ.

والظَّـاهر الـدَّالُّ بتَصْـحيحْ، والتَّأويـلُ لِـدَليلٍ: صَـحيحْ، وإلاَّ فَفَاسِدٌ أو لَعِبٌ قَبيحْ. وما لم يتَّضِحْ: هو الإجمـالْ، والبيـانُ إخراجه من حيِّز الإشكالْ. ولا يجوزُ تأخيرُه عن وقـت الحاجَـةْ، وواقعٌ تأخيرُه لِحاجَةْ.

والنَّسْخُ: رَفْعُ حُكـمِ الشَّـرعِ بِخَطَـابْ، وهـو واقِـعٌ في السُّـنةِ والكتابْ. والإجماع: اتِّفاق المُجْتَهدينْ، على أمـر الـدِّينْ. ومنـه إجماعُ السُّكُوتْ، وَهْو كَبَيْتِ العَنْكَبُوتْ.

والقيـاسُ: ظُنُـونْ، مَنَعَـه الظَّـاهِريُّونْ، وقَبِلَـهُ آخَـرُونْ. وأَبَـاهُ أبو حنيفةَ في الحُدُود والكفَّـارَاتْ، وقَـومٌ في أصُـول العِبَـادَاتْ. وقَومٌ في غَير الاضْطِرارْ، وهو الصَّحيحُ المختـارْ. والبحـثُ عَـنِ العلَّة تحقيـقُ المَنـاطْ، وتهـذيبُها: تنقـيحُ المنـاطْ. واسـتخراجُها بِالاجتهاد: تخريجُ المناطْ، ومَسالِكُها: طُرُقٌ لها وأشراطْ.

(١) أي: بدليل من الكتاب والسُّنَّة.

ويُحتجّ بالاستِصْحابْ، لَدَى الجُمْهُور والأصْحابْ. ويُفزَعُ إلى الجَمْعْ، عِنْدَ تَعارض دَلِيلَي السَّمْعْ. وإلاَّ فالتَّرْجيحُ بَيْنَهما، وإلاَّ فالنَّسخُ إنْ عُلِمَ آخِرُهُما. والاجتهادُ: بذلُ المجتهد الطَّاقةْ، وهي مفتوحةٌ إلى يَوم الحاقَّةْ. والتَّقليدُ مَردُودْ، والاستِحْسانُ مَنْقُودْ. والحَمْدُ للهِ المَعْبُودْ.

المَقامَة الفَرَضيّة

قال أبو العينين:

كان في قَرْيتنا رَجُلٌ من أهلِ الزَّهادَةْ، والإخباتِ[1] في الغَيبِ والشَّهادَةْ. يتألَّهُ[2] لِلدَّيَّانْ، ويكرهُ الفُسُوقَ والعِصْيانْ. تَسلَّلَ إلى قلوبِ النَّاسِ حُبُّهْ، وآنَسَهم حُضُورُهُ وقُرْبُهْ. وكان الشَّيخُ قد جَاوزَ دَقَّاقَةَ الرِّقابْ[3]، وصارَ قَحْمًا[4] يُسندهُ الأصحَابْ. وتَرَهْيَأَتْ[5] من الكِبَرِ عَيْنَاهْ، وثَقُلَتْ بالسَّمْعِ أُذْنَاهْ. فجاءَتْه وهو قَعْضَمْ[6]، ما تُسمِّيها العَرَبُ أُمَّ قَشْعَمْ[7]. فثَابَ[8] إلى بَارِئِهِ وقَضَى[9]،

(١) الإخبات: خشوع في سكون.

(٢) يتعبّد.

(٣) هي ثمانون سنة، وهي التي يعنيها زهيرٌ في معلقته بقوله:

سئمتُ تكاليف الحياةِ ومن يعش ثمانين حولاً لا أبا لكَ يسأمِ

(٤) مُسنًّا.

(٥) اغْرَوْرَقَت؛ ضَعْفًا وكِبَرًا.

(٦) القعضم: المُسِنّ الذي ذهبت أسنانه، والقَضعَم: دونه، كما يفهم من «القاموس».

(٧) هي المنيّة.

(٨) رجع.

(٩) مات.

وألقَى برَحْلِهِ وَمَضَى. وتَرَكَ من خَلْفِهِ ورَثَةً ضُعَفاءْ، مِن الرِّجالِ والنِّسَاءْ. وهُم زَوجةٌ[1] وبَنَاتْ، وإخوةٌ وأخوَاتْ. وأبناءٌ وأمٌّ، وابنَةُ ابنٍ وعَمّْ. وبنو إخوةٍ وأعمامْ، وأبٌ قوَّامْ[2]. وجَدَّةٌ وجدٌّ مُشْفِقْ، ومُعْتِقَةٌ ومُعْتِقْ. وهُم دُونَ شَكٍّ ولا مَيْنْ[3]، جميعُ الوَرَثَةِ من النَّوعَينْ. وعدَدُهم أربعَةٌ وعِشْرونْ[4]، لَوْ كُنتم تَعْلَمونْ.

فأقبلَ بَعضُهم على بعضٍ يتسَاءَلونْ، قال قائلٌ منهم: ألا تسْمَعُونْ؟ إذا أرَدتُم قِسْمَةَ عَدْلْ، فأنا أدُلُّكم على حكَمٍ عَدْلْ. فاتَّبعُوني أهدِكم سَبيلَهْ، لتسمعُوا حكمَهُ ودَليلَهْ. وهو بلا مبالغة ولا زَيْدْ[5]، يُشبَّهُ في عِلمِهِ بزَيْدْ[6]. كَلامُه العَذْبُ الفَائضْ، وعِلمُهُ عُمدَةُ الفَارِضْ. فلمَّا دخَلوا علَيهْ، وأقبلُوا إليهْ. أوجَس[7]

(١) يتعيّن في المواريث دفعًا للّبس أن يعدل عن الأفصح، فيقال: زوجة، بدل زوج.

(٢) ذو قوامة.

(٣) المَين: كالشَّك، والكذب أيضًا.

(٤) هم جميع الورثة، ولا يجتمع كل الورثة إلاَّ إذا كان الميِّت أحد الزَّوجين، ولكن لا إرثَ لكُلِّهم، كما سيأتي.، ولعلم المواريث مفاتيح وقواعد تيسّره لطالبه، ذكرها في «شرح الرّحبية».

(٥) زيادة.

(٦) زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الصحابي الفَرَضيّ القارئ (ت ٤٥هـ).

(٧) أحسّ.

منهم خِيفَةْ[1]، وفزَع من فجأَتِهم المُخِيفَـةْ. فقـالوا بعـد السَّـلامْ: استَمِع أَيُّها الإِمَامْ. توفَّى اللهُ الفَقِيدْ، وتَركَ مالَه العَتِيْدْ[2]. فَـاحكُم بيننا ولا تُشْطِطْ[3]، وأعطِ كُلاًّ حقَّهُ ولا تُسْقِطْ. فَجَمِيعُنا كـان بـهِ حَفِيًّا[4]، وراضيًا مَرْضِيًّا. فنَظَـرَ الشَّـيخُ إلى الوجُـوهْ، ودلَّ نَظَـرُهُ على وُجُـوهْ[5]. ورَحَّـبَ وحيَّـي، وأقبـل بالمُحيَّـا[6]. وقـال: إليَّ يُسَاقُ الحَديثُ، ويُصَرَّحُ بالتَّحديثْ، في علم المَوَاريـثْ. وعلـى الخَبيرِ سَقَطْتُمْ، وعلى الآفِقِ[7] حَطَطْـتُمْ. اِعْلمُـوا أَيُّهـا الجُشَّـةُ[8] الكِـرَامْ، أنَّ التَّوريـثَ لـيس بالرِّضـا والهُيَـامْ[9]. بـل لـه شُـروطٌ وأسْبَابْ، وأركانٌ في الكِتابْ.

أَســـــبابُ مـــــيراثٍ: نكـــــاحٌ وَوَلاَ
ونَسَـــبٌ. فاسْـــمَعْ كَلامِـــي يـــا وَلاَ[10]

(١) خوفًا.
(٢) الحاضر المُهيَّأ.
(٣) الشّطط: الجور.
(٤) مبالغًا في إكرامه.
(٥) أقسام مختلفة.
(٦) بوجهه.
(٧) الذي بلغ الغاية في العلم والخير.
(٨) هم الجماعةُ من الناس، المقبلون في نهضة وثورة، جيمُه يُفتح ويُضمّ.
(٩) بالحبّ والهوى.
(١٠) على اللّهجة المصرية، أصلها: يا وَلَدْ. والأسباب هي: النكاح والولاء والنسب.

أركانُـــــــــه: مُـــــــورِّثٌ وَوَارِثُ
والإرْثُ بعـــدَ ذَاكَ وهْـــو الثَّالـــثُ[١]

وشـــرطُه مـــوتُ مُـــورِّثٍ وضِـــدّ
حقيقـــةً أوْ حُكمًـــا أوْ شِـــبْهًا وُجِـــدْ

وَعِلـــــمُ جِهَـــةِ اقتِضـــــاءِ الإرثِ
فـــاحْوِ العلـــومَ بطَويـــلِ البَحْـــثِ[٢]

فإنْ كان فيكُم من لَيسَ على مِلَّتِهْ[٣]، أوْ ما زالَ مملوكًا برقَبَتِهْ. فلا حَظَّ له في المالْ، مِنَ النِّساءِ والرِّجالْ. والقَاتِلُ مَحْرومْ، كما هو مَعْلومْ. مُعَاملةً لـه بنقيضِ المَقْصُودْ، وحِرْمَانًا مـن الرِّفـدِ المَرْفودْ[٤].

ويَمْنَعُ الإرْثَ اخْـتِلافُ المِلَّـةْ   والرِّقُّ، والقَتْلُ لدى الأجلَّة[٥]

(١) أركانه ثلاثة أيضًا: مورِّث، ووارث، وإرث.

(٢) شروطه: تحقق موت المُوَرِّث، وتحقق حياة الوارث بعد المورِّث ولو بلحظة، والعلم بالجهة التي استحق بها الإرث.

(٣) لأنه لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم، وكذلك إذا اختلفت الملَّتان غير الإسلام، وكلّ ذلك مختلف فيه، معروف في المطوَّلات.

(٤) من العطاء المُعطى.

(٥) لا أعلم .. هل هذا البيت من نظمي، أم حفظته ونسيت قائله.

فهلْ فيكُم مَنْ وُجِدَ فيه مَانِع، أو تخلف عنه سببٌ وَاقِع؟ فقالوا كُلُّهمْ: لا، والحمدُ لله على ما أوْلَى! قال: إذَنْ، فاسمعوا جوابي، وادْنوا مِن جِفانٍ[1] كالجَوَابي[2].

إن يَجْتَمِعْ جمِيعُ أهلِ الميِّتِ فَلا تُورِّثَنَّ غَيرَ خَمْسَةِ
الأَبَوَانِ[3]، أحَدُ الزَّوجَينِ والابنُ والبِنْتُ بغيرِ مَيْنِ
فلِلأَبِ السُّدْسُ كأمٍّ والتي تَرَمَّلَتْ ثُمْنٌ لَهَا[4]. فأثْبِتِ
والبَاقِ للبَنِينَ والبَنَاتِ للذَّكَرِ الضِّعْفُ مِن الفَتاةِ[5]

فَأُلقِيَ الوَرَثَةُ سَاجدينْ، قالوا: آمَنَّا بِرَبِّ العالمينْ، ربِّ السّموات والأرَضينْ. وانقَلَبَ الآخَرُونْ، وهُمْ داخِرونْ. ومَنَعَتْهم الحَشْرَجَةْ[6]، مِنَ العِنَادِ واللَّجلجَةْ[7]. وتَضَاءَلَتْ[8] المحبَّةْ، بين أولئِكَ الأحِبَّةْ. فإنَّ الدّراهِمَ تَفْعَلُ بالألبَابْ، ما تفعلُه الوَحشُ في الغَابْ.

---

(١) جمع جفنة، وهي الصّحفة الكبيرة.
(٢) الأحواض التي يجتمع فيها الماء.
(٣) الأبوان: خبر مبتدإٍ محذوف، أي: هم الأبوان .. .
(٤) وهي الزوجة، فإن كانت هي الميتة فللزوج الرُّبع.
(٥) للذكر مثل حظ الأنثيين.
(٦) وقوف البكاء في الحلق، والغرغرة عند الموت، والأوّل المراد.
(٧) الاضطراب في الكلام عند الخصام.
(٨) تناقصت.

وهل فرَّق بين الرِّيالْ[1]، سِوَى الدِّرهمِ والرِّيالْ[2]!! سَلُوا إنْ شِئتُمْ عَنْ ما فَعَلَ فلانٌ وأخُوهْ، وعَصَبته وذَوُوهْ. حين قضى أبُوهُم نَحْبَهْ[3]، وغَادَرَ[4] أهْلَهُ وصَحْبَهْ. طَفَحَ فيهم داءُ الضَّرائِرْ[5]، وظَهَرَ مَكْنونُ السَّرائرْ، قبلَ العَودِ مِنَ المَقَابرْ. واسْتَزَلَّهُم الشَّيطانْ[6]، ببعضِ ما أضمَرُوا في الجَنانْ[7]. ولو تَرى ذَوَاتِ الخَالْ[8]، وربَّاتِ الحِجَالْ[9]. وَهُنَّ في كيدِهِنَّ العَظِيمْ، ومكْرِهِنَّ الأليمْ. يَومَ تَهَارَشُوا[10] كالسَّراحِينْ[11]، ولم يكفُّوا إلى هذا الحِيْن. يَغْدُون كُلَّ يومٍ إلى المَحَاكمْ، ويروحون إلى التَّخاصُمْ، ما لَهُم من عَاصِمْ. وَخَبَرُهُم ذَائِعْ، وأمْرُهُم شائعْ!!

ثمّ هَزَّ الجماعةُ رُءوسَهمْ، واطْمَأنَّتْ نُفُوسُهُمْ. فَوَدَّعُوا شاكرينْ، وقامُوا ذاكرينْ.

---

(1) أي: الرجال، على لغة إبدال الجيم ياءً.

(2) كما قيل في المثل: يفرِّق بين المسلمين الدَّراهم.

(3) أجله.

(4) ترك.

(5) ظهر فيهم الخلاف عن تحاسد.

(6) أوقعهم في الزّلل.

(7) القلب.

(8) كناية عن النساء.

(9) جمع حِجْل، الذي يكون من الحلي في الرِّجل.

(10) تقاتلوا، والضمير يعود إلى الوارثين.

(11) جمع سرحان، وهو الذئب.

المَقامَة الحَرّانيّة

قال أبو العينين:

وَفَدَ إلَيْنا مِن الكُوفَةِ قَحْمٌ[1]، جَسْرٌ[2] كثيرُ الشَّحْمْ. عَلَيهِ عِمَامَةٌ كَالبُرْجْ، ولـه أكْمَامٌ كَالخُرْجِ[3]. فَاسْتَوَى[4] إلى هَضْبَةٍ[5] بَرْشَاءْ[6]، بَعْدَ صَلاَةِ العِشَاءْ. وحَوْلَه أتباعُهْ، ومُرِيدُوهُ وأشْيَاعُهْ. وقَدْ لَبِسُوا السَّوَادْ، وجَثَوْا بِالْوَادْ. وألْقَوْا السَّمْعْ، وأخْرَجُوا مَنَادِيْلَ الدَّمْعْ.

فَقَامَ الشَّيْخُ القَحْرَمُ[7]، فَحيَّا وَسَلَّمْ، ثم صَمَتَ وصَلْقَمْ[8]. ونَظَرَ نَظْرَةً في النُّجُومْ، وأُخْرَى في المَرْقُومْ[9]. فلمَّا رأى

(١) مسنّ.

(٢) طويلٌ ضخم.

(٣) وِعاء.

(٤) قصد.

(٥) مكان مرتفع.

(٦) كثيرة النبات.

(٧) الطاعن في السنّ.

(٨) قرع بعض أنيابه ببعض.

(٩) الكتاب.

المَجْلِسَ قد طابْ، شَرَعَ في الخِطـابْ. حَمِـدَ الكـبيرَ المتعـالْ، وصلَّى على النَّبيِّ والآلْ. ثم أخَذَ يُسـاقط[1] الكـلامْ، في أحْسَـنِ نظامْ.

ومكَثَ على هذه الطَّرِيقَةْ، أربَعين دَقيقةْ. ثُـمَّ جَـنَحَ بالحَـديث إلى فَضْلِ اللَّيثِ الغالبْ، واللَّهَبِ الـدَّالب[2]. هـازِمِ مَرحَـب[3]، وقاهِرِ كُلِّ قَعْضَب[4] وقَعْنَب[5]. الفاتِك الوالِب[6]، علـيِّ بـن أبي طالبْ. سيِّد الأصْحَاب بَعْـدَ العُمَـرَينْ، وبَعْـد عُثْمـانَ في أشْـهَرَ القَولَينْ. رَضِيَ اللهُ عَنهم جَميعًا، إنّه كان سَميعًا.

وإذا بالشَّيخ ذِي الحَصـافَةْ، يَخْـرُجُ إلى المُـوق[7] والسَّـخافَةْ. يَخُور كما تَخُورُ أُمُّ ريَّانْ[8]، ويَبْكي بُكاء الصِّبيانْ. ويَلْطِـمُ بيَديْـهِ الخَدَّينْ، ويُنادي أبا الوَلَدَيْنْ. وراح يَرْوِي أُغْلُوطـات التَّـدْلِيسْ، وزَخارِفَ التَّلْبيسْ. المُرَصَّعة مِن إبليسْ، بِتَزْيينٍ وتَسْليس[9]. ومَعَ

(١) أي: يطارح الحديث شيئًا بعد شيء.
(٢) الذي لا ينطفئ.
(٣) مرحب الذي نازله عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فغلبه، وكان ذلك في خيبر.
(٤) الجريء الشديد الضخم.
(٥) الشديد الصلب.
(٦) الذي يلِجُ الحرب وغيرها سريعًا.
(٧) الحمق.
(٨) أم ريَّان: كنية البقرة.
(٩) تسليس: ترصيع.

ذلكَ الزَّويلِ والعَوِيْـلْ، لم أرَ عَـبرةً تَسـيلْ. وإنّمـا كـان يَسْـتَمْطِرُ المَـآقيْ، ويَسْـتَدِرُّ حَشْـرَجَةَ التَّرَاقـيْ. ويَسْـتوكِفُ[1] عَبَـراتِ الحُضُورْ، واللهُ عَليمٌ بذاتِ الصُّدُورْ.

وكان في القَومِ أبو الحَسَنِ الحَشْكَظِي، فانتصبَ أمامَهْ، وقال: يا ذا العِمَامَةْ. إنَّ أبا تُرابْ، في غِنًى عَنْ هذا الكِذاب[2]. وفَضَائِلُهُ عُظْمَى، ومَقامُهُ أسْمَى. وهو فَوْقَ ما في نُفُوسِ المُمَخْرِقِين[3]، وإنَّه لَمَوْلَى المُتَّقِينْ. وانْظُرْ إلى سِيرَتِهِ العادِلَةْ، وطَريقَتِهِ الفَاضِـلَةْ. ومَواعِظِهِ الفاصِلَةْ، وخُطَبِهِ الكامِلَةْ، وحِكَمِهِ الواصِلَةْ. في كتـاب «البِداية والنِّهايَةْ»، فَمُصَنِّفُهُ مِـنْ أهْـلِ الثِّقَـةِ والرِّوايَـةْ، والإتْقَـانِ والدِّرايَةْ، إنَّ في ذلك لآيةْ.

وأذْكُرُ لكَ شاهِدًا على المَين[4]، ودَليلاً على تَلْبيس الرَّينْ. في بَعْضِ ما رَوَيْتَهْ، وصِحْتَ به وحكَيْتَهْ. مِنْ بَعْضِ فَضَائِلِهِ المائِـدَةْ، في سـورة «المائـدةْ». وفي قولـه سُـبْحانه: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[5]، فَلَعَلَّ هَؤُلاء يَرْجِعُـونْ. أوَّلُهـا: أنَّ الآيَـةَ في سياقِ الجَمْعْ، يـا مَعْشَـرَ الجَمْـعْ. وثانيهـا: أنَّ الـواوَ لَيْسَـت للحـالْ،

(١) يستمطرها.
(٢) مصدر كَذَبَ يكذبُ كِذْبًا وكِذابًا.
(٣) الذين يختلقون الإفك.
(٤) الكذب.
(٥) المائدة (٥٥).

بلا جدالْ. **وثالِثُها** : لَوْ كان الإيتاءُ في الصَّلاةِ حَسَنًا، لكان في كُلِّ أحْوال الصَّلاة مُسْتَحْسَنًا. **ورابِعُها** : أنَّ الإيتاءَ في الصَّلاةِ غَيرُ مُسْتَحَبّْ، **وخامِسُها** : أنَّ إخْراجَها على الفَوْرِ أحَبّْ. **وسادِسُها** : أنَّ عليًّا لَمْ تَجبْ عَلَيه زكاةٌ في عَهْدِ النَّبيّْ، صَلَّى اللهُ عَلَيه ورَضِيَ عن عَلِيّْ. **وسابِعُها** : أنَّ عُلَماءَ العالَمْ، لا يَرَونَ إجْزاءَ الزَّكاةِ بالخاتَمْ. **وثامِنُها** : أنَّ أداءَها في القِيامِ والقُعُودْ، أمْكَنُ مِنْ أدائها في الرُّكُوعِ والسُّجُودْ. **وتاسِعُها** : أنَّ سياقَ الآيَةْ، في النَّهْي عَنْ مُوالاةِ أهْلِ الغِوايَةْ. **وعاشِرُها** : أنَّ الرَّوايَةَ مَوضُوعَةْ، لَيْسَتْ صَحيحَةً ولا مَرْفُوعَةْ. وأنْتُمْ لا تَحْتَجُّونَ بحُجَّةْ، إلاَّ كانت عَلَيكُمْ شَجَّةْ[1]، وفي لَقَمِكُمْ[2] دُلْجَةْ[3]. وكبَّت الأوائلْ، بارْتِفاعِ الأسافِلْ. فما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونْ؟! ما لَكُمْ لا تَنْطِقُونْ؟

فلمَّا قال الحَشْكَظِيُّ قَوْلَتَهْ، وَصالَ بِهِمْ صَوْلَتَهْ. قالُوا: مَنْ أنْتَ أيُّها اللاَّئِمْ، والهادِفُ[4] القائمْ. ما نظنُّك إلاَّ واحدًا من النَّواصِبْ، الذينَ لَهُمْ غِمْرٌ[5] واصِبْ[6]!! تريدُ أنْ تَحْجُبَ بكفِّك ذُكا[7]، وأنْ تَفْضُلَ عَلَينا دَرَجَةً وزكا!!

(١) جرحة.

(٢) طريقكم.

(٣) ظُلّة.

(٤) الهادف: الغريب.

(٥) حقد.

(٦) دائم.

(٧) الشمس.

قال: ما أنا إلاَّ ناصِحٌ أمينْ، ونذيرٌ مُبينْ. وإنَّ شَيْخكم الضِّلِّيلْ، مِمَّنْ ضَلَّ عَنْ السَّبيلْ. فلا تَتَّخِذُوهُ ونُظَرَاءَهُ أرْبَابَا، وقَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ ألْبَابَا. فاتَّقُوا اللهَ يا أُولي الألبابْ، وسُدُّوا عَلَى أطْمَاعِهِمْ البابْ. واللهُ المستعانُ وحْدَهْ! وصَلَّى اللهُ عَلَى مَنْ لا مَعْصُومَ بَعْدَهْ[1].

(١) ما ذكرته من حجج في شأن آية المائدة هو خلاصة ما ذكره ابن تيمية في كتابه «منهاج السّنة».

المَقامَة البِنْزِيّة

قال أبو العينين:

السَّيَارَةُ دابَّةٌ مِنْ صُنْعِ العَجَمْ، أشْبَهُ بِذَوَاتِ الأرْبَعْ، أجْوَدُها البِنْزْ، وقيل: الجِمْسْ، ثالثُها الجَيْبُ. واستُحْسِنَ الأبيضُ منها، وما اتَّقَدَ بالدِّيزلِ؛ لرُخْصِهِ خلافًا لِقَوْمٍ، وَوَجَبَ رُكُوبُها خَوْفَ فَوَاتِ مَصْلَحَةٍ أرْجَح.

وتُمْنَعُ المرأةُ مِنْ قيادتِها عِنْدَ قَومٍ شَرْعًا، وقَومٍ عُرْفًا، وابنِ مَفْجُوعٍ[1] في غَيْرِ الحَضَر، وأبي قَابِسٍ إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وآخرينَ إنْ كَانت خَاليةً، أو في البادِيَة. وقيل: إنْ خَافَتْ أو خِيفَ عَلَيْها.

ويَحْظُرُ قيادتُها لغير ذي رُخْصَة، وقطعُ إشارةٍ غير خَضْراء، ووقوفٌ أمامَ لَوْحَةٍ فيها علامَةُ ضَرْب، وكانْتِظَاره وَوُقُوفِهِ عَرْضًا في موقفِ طُول، وسُرْعةٌ فوق فِيْل[2]، وتَفْحِيطٍ وسباقٍ في غَيْر مَيْدَانِه، واسْتِعْمَالِ مُنبِّهٍ لِغَير حَاجَة، وتَجَاوزٍ في مكانٍ ضيِّقٍ أو

(١) يستعمل في المجهول، فيقال: مفجوع بن مفجوع.

(٢) فيل: أي: مئة وعشرون، بحساب الجمَّل.

مُنْحَنٍ. ومَنِ اسْتَدَار بِسَيَّارَتِه لِرَسْمِ دائرةٍ فَخَارًا لَـزِمَ تأديبُـه، فـإنْ عادَ مُنِعَ وغُرِّمَ وصُودِرَتْ عَجَلَتُه.

ويُنْدَبُ الحَمْلُ عَلَيْها بلا أُجْرَة، والإعَانةُ في نَتْعِها[1] إنْ وَقَفَتْ لِبُرُودَةٍ أو حَرَارةٍ أو سِوَاهُما، فإنْ كان له اشْتِرَاكٌ وَجَـبَ بَذْلُـه، وَوَضْعُ[2] أحمَرِهِ في مُوجَب، وأسَـوَدِهِ في سَـالِبْ. ومَـنِ انْفَجَـرَ إطَارُ مَرْكَبتهِ رَفَعَ رِجْلَهُ، وأَحْكَمَ القبضَ وتَمَهَّلَ.

واسْتُحِبَّ رَبْطُ حِزامٍ مطلقًا، والمَشْيُ بـين سِتِّين وثَمَـانين في الحَاضِـرَة، ومَسْـحُ زُجَاجِهَـا، وانتظـارُ دَقَـائق، والمَشْـيُ ذاتَ اليَمِين، وإيقافُها مُعْتدلة، وإخـراجُ يَـدِهِ عنـد الحَاجَـة، وكَرِهَـهُ قـومٌ، والأصَـحُّ لا كَرَاهـة. ومَـن رَهَنـها لم يَنْتَفِـعْ بهـا المُـرْتَهِنُ إجْمَاعًا[3].

فصلٌ

يُنْدَبُ اقْتِنَاؤُهَا لِمُعيلٍ[4]، ولو نَسيئَة بَيْعَةً واحِدَةً، أو تَمَلُّكًا عن إيجارٍ، خلافًا لِقَومٍ[5]، فإنِ ابْتَاعَ (بنزًا) فَبَانَتْ (جَيبًا) وَجَبَ الرَّدُّ.

---

(١) دفعها لإعادة تشغيل محركها.

(٢) أي: ووجب وضعُ أحمره.

(٣) اجماعٌ محَليٌّ، منتقض بالخلاف والنّص.

(٤) صاحب عيال.

(٥) أي: إيجارًا ينتهي بالتمليك.

ومَنِ انْتَهَتْ رُخْصَتُه جَدَّدَها ولِتْرًا مِنْ دَمِهْ إنْ قَـدَر[1]، كاسْـتِمَارة سَيَّارته بِلا دَم، فإنْ لَزِمَتْهُ مُخَالَفَةٌ سَدَّدَها، والفَحْـصُ وتَصْـدِيقُه بِوَضْعِهِ على زُجاجِها مَطْلُوب.

ومُقدِّم رِجْلِهِ اليُمْنَى مِنْ جِهَةِ اليَمِين - حينَ رُكُوبِهِ - مُتكلِّف، كَمُقدِّمها مِنْ جِهَةِ اليَسَار خُرُوجًا. ومَنْ صُدِم مِـنْ وَرَائـهِ فَالْغَـارِمُ الصَّادِمُ مطلقًا، كَقَاطِعِ حَمْرَاءَ ولو مَصْـدُومًا، فـإنِ اصْـطَدَمَا في فَرْعِيٍّ فُضِّلَ القادمُ مِنْ شَارِعٍ رَئيسٍ، ويُصْلَحُ بَيْنَهُمَا، وفي العَفْـوِ عن مُسْتَهْتِرٍ تَـرَدُّدٌ، والصَّـحِيحُ: العَفْـوُ أفْضَـلُ مُطْلَقًـا؛ لأنَّ أثَـرَ الإحسانِ على النَّفْسِ الشَّرِيفَةِ أبْلَغْ، وعلى الخَبيثَةِ أحيانًا.

ويَحْسُـنُ الإسْـفَار في الأسْـفَار[2]، وتَفَقُّـدُ أسْـيَارٍ وبَـوَاجٍ وذَاخِرَة[3]، وزَيْتٍ ومَاءٍ ووِعَائِهِ، وكَابِح[4] وصِنْوَيْهِ[5]، ومَاسِحَةٍ وإطار، وكَلْبٍ أبْتَرٍ[6]، وفي غَيْرِ ذلك خِلافٌ، ويُنْـدَبُ الـدُّعَاءُ. وهل يُنْدَبُ مُرَافِقٌ أو يَجِب؟ تَأْوِيلاتٌ.

---

(١) بفتح الدّال، ويجوز الكسر.

(٢) جمع سَفَر.

(٣) بطاريّة.

(٤) ما يُسمَّى بالفرامل.

(٥) أي: رفيقيه، وهما: الكلتش والبنزين.

(٦) الكمبيوتر في تعريب بعض الظرفاء رحمه الله.

وفي إجْـزَاءِ صَـبيٍّ تَـرَدُّدٌ، ومَــنْ عَــلاَ مُؤَشِّــرُ الحَـرَارةِ عِنْـدَه ولا مُوجِبَ لها ظاهرًا، كَفَّ حَتَّى يَتَبَيَّن. ومَـنْ رَأى عُضْـرُوطًا[1] فربَطَ حِزَامَهُ كُرِهَ فَسْخُه مِن بَعْدِه. وتُكْرَهُ عَارِيَتُهـا إلاَّ لِمَـنْ أَمِـن، فَإذا وَقَفَ لَمْ يُطْفِئْها إلاَّ بَعْدَ مُهْلَةٍ إنْ كانت ذَاتَ دِيزَل، والعكْسُ بـالعَكْسِ. ويَحْمَـدُ اللهَ ويَشْـكُرُه، ويُـذْكُرُه سَـفَرَهُ إلىَ الآخِـرَةَ، وانقِلابِهِ إلى رَبِّه.

---

(١) العُضرُوط والجِلْواز: العسكريّ.

المَقامَة الجوابيّة

(هي رسالة أنشأتها لواحد من أصحابي)

قال العينين:

تَنَازَعَ ثُلَّةٌ من الأثْبَاتْ، فيما مَضَى وَفَاتْ، في واحِدةٍ مِنَ الخَلِفَاتْ[1]. أخبرَ أحدُ الأكياسْ[2]، بلاَ إلباسْ. بأنَّها رُفِعَت إلى عُرَاعِر[3] القُلَلْ[4]، وباتَتْ في سُطُوح[5] إحْدَى (الفُلَلْ)[6]. فضَحِكَ بعضُ القَوْمِ مِنْ هذه المُبالَغَةْ، وبَلَغُوا حَدَّ المُجالَغَةْ[7].

ولمَّا اشتدَّ بِهِمُ الحِوَارْ[8]، في أمِّ الحُوَارْ[9]. أجْمَعُوا أمْرَهم وقَضَوا إلَيَّ، ورَمَوا تَحاكُمَهم عليَّ. واستَحْكَمُوني بِاليَرَاعَةْ[10]،

---

(١) جمع خَلِفة: الناقة الحامل.

(٢) جمع كيِّس: العقلاء.

(٣) رؤوس الجبال، جمع عُرعُرة.

(٤) جمع قلّة: أعلى الجبل.

(٥) جمع سطح.

(٦) جمع فِلّة، معرّب فيلاً.

(٧) أقصى ما يبلغة الضاحك من الضحك.

(٨) المحاورة.

(٩) الناقة.

(١٠) بالقلم.

في تلك السَّاعَةْ. فَاثْلأبَّ[١] صَدْري لِلْجَوابْ، واشْرَأبَّ[٢] عُنُقي لِنُصْرَةَ الصَّوابْ. وكشفتُ عن ساقْ[٣]، وناديتُ بالأوْراقْ. وإذا بالقَلَم تَتَسابَقَ منه الكَلِمات وتَتَواشَجْ[٤]، وتَتَهافَت وتَتَعاسَجْ[٥]. ويَخْرُجُ منه ما يُشْبِهُ العَسَلْ، ويَخِزُ وَخْزَ الأسَلْ[٦]. وكان مَعْشَرَ الأصْحَابْ، هذا الجوابْ. الذي كُتِبَ على سَبيل التَّظَرُّف، لا التَّطَرُّفْ. وكان قَدْ سَبَقَهُ خِطابْ، هُوَ هَذا الكِتابْ: تَحيَّاتٌ أرْيَحِيَّة التَّسْليمْ، وتَسْليماتٌ أرَقُّ مِنَ النَّسيمْ. وثناءٌ أعْطَرُ مِنْ رَحيقٍ مَخْتُومْ، في كِتابٍ مَرْقُومْ، يَشْهَدُه المُقَرَّبونْ.

ورَدَني المُشَرَّف الكَريمْ، وتَلَقَّيتُه بالقَبول والتَّكريمْ. وحين رمَقَتْ عَيناي مَبْنَاهْ، وتأمَّل حِجْري[٧] بمَعناهْ. وَثَبْتُ وثْبَة السِّمْع[٨] الأزَلّ[٩]، لأردَّ على الكِتابِ الأجَلّ. واتَّخَذتُ اللَّيلَ

(١) اتلأب الشيء: استقام، وقيل: انتصب، وقيل: امتد واستوى.

(٢) ارتفع وعلا.

(٣) كناية عن شدّة الأمر. وهو أحد المعاني في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾. غير أن معناه ورد حديث صحيح، وإذا جاء نَهْرُ الله بطل نهر مَعْقل.

(٤) تتزاحم.

(٥) من عَسِج بمعنى: مدّ عنقه.

(٦) الأسل: الرماح، ونوع من الشوك.

(٧) عقلي.

(٨) السِّمع: ولد الذّئب من الضّبع.

(٩) ذئب أرْسَح - خفيف الوَرِكين - يتولّد بين الذئب والضّبع.

جَمَلي[١]، لأُسَطِّر جُمَليْ. في شأنِ تلك اليَعْمُلَةْ، التي كَثُرَتْ فيها البَلْبَلَةْ. ونالتْ مِنَ الخطابِ والرُّدُودْ، ما لم تَنَلْهُ ناقةُ ثَمُودْ. فما أحقَّها بمِثْلِ قُدَارِ بن سَالِف[٢]، ليَجُزَّ[٣] عُثْنُونَها[٤] ويَجُبَّ الشَّارِف[٥]. قاتلها الله! كَمْ ضَيَّعَتْ لي وَقْتَا، ولا لَعًا لها[٦] كَمْ أكْسَبَتْني مَقْتَا.

أمَّا النَّصيحة فمُسْتَودعةٌ في حُمَاطَةِ الجُلْجُلانْ[٧] كَيْفَ لا، والنَّصيحُ فُلانُ ابْنُ فُلانْ، غَير أنَّي - أيُّها الأديبْ -، لم آتِ بكَلامٍ غَريبْ. لم أقل: إنِّي رأيتُ ناقةً مِنْ تِبْر[٨]، تَسْبَح في بَحْرٍ مِنْ حِبْرْ. تقرأ على الجالسين، سورةَ يَس. بصَوْتٍ مَليحْ، ولِسَانٍ فَصيحْ. ثُمَّ طارَتْ في الهَوَاءْ، وهي تَقُولُ: وَاءْ وَاءْ. أيُّ تعجيبْ، أيُّها الأريبْ. في إصْعادِ ناقةٍ على ظَهْرِ الدَّار، وقد سَار على

---

(١) يقال: اتخذ اللَّيل جمله: إذا جعله وقتًا لقضاء شغله، كأنه جعله مطيته للارتحال.

(٢) عاقر النّاقة الذي قال الله - عزّ وجلّ - فيه: ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ [القمر]، وقوله: ﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٣].

(٣) ليقطع.

(٤) شعيرات تحت عنق البعير، وفيه تعبيرٌ بالحالّ، والمراد: المحَلُّ.

(٥) السِّنام.

(٦) لا أقال الله عَثْرتها.

(٧) حُماطة الجُلْجُلان: وسط القلب.

(٨) من ذهب.

الزِّبْرِقان[1] مَنْ سار. وهَلْ قُلْتُ ذلكُم الكَلام بين أظْهُرِ العَوَام، بين الحِجْرِ[2] والمَقامْ.

وأمَّا أبو عُمير[3] فقد لُفَّ في ثوب الكِنايَةْ، وهي آية الأدَبِ وأيُّ آيَةْ. وجاء عَمَّنْ هُوَ أجَلّ، ما هو أصرحُ وأدَلّ. وغَيرُ خافٍ على النَّبيهْ، فأعِضُّوه بِهَنِ[4] أبيهْ. وثَبَتَ في تفسير مَنْ سَبَقْ، بِأنَّه (الغاسقُ) في سورةِ «الفَلَقْ»[5]. وذُكِرَ في المَجامِع[6]، ما هُوَ أبيَنُ للسَّامِعْ. والمُخْبِرون أرْبَعَةٌ يا قَوْمْ، أنسيتُم صَاحبَها وعَجِلتُم باللَّومْ! وأمَّا أمر الشُّهود والإِشْهَادْ، فقد ذكرتموه على رُؤوس الأشْهَادْ. ثُمَّ ثنيتم بِالنَّوالْ، إذا ثَبَتَ المَقالْ. فكيف أُدْعى للدُّخولْ، ويُسَدُّ عَنِّي بابُ القَبولْ. وقد كان طَلَبي قَلَمًا بِرأسَينْ، وكَبْشًا بِقَرْنَينْ. وأنتم - أبقاكم الله - أزْكَنُ من إياس[7]، لَدَى أذكياء النَّاسْ. وهَهُنا عتْبٌ على الكِرام الكَتَبَةْ، قبل مُجاوَزَة

(١) القمر.

(٢) بكسر الحاء: حِجر إسماعيل.

(٣) كنية الذَّكر، وقد ورد ذِكره في رسالة سابقة.

(٤) الهَن: الفَرْج. والمعنى: قولوا له: اعْضُضْ هَنَ أبيك.

(٥) أورده السيوطي في «الإكليل» في سورة «الفلق».

(٦) المراد: المعاجم.

(٧) إياس بن معاوية بن قُرّة المزني، قاضي البصرة (ت ١٢٢هـ)، يضرب به المثل في الذكاء.

العَتَبَةْ[1]. ألا تدرون أيُّها الكاتبون، مَنْ تُكاتِبون؟ أخْبِرُوني كيف تُعَاشَر الألْبَابْ، يا أولي الألبابْ؟[2] وكيف يُكْتَبُ ما بَعْدَ طال وقَلّ[3]، أهُوَ سَهوٌ أمِ القَلَمُ زَلّ؟[4] وكَتَبْتُم بَعْدَ كَلِمة (رابضَةْ)، لَفْظَ (وَابِضَةْ). في أيِّ مُعْجَمٍ أجدُ هذه الكَلِمة المَظْلُومَةْ، وفي أيِّ سِفْرٍ أظفَرُ بأمِّ أبيها مَرْقُومة؟ نَبِّئوني يا بَنِي آدَمْ، نَبِّئوني يا بَنِي آدَمْ! ألا تعلمون أيُّها الخابطونْ، من تُخاطِبُونْ؟ فالله يغفر لكم يا قَوْمْ، ولا تَثْرِيبَ عليكم اليَوْمْ!

---

(١) عَتبة الباب، والمراد هنا: مقدمة الخطاب.

(٢) وكان قد وردهم في كتابهم لفظ «معاشرة الألباب».

(٣) لأنه جاء في كلامهم: «طال ما .. وقلّ ما»، هكذا مفصولة، والصواب الوصل.

(٤) لأن في خطابهم أغلاطًا في الإملاء واللُّغة، وجاء في كلامهم: من تعاشُر الألباب.

المَقَامَة العَجُوزِيّة

(وفيها خروجٌ عمّا يلزم)

قال العينين:

خرجت عجُوزٌ[1] التَّاجر، في يمناها إبرة، ودارةُ الشَّمس تتوسطُ السَّماء، في ألْفِ فَرَس، وفي ثَوْرٍ وبَقَرةٍ ورمكَة وناقة،

(١) قال الفيروزأبادي: العجوز: الإبرة، والأرض، والأرنب، والأسد، والألف من كل شيء، والبئر، والبحر، والبطل، والبقرة، والتاجر، والترس، والتوبة، والثور، والجائع، والجعبة، والجفنة، والجوع، وجهنم، والحرب، والحربة، والحمى، والخلافة، والخمر، والخيمة، ودارة الشمس، والداهية، والدرع للمرأة، والدنيا، والذئب، والذئبة، والراية، والرخم، والرعشة، والرمكة، ورملة م، والسفينة، والسماء، والسمن، والسموم، والسنة وشجر م، والشمس، والشيخ، والشيخة - ولا تقل عجوزة أو هي لغية رديئة، ج عجائز وعجز -، والصحيفة، والصنجة، والصومعة، وضرب من الطيب، والضبع، والطريق، وطعام يتخذ من نبات بحري، والعاجز، والعافية، وعانة الوحش، والعقرب، والفرس، والفضة، والقبلة، والقدر، والقرية، والقوس، والقيامة، والكتيبة، والكعبة، والكلب، والمرأة شابة كانت أو عجوزاً، والمسافر، والمسك، ومسمار في قبضة السيف، والملك، ومناصب القدر، والنار، والناقة، والنخلة، ونصل السيف، والولاية، واليد اليمنى.

يتقدَّمها بطلٌ كالأسد، يحمل رايةً كراية حربٍ، في حَرْبـةٍ كأنهـا نخلةٌ بل صَوْمَعَة، ومعـه سَيفٌ مِسْمارُه كـالإبرة، ونَصْـلُه مـن فضَّة، وقوسٌ من ذهبٍ وتُرْسٌ. وحين انتـهت إلى شَـجَرٍ ونبـات ورمْلَة، نَفَخَت ريشةً في كفِّها، وجعلت تَخْطُب في الكتيبة كَمَـنْ يريد الخلافة والولاية في الأرض، وهي تتهادى في ثَوبها، تُنشد وتقول:

إنِّـــي أنـــا الـــدُّنيا وتلـــك خَـــيمتي
وصَـــــحْفَتي وقِـــدْرُها وجَفْـــنَتي
ودُونهـــا كَلْـــبي وألْـــفُ عَقْـــربٍ
في بئرهـــا تســـعى وجَـــرْوُ الكَلْبـــةِ
والنَّـــار حولَهـــا وكـــلُّ جـــائعٍ
أُطْعِمُـــه مِـــنْ رخَمـــي وضَـــبْعَتي
أنـــا السَّـــفينةُ علـــى بحـــرٍ هـــوَتْ
بِعَـــاجزٍ ذي خَصـــلةٍ ذميمـــةِ
أمْحَضَـــني الحُـــبَّ ومَـــدَّ كفَّـــهُ
لجـــذْب دِرعـــي وانتَشَـــى بِخَمْـــرتي

واشْــتمَّ مــن مِسْــكي وطِيْــبٍ آخــرٍ

يُعـــــدُّ إنْ سُـــــمِّيَ كالنَّميمـــــةِ

يَــرْكُضُ في أرضــي ارْتِكــاض ثَعْلــبٍ

يَتْبَعُـــه سِـــرْحانُ فـــوق ذِئْبَـــةِ

حتَّـــى إذا جـــاء المَنُــونُ وانْتَهــى

مُسَـــــافِرًا إلى طريـــقِ ضَــــرَّتي

عَــضَّ اليَــدَ الــيُمنى وعــاد عــاجزًا

مبالغًـــــا إذْ لم يَجِـــــئْ بتوبـــــةِ

قـــد كـــان فيَّ أســـدًا لا يَرْعَـــوي

فعـــــاد أرْنبًـــــا بِـــــلا عافيَـــــةِ

وأبْصَـــرَ الجحـــيمَ حِـــينَ مَسَّـــه

سَـــمُومُها في سَـــاعةِ القيامَـــةِ(١)

(١) وللقصيدة تتمة في ديواني، وانتقيتُ منها أحسنها، ولكيلا نخرج بالمقامات عن منهجها.

قال أبو العينين:

تلك بعضُ معاني العَجُوز، لمن أراد أن يَفُوزْ. بـبعض معانيهـا العَجيبةْ، وإطلاقاتها الغَريبَةْ. ورام أن يترشَّف مَن فيها، رَشَـفَاتٍ مِنْ فِيها.

وقال أبو يوسف بن عِمران[1]، في أبياتٍ حِسانْ:

عَلَـــى كُـــلِّ القُلُـــوب لَـــهُ عَجُـــوزٌ
كـــذا الأحْبَـــابُ تَحْلُـــو بِـــالعَجُوز[2]

وكَـــمْ خَبَـــلٍ شَـــفَاهُ اللهُ مِنْـــهُ
كَذَا جِلْـدُ العَجُـوزِ[3] شِـفَا العَجُـوز[4]

رَشَـفْتُ مِـنَ المَرَاشِـف منـه ظَلمًـا
ألَـذَّ جَنًـى وأحْلَـى مِـنْ عَجُـوزِ[5]

---

(١) يوسف بن عمران الحلبي، ذكره الزّبيديّ في «التاج»، وذكر قصيدته التي جمعت أكثر معاني «العجوز»، والأبيات التي سأذكرها مختارة منها، وفي بعضها تكلفٌ كما قال الزّبيديّ في (التاج: عجز).

(٢) العجوز في البيت بمعنى التحكّم.

(٣) الضبع.

(٤) الكلب.

(٥) أراد نوعًا من التمر حلوًا، والظَّلْم: ماء الأسنان.

دُمُــــوعي في هَــواهُ كَنِيــلِ مِصْـرٍ
وأنفاســـي كأنفـــاسِ العَجُـــوزِ[1]
فقُربُـــك دُون وَصْـــلِكَ لي مُضِـــرٌّ
كــذا أكْــلُ العَجُــوزِ[2] بِــلاَ عَجُــوزِ[3]
وكَمْ وَضَعَ العَجُوزَ[4] على عَجُوزٍ[5]
وكــم هيَّــا عَجُــوزاً[6] في عَجُــوزِ[7]
ركِبْــتَ إلى المَعــالي طِــرفَ عَــزمٍ
حَمَــاه اللهُ مِــنْ شَــينِ العَجُــوزِ[8]

وقال عالم أبلغْ، يقال له ابنُ أصبغْ[9]:

---

(١) النّار.
(٢) النّبت.
(٣) السّمْن.
(٤) القدر.
(٥) منصِب القدر.
(٦) الناقة.
(٧) الصحفة.
(٨) العرج.
(٩) جمال الدّين محمد بن عيسى بن أصبغ الأزديّ اللّغوي، ذكره أيضًا الزّبيديّ في (التاج)، وذكر أن له قصيدة منها البيتان المذكوران.

ألا تُـــبْ عَـــن مُعاطـــاةِ العَجُـــوزِ[1]
ونَهْنِــــهْ عـــن مُواطـــأةِ العَجُـــوزِ[2]
ولا تَرْكَـــبْ عَجُـــوزًا[3] في عَجُـــوزٍ[4]
ولا رَوعٍ ولا تَـــــكُ بــــالعَجُوزِ[5]

قال أبو العينين:

سبحانَ مَنْ جَعَلَ في الضَّعفِ قُوَّةْ، وبَصْطةً وفُتـوَّةْ!! كيـف حـازَ العَجْزُ هـذه المعـاني، وشَـمَلَ الجحـامِرَ[6] والغَـواني، واكْتَسَـى برياضِ المغاني؟! لقد جمعَ الدُّنيا والآخرةْ، والمسـمَّياتِ الـدُّنيا والفاخرةْ. وأداةَ حَياة الإنسانْ، وأسْماء طائفةٍ من الحَيوانْ. ونبات الأرض والجمادْ، وكثيرًا مِنْ أحوال العبادْ. ولا عَجَـبَ مِـنْ لُغَـة الضَّادْ، التَّيَّاهَةِ في كُلِّ نادْ. الصَّادحة بين العباد، بقول مولانـا في سُورةِ (صادْ)، ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾.

(١) الخمر.
(٢) المرأة المسنة.
(٣) الخصلة الذّميمة.
(٤) الحبّ.
(٥) العاجز.
(٦) جمعُ جحمرِش، وهي المرأة المسنة، ولبعضهم ناظمًا:
وللعجوزِ قد أتى جَحمرِشُ وهي التي من كبرٍ ترتعِشُ

المَقامَة الهَرَوِيّة

قال العينين:

أصْبَحَ أحدُ الصَّالحينْ، يوم الاثْنَين من الصَّائمين. قال: لأجْمَعَنَّ اليومَ ما اسْتَطَعْتُ مِنْ شُعَبِ الإيمانْ، وخِصَال الإحسانْ، والخِلال الحِسانْ. ولأصْنَعَنَّ اليومَ ما يَسَعُني من فعل الخَيراتْ، وإنكار المُنْكراتْ. ولأجْهَدَنَّ طاقتي في دَرْءِ السُّوءْ، واجْتِناب ما يَسُوءْ. ولأجْعَلَنَّ يومي هذا كَآخِرِ أيَّاميْ، وخاتِمَةِ مَثْوَايَ ومَقَاميْ. ولأُصَلِّيَنَّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ راحلْ، ولآتِيَنَّ إلى بحر البِرِّ مِنْ كُلِّ ساحِلْ. وبالله حَوْلي واعْتِصاميْ، وقَعْدتي وقياميْ. وهو المُسْتعانْ، وعليه التُّكلانْ.

قال أبو العينين:

فَقَام لِوُضُوئه وتشهَّدْ، وسَمِع المؤذِّنَ فردَّدْ. ثم صلَّى الرَّغيبةَ وَاْلطَجَعْ[1]، ثم قام وهَبَعْ[2]. وكان من المشَّائين إلى المساجد في الظُّلَمْ، ومَنْ يُشابِه أولياء الله فما ظَلَمْ. فركع ركْعَتي المسجدْ، وأخذ يتلُو ويسجدْ. فلمَّا أقيمت وفَرَغ من الفريضةْ، قام إلى

(١) لغة في اضطجع.

(٢) هَبَعَ هُبوعًا: مشى ومدّ عنقه.

سارِيةٍ عَرِيضةْ. فَحَمِدَ اللهَ وأثْنَى، وثنَّى بالنَّبيِّ الأسْنَى. وثلَّث بِوَعْظٍ لاهِبْ[1]، وكلامٍ يُبدِّد ظلماتِ الغَياهِبْ. فَخَرَّ الحاضرونْ، للأذقانِ يَبْكُونْ. وإنَّ قلوبهم لخافقةٌ وجِلَةْ، ودُموعَهُم سائحة عَجِلَةْ. ثم جَنَح إلى ذَاتِ العَجُوزْ[2]، لِيُلْقِيَ دَرْسًا فيما يَجُوزْ وما لا يَجُوزْ. ويُبيِّن حرام البيع وحلالَهْ، إلى أن بَدَتِ الغَزالَةْ. فصلَّى ركعتَي الإشْراقْ، ثم أطلق السَّاقْ. وحَمِدَ اللهَ وخرجْ، وركِبَ راحلته ونأجْ[3].

ولمَّا وَرَدَ الجامِعَةْ، في السَّاعة التَّاسِعَةْ. وجد فيها رجلين يَخْتَصِمانْ، أحدُهما على مذهب النُّعمانْ. فحكم بينهما بالحقّْ، وَرَتَقَ الفَتْقْ[4]. فقال بعضُ من حَضَرْ، أيُّها الفَقيهُ الأَبَرّْ. أتحلّلُك السَّاعةْ، من غِيبَةٍ وإشاعَةْ. قال: لا تثريبَ عليكَ ولا لومْ، وأنتَ في حِلٍّ اليومْ. ولم يَزَلْ على كرسيِّهْ في عمَلِهْ، يَسْعَى مع المُضْطَرِّ في أمَلِهْ. يُغيثُ مَلْهُوفَا، ويُرِيشُ مَنْتُوفَا[5]. ويصنعُ لأخرقْ[6]، ويُطمئِنُ من يَفْرَقْ[7]. ويُفرِّجُ كربًا، ويقضي إرْبًا[8]، ويستغفرُ ربًّا.

---

(١) مؤثِّر.
(٢) اليمين.
(٣) ذهب.
(٤) ضمّ الخَرْق.
(٥) يعطيه رياشًا، أي: مالاً، ويكسوه.
(٦) الذي لا يحسن التصرف.
(٧) يخاف.
(٨) حاجة.

ثم قام للظُّهْرْ، وهو على طُهْرْ. فصلَّى عشرًا ثم انصرف[١]، يُسلِّمُ في طريقه على مَنْ جَهِلَ ومن عَرفْ. فلمَّا قضى أجلَهْ، غادرَ عملَهْ. وسار إلى أهلِهْ، وقد أرْدَفَ نَفَرًا على رَحْلِهْ. فأطعمهُم وآنسهُمْ، وأكرمهم ونعَّمهُمْ. ثم عَرَتْهُ نَعْسَة ونامْ، فلمَّا أذَّن قامْ. فصلَّى العصرَ إمامًا، وَوَعَظَ الحاضرين لِمامًا. وصلَّى على الجنازةْ، وشيَّع إلى المفازةْ[٢]. وعزَّى أهلَ الميِّتِ وَوَاسَى، ومَسَحَ بِرأسِ اليتيمِ كي لا يأسى[٣]. وعاد مريضًا في المَشْفَى، ودعا له أن يُشْفَى. وكان من فضله ونُبْلِهْ، أن يَدْنُو بعد العَصْرِ إلى أهلِهْ. ثمَّ يَصِلُ رحمَهْ، ومن ألِفَهُ ورَئِمَهْ[٤].

فلمَّا تضيَّفتِ[٥] الشمسُ للغروبْ، وحان وقتُ الوجوب[٦]. نظر نظرةً في السَّماءْ، وأفطرَ على تمراتٍ وماءْ. صلَّى المغربَ وسُنَّتَهْ، ثم سبَّح سُبحتَهْ. ليكون من عُرفاء الأوَّابينْ، ورُفقاء التَّوابينْ. ثم عَقَدَ حَلْقة عِلْمٍ وذِكْرْ، ومدارسةٍ وفِكْرْ، في القرآنِ ذي الذِكْرْ. ليفوزَ بأربع العَطايا، من ربِّ البرايا[٧]. فلمَّا صلَّى

(١) أي: صلاة الظهر، وأربع قبلها، وركعتان بعدها.

(٢) الصحراء.

(٣) لا يحزن.

(٤) رئِمَ الشَّيءَ: أحبّه.

(٥) قرب وقت غروبها.

(٦) سقوطها وغروبها.

(٧) وهي ما اشتمل عليها حديث: «وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السَّكينة، وغشيتهم

العشاء الآخرةْ، وثنَّى بسُنَّتها العاطرةْ. جرَّ راحلتَهُ نحو أمِّهْ وأبيـهْ، ثم إلى صاحبته وبنيهْ. ونظر إلى حاجةِ كُلٍّ، وحمل كُلَّ كَلٍّ[1]. ثم آوى إلى مِحْراب دارهْ؛ ليتلوَ ما بقي من حزْبِهِ وأذكارِهْ. ولم يَبِـتْ ذلـك المسـاءْ، إلاَّ وقـد عَفَـا عمَّـنْ أسـاءْ. في أعمـال تُجاوز الهُنيدَةْ[2]، تَذكَّر بها أدْهَم العمل بل جُنَيْدَةْ[3]: من صلاةٍ وصيامْ، وصدقةٍ وقيامْ. وتلاوةٍ وذكرْ، وثناء وشُكْرْ. وكظمٍ للغيظْ، ورفْـق بالفظِّ والكَظّ[4]. وعفوٍ وإحسانْ، وحِفْظ حقوق الإنسانْ. والدَّرء بالحُسنى وزيـادةْ، وإجابـة الـدَّعوة والعيـادَةْ. وأعمـال مـن دون ذلكْ، وسُلُوك خير المسالكْ. **﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾**، **﴿وَمَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾**[5].

= الرَّحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده». أخرجه مسلمٌ بتمامه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٤/٢٠٧٤؛ ح ٢٦٩٩) في العلم، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(١) المُثقَلُ بالأعباء.

(٢) تطلق العرب «الهُنيدة» على المئة من كل شيء.

(٣) المراد بذلك: إبراهيم بن أدهم والجُنيد، يضرب بهما المثل في العبادة والنسك.

(٤) هو الذي يضيق بالأمور.

(٥) بحذف الياء، وبحذف الهاء في الآية التي قبلها، وكلّه ممّا قرئ به.

الختام

نسأل الله حسنه

اللّهمَ إنَّا نحمدُك بقلوبٍ خاشعةْ، وأعناقٍ خاضِعَةْ. ونضرعُ إليكَ بخدودٍ منطرحَةٍ على أعتابِكْ، وأجفانٍ باكيةٍ عند بابِكْ. ونتوبُ إليكَ بقلوبٍ منكسِرَةْ، وأكبادٍ مُنْفَطِرَةْ، وجوارحَ معتذرة.

نستغفرُكَ اللّهمّ .. ممّا طغَتْ به الأقلامْ، ونعتذرُ إليكَ .. ممّا زلّتْ به الأقدَامْ. اللّهمّ ما أصبنا فيه فهو بفضلِكْ، وقوّتِكَ وحولِكْ. وما لم نُصِبْ فيه فقد علِمْتَهْ، ورأيتَ عِوجَه وأمْتَهْ. تعلم ما نخفي وما نُعلِنْ. وما نُظهِرُ وما نُبْطِنْ.

نتوسَّل إليكَ بعِلْمِكَ ورَحْمَتِكْ، ونسألك باسْمِكْ وصِفَتِكْ. أن تُذْهِبَ ما أسأنا، بما أحسنَّا وأصبْنا. وأن لا تجعل في مقاصدنا قدْرًا لأحَدْ، يا من ﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، نشهد أن لا إله إلاّ أنتَ، نستغفرك ونتوب إليك.

العناوين

المقامات فنٌّ من فنون الأدب .. وكتاب (ذات الأكمام) نخل باسقات لها طلع نضيد، ومن طلعها قنوان دانية قدمها منشئها على صحافٍ من جواهر البيان .. وضع فيها للمكيّين مقامات عن معالم مكّة وأعلامها، وللقراء والمجوّدين وأهل التأويل مقامات، ولعلوم الفقه والأصول ومصطلح الأثر والمنطق والفرائض والنحو والبلاغة والجدل والغريب والشعر والطبّ ومنافع الأغذية مقامات،وفيها للعقاريين مقامة ولذوي المسيار مقامة ، ولاستنساخ ذكرى ما مضى من حياة المؤلف، وتخيّل المستقبل وتصوّر الذّوات مقامات، وغير ذلك من التعاجيب المحاكية المستمدَّة وحْيَها من واقع العصر ومرآته .. ولقد قال بعض الضالعين في الأدب حين قرأها : إنها تفوق ما عرف من كتب المقامات!!

ومنشئها لا يرى ذلك لنفسه ، ويراها كقمر منير، ولكنه يستمد نوره من ضوء الشمس، وكالصِّيام لا يتم إلا بالصلوات الخمس، ومَعاذ الحق أن يُنقص اليوم ما تم بالأمس ، وإنه لمن جهل الجاهلين أن يبني المرء مجدَه ، بهدم ما بناه من سَبَقه ، وأن يمدح ذاته وعمله بذم غيره وعمله .. على أنني كافر بقولهم : (ما ترك الأول للآخر شيئا) مؤمنٌ بقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٣] .

ردمك: ٢-٠٦٧٥-٠١-٦٠٣-٩٧٨

مطابع الحميضي ت: 2130130 الرياض